

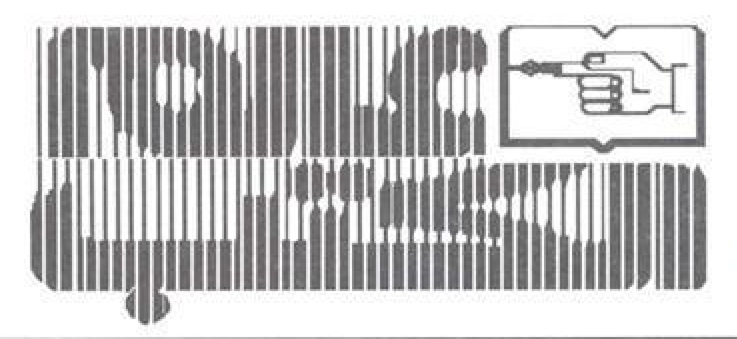
مجلة محكَّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه
تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف
أسست عام ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م

المجلد الواحد والعشرون | العددان الرابع والخامس [عدد مزدوج] | المحرم – صفر / الربيعان ١٤٢١هـ مايو – يونيو / يوليو – أغسطس ٢٠٠٠م

عدد مزدوج

من محتويات العدد

بسم الله الرحمن الرحيم



المؤسسان
عبدالعزيز الرفاعي
عبدالرحمن المعمر

رئيس التحرير
يحيى محمود بن جنيد
"الساعاتي"

المجلد الواحد والعشرون
العددان الرابع والخامس
[عدد مزدوج]
المحرم – صفر / الربيع ١٤٢١هـ
مايو – يونيو / يوليو – أغسطس ٢٠٠٠م

المحتويات

* الدراسات

* الأعلام

* الببليوجرافيات

* المراجعات

عالم الكتب

مجلة محكَّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه ، صدر العدد الأول منها في رجب ١٤٠٠هـ / مايو ١٩٨٠م

الناشر

دار ثقيف للنشر والتأليف

العنوان البريدي

٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧
: ٤٧٦٥٤٢٢
ناسوخ : ٤٧٦٣٤٣٨
ردمد : ٠٢٥٨ – ١١٥٩
الإيداع : ١٤ – ٠٠٠٨

الأشموني النحوي هل كان أميناً علمياً

عبدالله بن عويقل السلميّ
جامعة الملك سعود - الرياض

توطئة :

إذا ذكر أحد (ألفية ابن مالك) المتوفى سنة ٦٧٢هـ الشهيرة تذكر الناس شرح الأشموني المتوفى سنة ٩١٨هـ (منهج السالك) لها ؛ لأنه واحد من أبرز شروحها ، وزاد أهميته إقبال الناس عليه بسبب حاشية الصبّان التي تعدّ أدقّ الحواشي وأشملها على هذا الشرح .

إنَّ هذا البحث يهدف إلى إزالة الخفاء عن مسألة لم تمس من قبل بما يشفي الصدر ويريح النفس ، وبما يضع الأشموني في موضعه الصحيح ، فالأشموني المصري الذي ذاع صيته وشاع وملأ الأصقاع ، ابتلع في حقيقة الأمر شهرة نحوي آخر هو المرادي المغربي ، وغمطه حقه ، واستأثر وحده بالفضل ردحاً طويلاً من الزمن امتدّ حتى الآن ، مع أنّ هذا الفضل هو من حقِّ هذا النحوي المغربي الجليل .

ومن هنا حاولت في هذا البحث أن أزيل عن هذه القضيّة كلّ شبهة ، وأن أكشف كلّ لبس ، وأن أدحض كلّ تلبيس . ولتحقيق هذه الأهداف ضمّنت بحثي هذا تعريفاً بالمرادي المغبون الذي سُلب علمه واخْتُطِف مقعده بين جلّة النحاة ومقدميهم ، وكذلك تعريفاً بالأشموني وبآثاره التي تنسب إليه ، ثمّ ذكراً للأدلة الدامغة والنصوص القاطعة التي تثبت أنّ شرح الأشموني المشهور هو بعينه شرح المرادي المغمور ، وأنّ الأشموني أخذ كتاب (توضيح المقاصد) للمرادي أخذاً حرفياً على الغالب ، أو شبه حرفي في بعض الأحيان على النحو الذي سنجليه في النصوص التي سنوردها .

وقد حرصت في هذا البحث على كشف الستار عن إنّ شهرة الأشموني وشهرة شرحه لألفية ابن مالك ما هما إلا ضرب من الزيف الباطل الذي انطلى أمداً طويلاً على كثير من المشتغلين بعلم النحو ، بل ما زال منطلياً على عدد غير قليل منهم حتى الآن ، فقد كان كتاب الأشموني وما زال يجد من الحظوة والقبول لدى الدارسين والباحثين أكثر مما يجده منهما أي شرح آخر للألفية .

رحم الله المرادي على ما قدّم ، وسامح الأشموني الذي أباح لنفسه ونسب لذاته ما ليس له ، فالعلم كغيره من الأعيان يعاب سارقه قصداً ، ويذمّ مهمل نسبة قضاياه إلى أصحابها عمداً .

ولقد حملني على الشك في هذا الموضوع ، ثم دفعني إلى تقصّيه والحرص على كشف خفاياه ، التلميحات القليلة التي ألفيتها في حاشية الصبّان على شرح الأشموني [1] ، ثمّ الإعلان العابر الذي ذكره الباحث المعاصر عبدالرحمن سليمان في مقدمة تحقيقه لشرح المرادي (توضيح المقاصد) حين ذكر إنّ "هذا الكتاب تحقيق لأهم أصل من أصول الأشموني التي اعتمد عليها وأخذ منها، ويكاد يكون صورة لها ، فالأشموني وشرح المرادي على ألفية ابن مالك يكادان يكونان شيئاً واحداً" . ولو أنّه لم يزد القضيّة بعد هذا الذي ذكره وضوحاً ، ولم يفصل القول فيها تفصيلاً ، ولم يدلّل على ما يقوله بنماذج هي كما عرفنا أكثر من أن تحصى .

وإذا كان سليمان لم يجرؤ على قول الحقيقة الشاملة، أو لم يرغب في إظهارها مفصّلة ، ولم يصرّح بسرقة الأشموني الكاملة جهاراً ، واكتفى باستخدام (يكاد) الموحية بالمقارنة ، فإنّ الحقيقة الصادقة تلغي الأشموني في شرحه للألفية إلغاءً تاماً ، وتسقط كتابه دفعة واحدة من قائمة المصادر النحويّة المعتمدة . ويؤكد هذا السقوط والإلغاء ويزيل عنهما كلّ شك ويسقط عن الأشموني وكتابه

أي دفاع ، إنّ الأشموني والمرادي ليسا متعاصرين ، وليس أحدهما مجهول المولد والوفاة ؛ لكي لا نعرف على وجه القطع الآخذ من المأخوذ منه ، أو نشكك في سرقة الأشموني وأخذه شرح المرادي كلّه .

فإذا عرفنا إنّ المراديّ قد سبق الأشموني بأكثر من مائتي عام ، وإنّ شرح الأشموني وشرح المرادي يكادان يكونان شرحاً واحداً كما يقول المحقق ، أو هما شرحان متطابقان تماماً كما نقول نحن ، فإننا حينئذ نتساءل بحقّ: ما الفضل الذي يمكن أن يعزى للأشموني المتأخّر ؟ ، ونستغرب أيضاً بصدق من أنّ شرح الأشموني قد وجد من الحظ والقبول والعمديّة في مجال الدرس النحوي قدراً فاق قدر الكثير من الشروح المشهورة على ألفية ابن مالك!.

إنّ المرادي النحوي المغربي الذي عاش في مصر يتيماً ، ورحل عن الدنيا فيها فقيراً ، بقي مظلوماً إلى أن قيض الله للناس من يكشف الحقيقة . ولعلي أحد هؤلاء ، من خلال ما أقصد إليه في بحثي هذا من إماطة اللثام عما قام به الأشموني من سرقة ضخمة لجهد المرادي وعلمه ، ومن بيان أنّ الأشموني لم يكن أبداً أميناً علمياً ، وأنّه قد استلب المنزلة العليا التي هي من حق المرادي وحده استلاباً.

وسوف أكتفي لإثبات ما أقول بذكر نماذج ليست كثيرة ؛ لأنّ طبيعة الإيجاز في هذا البحث لا تسيغ الإطناب والتطويل ، ولكنها على كلّ حال نماذج متنوعة تسند ما أقول وتؤيّد ما أزعم ، ولم أتوسّع هنا في إيراد النقول ، فهي أكثر من أن تحصى ، ولو استقصيتها في بحثي هذا استقصاءً كاملاً لبلغ حجمها حجم مؤلّف الأشموني ومصنّف المرادي معاً ، لكنّ الكتابين مطبوعان ، ويستطيع القارئ أن يقارن بينهما بنفسه ليتبيّن بسرعة ما تبيّنته بريْث .

بقي في هذه التوطئة كلمة هي : قد يقول قائل ويتساءل متسائل قولاً وسؤالاً مقتضاهما ومدارهما التشكيك بالحقّ الذي قصدت إلى إثباته ، والذهاب إلى أنّ هذا الحقّ قد حصحص مِن قبل ، وأنّ نحويين كالصبان قد سبقوا إلى ما ذهبت إليه بوضوح ، وأنّ باحثين آخرين معاصرين قد أوشكوا أن يقولوا ما قاله الأوّلون ، أو قالوه على استحياء ونحوه ، ممّا يجعل بحثي تكراراً لما قالوا وكأنّي لم آت بجديد أصلاً أو لم آت بجديد يذكر ، وإني أجيب عن ذلك بأني أفهم هذا الاعتراض وأقدّر وجاهته وحكمته ، ولكنّي ألفت النظر إلى أنّ ما سبق نشره في هذا الباب لا يعدو أن يكون إشارات من السابقين في كتب النحو قويّة حيناً وخجولة غالباً ، وأنّ ما كان من هذا وذاك للمعاصرين إنّما كان من خلال رسائل جامعيّة أو كتب عامّة نشرت بآخرة ، ولا يغني هذان في الأمر إلاّ فتيلاً ، فالكتب على وجه العموم متداولة في نطاق ضيّق ، والرسائل الجامعيّة لا تكاد تتداول إلاّ بين أصحابها والمهتمّين بها ، مِن هذا جاء بحثي الأكاديميّ هذا في مجلّة علميّة سيّارة ، أو هي على الأقلّ أكثر سيرورة من الكتب القديمة والحديثة فضلاً عن الأطروحات الجامعيّة ، وأوسع تداولاً لدى الدارسين والمهتمّين ، لكي يزيد أمر الأشموني وشرحه المزعوم وضوحاً ، ولكي يعمّم المراد ، وينشر القصد ، ويبيّن الهدف لعدد أكبر من القرّاء ، وبشكلٍ أوضح وأكثر تفصيلاً ، وبهذا يتأكد سقوط الهالة التي أحاطت بالأشموني بالباطل ، لكي يتقلّدها المراديّ بحقّ فتكون له ويكون لها بصدقٍ وثقةٍ وطمأنينة وجدارة واستحقاق ، وفيما يأتي ترجمتان موجزتان لكلٍّ من المرادي والأشمونِي تعرّفان بهما قبيل البدء في إجراء المقارنة المفصلّة بين شرحيهما (توضيح المقاصد) و(منهج السالك) لألفية ابن مالك .

من المرادي ؟ وما آثاره ؟ :

قد لا يعرف كثير من الدارسين الكثير عن المرادي وآثاره ، لذلك فإنّ معرفة أصله وموطنه ومهجره يمكن أن يلقي الضوء على أسباب ما لحقه من ظلم ، وما أصاب كتبه من نهب ، وأن يفسر ما جعله محلاً للاستضعاف ومداراً للإجحاف .

فهو الحسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المراكشي المصري المالكي ، أبو محمد بدر الدين . ويرجع نسبه إلى قبيلة مراد ، وكان موطن رهطه في القرن

السابع في (أسفي) على ساحل الأطلسي ، ثمّ رحلت جدّته زهراء المشهورة بأم قاسم إلى مصر، وفي مصر ولد الحسن، ولم يعرف عام ميلاده ، ونسب إلى جدته فكنيّ بـ(ابن أم قاسم).

أخذ العربيّة عن كثير من أساطين عصره في مختلف البلدان ، منهم أبو حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ ، ومجد الدين التستري المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، وسراج الدين الدمنهوري المصري المتوفى سنة ٧٥٢هـ . ولبث في مصر يدرس ويصنف حتى توفي في يوم عيد الفطر سنة ٧٤٩هـ، ودفن بسرياقوس[٢] .

ومن أشهر آثاره :

- إعراب القرآن .
- شرح تسهيل ابن مالك ، وهو شرح مطوّل .
- شرح المقدّمة النحويّة الموجزة المسماة بالقانون، والمعروفة بالجزوليّة .
- شرح الحاجبيّة النحويّة والحاجبيّة العروضيّة .
- شرح الكافية الشافية لابن مالك المتوفى سنة ٦٧٢هـ .
- شرح الشاطبيّة .
- شرح (الفصول الخمسون) لابن معط المتوفى سنة ٦٢٨هـ .
- شرح المفصل للزمخشري .
- الجنى الداني في حروف المعاني .
- شرح ألفية ابن مالك المسمى (توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك) .

من الأشموني ؟ وما آثاره ؟ :

هو أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى ابن يوسف الأشموني ، أصله من أشمون، لكنّه ولد بقناطر السباع ، وهما بلدان بمصر . توطّن القاهرة وأكبّ على العلم ، وحفظ القرآن والألفية ، وأخذ النحو عن الكافيجي والقراءات عن ابن الجوزي ، والفقه عن المحلي والمناوي والنور الجوجري . تصدّى للإقراء فانتفع به الطلبة ، ونبه ذكره بين الدارسين ، تولّى القضاء . وصفه ابن العماد بقوله "الشافعي الفقيه الإمام العالم العامل ، الصدر الكامل المقرئ الأصولي ... كان متقشفاً في مأكله وملبسه وفرشه"[٣] . وقال عنه السخاوي : "راج أمره ورجح على السيوطي مع اشتراكهما في الحمق ، غير أنّ ذلك - يعني السيوطي - أرجح"[٤]. توفي بالقاهرة سنة ٩٢٩هـ[٥] .

أما آثاره[٦] التي تنسب إليه والتي قيل إنّها له ، فلا يزال أكثرها مخطوطاً لم ينشر حتى الآن ، فقد ذهب أصحاب التراجم إلى أنّه :

- نَظَمَ المنهاج في الفقه وشرحه .
- نَظَمَ جمع الجوامع في الأصول ، نظماً قرّضه السخاوي ثمّ شرح ما نظمه .
- شَرَحَ قطعة من التسهيل .
- شَرَحَ ألفية ابن مالك شرحاً سمّاه (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) .
- نَظَمَ مجموع الكلائي وايساغوجي في المنطق .
- صنَّف حاشيةً على الأنوار للأردبيلي .
- كَتَبَ رداً على البقاعي في انتقاده قول الغزالي (ليس في الإمكان أبدع مما كان) .

بعد هاتين الترجمتين ، نشرع في تجلية نقول الأشموني في شرحه لألفية ابن مالك عن المرادي في شرحه لها ، من خلال نصوص كاملة طويلة ، تحكي قصة سرقة ضخمة أغفلها الزمان وتجاهلها علماؤه ، وهي تظهر نقل الأشموني الحرفي عن المرادي ، هذا النقل الذي يعتوره أحياناً شيء من الاختصار أو التقديم أو التأخير ، أو حذف بعض الأمثلة ، أو محاولة التغيير في شيء من الألفاظ، أو التصرف في تحوير بعض العبارات، أو المخالفة اليسيرة في التنويع والتقسيم والتنظيم ، مع إضافة كلمة أو جملة اعتراضيّة في بعض الأحيان لا قيمة لها .

نماذج من هذه النقول :

١ - قال المرادي في باب الكلام وما يتألف منه "إنما بدأ بتعريف الكلام لأنه هو المقصود في الحقيقة إذ به يقع

التفاهم ، وإنما قال وما يتألف ولم يقل وما يتركب لأنّ التأليف كما قيل أخص إذ هو تركيب وزيادة وهي وقوع الألفة بين الجزأين"(٧) .

ثمّ قال الأشموني في الباب نفسه "إنما بدأ بتعريف الكلام لأنّه المقصود بالذات إذ به يقع التفاهم وإنما قال وما يتألف ولم يقل وما يتركب لأنّ التأليف كما قيل أخص إذ هو تركيب وزيادة وهي وقوع الألفة بين الجزأين"(٨) .

إنّ أدنى نظر يظهر التطابق شبه الكامل بين النصّين، إذ لم يختلف أحدهما عن الآخر بشيء يذكر اللهمّ إلاّ في زيادة ضمير منفصل عند المرادي ونقصه لدى الأشموني ، وفي استبدال جارّ ومجرور بمثله تماماً ، وهذا لا يذهب بسبّة السرقة الكاملة الشاملة .

٢ - قال المرادي "تنبيهات : الأوّل : شرط الناظم في غير هذا النظم في جواز اتصال الغائبين أن يختلف لفظهما كالمثالين ولم يذكر ذلك هنا ، واعتذر عنه الشارح بأنّ قوله وصلاً بلفظ التنكير على معنى نوع من الوصل ، تعريض بأنه لا يستباح الاتصال مع الاتحاد في الغيبة مطلقاً بل بقيد وهو الاختلاف في اللفظ"(٩) .

ثم قال الأشموني "تنبيه : قد اعتذر الشارح عن الناظم في عدم ذكره الشرط المذكور بأنّ قوله وصلاً بلفظ التنكير على معنى نوع من الوصل ، تعريض بأنّه لا يستباح الاتصال مع الاتحاد في الغيبة مطلقاً بل بقيد وهو الاختلاف في اللفظ"(١٠) .

ولا يخفى ما في كلام الأشموني من التغيير اليسير في شيء من الألفاظ والتصرف القليل في العبارة وإعادة كلام المرادي بنصّه وفصّه تماماً إلا ما كان من هذا التغيير والتصرف اللذين لا غنى فيهما .

٣ - قال المرادي "تنبيه : الموصول إن طابق لفظه معناه فلا إشكال في العائد ، وإن خالف لفظه معناه بأن يكون مفرد اللفظ مذكراً وأريد به غير ذلك نحو من وما ، فلك في العائد عليه وجهان مراعاة اللفظ وهو أكثر ، كقوله تعالى : ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾(١١) ، ومراعاة المعنى وهو دونه كقوله تعالى : ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾(١٢) ، ما لم يلزم من مراعاة اللفظ لبس نحو أعط من سألتك لا من سألك أو قبح نحو : مَنْ هي حمراء أمّك فيجب مراعاة المعنى، أو يقصد لمعنى سابق فتختار مراعاته كقول الشاعر(١٣):

وإنّ من النّسوان مَنْ هي روْضة
تهيجُ الرياضُ قبلها (١٤) وتَصوَّح(١٥)

ثم قال الأشموني "تنبيه : الموصول إن طابق لفظه معناه فلا إشكال في العائد ، وإن خالف لفظه معناه فلك في العائد وجهان مراعاة اللفظ وهو الأكثر ، ومراعاة المعنى كما سبقت الإشارة إليه ، وهذا ما لم يلزم من مراعاة اللفظ لبس فإن لزم لبس نحو أعط من سألتك لا مَنْ سألك وجبت مراعاة المعنى"(١٦) .

إنّ السرقة الكاملة واضحة أمام كلّ ذي عينين ولا يقلل من شأنها ما نراه من الاختصار حيناً أو إسقاط بعض الأمثلة حيناً آخر ، أو التغيير في شيء من الألفاظ أو التصرف اليسير تارة أخرى .

٤ - قال المرادي في باب المعرب والمبني "المعرب مشتق من الإعراب ، والمبني مشتق من البناء ، فوجب لذلك أن يقدم بيان الإعراب والبناء ، فالإعراب في اللغة مصدر أعرب أي أبان أو أجال أو حسّن أو غيَّر أو أزال عرب الشيء وهو فساده أو تكلم بالعربية فهذه ستة معانٍ ، وأما في الاصطلاح ففيه مذهبان أحدهما أنّه لفظي وهو اختيار المصنف ونسبه إلى المحققين وحدَّه في التسهيل بقوله الإعراب ما جيء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف ، والثاني أنه معنوي والحركات إنما هي دلائل عليه وهو ظاهر قول سيبويه واختيار الأعلم وكثير من المتأخرين وحدّوه بقولهم الإعراب تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً . والمذهب الأول أقرب إلى الصواب، والبناء في اللغة وضع شيء على شيء على صفة يراد بها الثبوت وأما في الاصطلاح فقد حدّه في التسهيل بقوله ما جيء به لبيان مقتضى العامل من شبه الإعراب وليس حكاية أو إتباعاً أو

نقلاً أو تخلصاً من سكونين ، فعلى هذا هو لفظي ، وقيل هو لزوم آخر الكلمة حركة أو سكوناً لغير عامل ولا اعتلال، فعلى هذا هو معنوي"[١٧] .

ثمّ قال الأشموني في هذا الباب "المعرب والمبني اسما مفعول مشتقان من الإعراب والبناء ، فوجب أن يقدم بيان الإعراب والبناء ، فالإعراب في اللغة مصدر أعرب أي أبان أي أظهر أو أجال أو حسّن أو غيّر أو أزال عرب الشيء وهو فساده أو تكلّم بالعربية أو أعطى العربون ، أما في الاصطلاح ففيه مذهبان أحدهما أنه لفظي واختاره الناظم ونسبه إلى المحققين وعرّفه في التسهيل بقوله الإعراب ما جيء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف ، والثاني أنّه معنوي والحركات دلائل عليه واختاره الأعلم وكثيرون وهو ظاهر مذهب سيبويه وعرّفوه بأنّه تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً والمذهب الأول أقرب إلى الصواب، والبناء في اللغة وضع شيء على شيء على صفة يراد بها الثبوت، وأما في الاصطلاح فقد قال في التسهيل: ما جيء به لبيان مقتضى العامل من شبه الإعراب وليس حكاية أو إتباعاً أو نقلاً أو تخلصاً من سكونين ، فعلى هذا هو لفظي ، وقيل هو لزوم آخر الكلمة حركة أو سكوناً لغير عامل أو اعتلال ، وعلى هذا هو معني"[١٨] .

إنّ التشابه الذي يكاد تطابقاً أمر واضح تماماً ، والأمر عند الأشموني لا يعدو إحلال كلمة مكان كلمة كإحلال كلمة الناظم محلّ كلمة المصنّف مثلاً وكإحلال كلمة عرّفه محل كلمة حدّه أيضاً ، وإبدال حرف جرّ بحرف جرّ آخر ونحو ذلك من الأمور التي لا طائل تحتها ، إنّ النظر السريع في النصين وإجراء مقارنة عاجلة بينهما يؤكد هذا الذي ذهبنا إليه ويغني عن أيّ زيادة في التعليق .

٥ – قال المرادي أولاً "قال في شرح الكافية وهذا التحويل مطرّد في كلّ فعل مقصود به المدح ، وقال في التسهيل وكذا كلّ فعل حلقي الفاء مراداً به مدح أو تعجّب[١٩] .

ثم قال الأشموني بعد ذلك "قال في شرح الكافية وهذا مطّرد في كلّ فعل مقصود به المدح، وقال في التسهيل وكذا كلّ فعل حلقيّ الفاء مراداً به مدح أو تعجب"[٢٠] .

إنّ هذين النصّين يظهران شدّه حرص الأشموني على متابعة المرادي في نقوله عن المصادر ، وحرصه أيضاً على متابعته في أسلوب النقل والنصّ المنقول بدون تغيير أو تبديل أو اختلاف في التعبير .

٦ – قال المرادي من قبل "تنبيهات الأول : حصر أم في المتصلة والمنقطعة هو مذهب الجمهور ، وذهب أبو زيد إلى أنّ أم تكون زائدة فهو قسم ثالث"[٢١] .

ثم قال الأشموني بعده "تنبيه : حصر أم في المتصلة والمنقطعة هو مذهب الجمهور ، وذهب بعضهم إلى أنّها تكون زائدة"[٢٢] .

لقد نقل الأشموني الخلاف في المسألة ثم أجرى تغييراً عن طريق إخفاء اسم أحد أصحاب الآراء إيهاماً بعدم النقل وبأنّ ما ينقله هو من معلومه .

٧ – قال المرادي "تنبيهات : الأول حذف العائد المنصوب بفعل أكثر من حذف العائد المنصوب بوصف وإن اشتركا في الجواز ، الثاني لا يخلو المنصوب بالوصف من أن يكون في صلة أل أو في صلة غيرها فإن كان في صلة غيرها جاز حذفه وإن كان في صلتها فمذهب الجمهور أنه لا يجوز وأجازه بعضهم نحو الضارب زيد هند يريد الضاربها ، واختلف فيه عن الكسائي وقال في التسهيل وقد يحذف منصوب صلة الألف واللام ومثال ذلك قول الشاعر :

ما المستفز الهوى محمود عاقبة

ولو أتيح له صفوٌ بلا كدر[٢٣]

ومقتضى عبارة الناظم أنّ حذف المنصوب بالوصف كثير مطلقاً وليس كذلك . الثالث شرط ابن عصفور في جواز حذف المنصوب أن يكون متعيّناً للربط ، فإن لم يتعين لم يجز حذفه ، نحو جاء الذي ضربته في داره ، وشرط قوم أن يكون الفعل الناصب له تامّاً ، فلو كان ناقصاً لم

يجز حذفه ، نحو جاء الذي ليسه زيد ، الرابع إذا حذف العائد المنصوب بشرطه ففي توكيده والنسق عليه خلاف ، أجازه الأخفش والكسائي ، ومنعه ابن السراج وأكثر المغاربة ، واختلف عن الفراء ، الخامس اتفقوا على مجيء الحال منه إذا كانت مؤخرة عنه نحو هذه التي عانقتُ مجرّدة أي عانقتها مجرّدة ، فإن كانت الحال متقدمة نحو هذه التي مجرّدة عانقت، فأجازها ثعلب، ومنعها هشام[٢٤].

ثم قال الأشموني "تنبيهات في عبارته أمور الأول ظاهرها أنّ حذف المنصوب بالوصف كثير كالمنصوب بالفعل ، وليس كذلك ، ولعله إنما لم ينبه عليه للعلم بأصالة الفعل في ذلك وفرعيّة الوصف فيه ، مع إرشاده إلى ذلك بتقديم الفعل وتأخير الوصف ، الثاني ظاهرها أيضاً التسوية بين الوصف الذي هو غير صلة (أل) والذي هو صلتها ، ومذهب الجمهور أنّ منصوب صلة (أل) لا يجوز حذفه ، وعبارة التسهيل وقد يحذف منصوب صلة الألف واللام ، الثالث شرط جواز حذف هذا العائد أن يكون متعيناً للربط ، قاله ابن عصفور ، فإن لم يكن معيّناً لم يجز حذفه نحو جاء الذي ضربته في داره ، الرابع إنما لم يقيد الفعل بكونه تامّاً اكتفاء بالتمثيل كما هي عادته ، الخامس إذا حذف العائد المنصوب بشرطه ففي توكيده والعطف عليه خلاف ، أجازه الأخفش والكسائي ، ومنعه ابن السراج وأكثر المغاربة ، واتفقوا على مجيء الحال منه إذا كانت متأخرة عنه ، نحو هذه التي عانقت مجردة ، أي عانقتها مجرّدة ، فإن كانت الحال متقدمة نحو هذه التي مجردة عانقت ، فأجازها ثعلب ، ومنعها هشام"[٢٥] .

ولا يخفى ما أحدثه الأشموني من التقديم والتأخير في بعض المسائل ، ومن التغيير اليسير في بعض الألفاظ.

٨ - قال المرادي بعد قول الناظم :

بعد إذا فجاءة أو قسم ... لا لام بعده بوجهين نمي

"مثال ذلك بعد إذا قول الشاعر :

وكنت أرى زيداً كما قيل سيداً

إذا أنّه عبد القفاء واللهازم

يروى بالكسر على عدم التأويل ، وبالفتح على تأويل أن ومعموليها بمصدر مرفوع بالابتداء والخبر محذوف ، قال المصنف والكسر أولى ؛ لأنّه لا يحوج إلى تقدير ، قلت: وذهب قوم إلى أنها هي الخبر ، وعلى هذا فلا تقدير في الفتح أيضاً فيستوي الوجهان ، ومثال ذلك بعد القسم قول الشاعر :

أو تحلفي بربك العلي ... أني أبو ذيّالك الصبي

يروى بالكسر على جعل أنّ جواب القسم ، وبالفتح على تأويل أنّ بمصدر معمول لفعل القسم بإسقاط الخافض أي على أني ، وقد اتضح بهذا أنّ من فتح لم يجعلها الجواب ؛ وذلك لأنّ الفتح متوقف على كون المحل مغنياً فيه المصدر عن أنّ وصلتها ، وجواب القسم ليس كذلك ، فإنّه لا يكون إلا جملة"[٢٦] .

ثمّ قال الأشموني بعد قول الناظم نفسه : "فمن الأول قوله :

وكنت أرى زيداً كما قيل سيداً

إذا أنّه عبد القفا واللهازم

يروى بالكسر على معنى فإذا هو عبد القفا ، وبالفتح على معنى فإذا العبوديّة، أي حاصلة ، كما تقول خرجت فإذا الأسد ، قال الناظم والكسر أولى لأنه لا يحوج إلى تقدير، لكن ذهب قوم إلى أنّ إذا هي الخبر ، والتقدير فإذا العبوديّة، أي ففي الحضرة العبودية، وعلى هذا فلا تقدير في الفتح أيضاً فيستوي الوجهان . ومن الثاني قوله :

أو تحلفي بربك العلي ... أني أبو ذيّالك الصبي

يروى بالكسر، على جعلها جواباً للقسم، وبالفتح على جعلها مفعولاً بواسطة نزع الخافض أي : على أنّي ... وقد اتضح لك أنّ من فتح أنّ لم يجعلها جواب القسم لأنّ الفتح متوقف على كون المحل مغنياً فيه المصدر عن أنّ وصلتها ، وجواب القسم لا يكون كذلك ، فإنّه لا يكون إلا جملة"[٢٧] .

إنّ كلام الأشموني هو كلام المرادي تقريباً ولا يعدو التغيير في كلام الأشموني أن يكون تغييراً لا قيمة له ولا فائدة فيه في بعض العبارات .

٩ - قال المرادي في حديثه عما ينوب عن الفاعل بعد حذفه "وأما المجرور فلا يقبلها [٢٨] إلاّ بشرطين الأول ألا يلزم الحرف الجار له وجهاً واحداً في الاستعمال كمذ ومنذ وربُّ والكاف وما خصّ بقسم واستثناء ، فلا ينوب شيء من ذلك كما لا ينوب الظرف غير المتصرّف ، والثاني ألا يكون للتعليل كاللام والباء ومن إذا دلّت على التعليل ، ذكر ذلك بعض النحويين ، وقد أجاز بعضهم ذلك في قوله[٢٩] : يغضي حياءً ويُغْضى من مهابته" ، فالنائب فيه ضمير المصدر كذلك لا قوله من مهابته"[٣٠] .

ثم قال الأشموني في الحديث نفسه "والقابل للنيابة من المجرورات هو الذي لم يلزم الجار له طريقة واحدة في الاستعمال كمذ ومنذ وربّ وحروف القسم والاستثناء ونحو ذلك وما دلّ على تعليل كاللام والباء ومن إذا جاءت للتعليل، فأمّا قوله[٣١] : يغضي حياءً ويغضى من مهابته ، فالنائب فيه ضمير المصدر كذلك لا قوله من مهابته"[٣٢] .

ولا يخفى ما في كلام الأشموني من التمويه المعتمد على تداخل العبارات ، فضلاً عمّا أحدثه في عبارات المرادي من تقديم وتأخير .

١٠- قال المرادي "ذكر ابن إياز أنّ الباء الحالية في نحو خرج زيد بثيابه لا تقوم مقام الفاعل كما أنّ الأصل الذي ينوب عنه كذلك وكذلك المميز إذا كان معه من كقولك طبت من نفسٍ فإنّه لا يقوم مقام الفاعل أيضاً"[٣٣] .

ثمّ قال الأشموني "ذكر ابن إياز أنّ الباء الحالية في نحو خرج زيد بثيابه لا تقوم مقام الفاعل ، كما أنّ الأصل الذي ينوب عنه كذلك وكذلك المميز إذا كان معه من كقولك طبت من نفس فإنّه لا يقوم مقام الفاعل أيضاً"[٣٤] .

١١- المرادي "إذا فقد المفعول به جازت نيابة كلّ واحد من هذه الأشياء ، قيل ولا أولوية لشيء منها ، وقيل المصدر أولى ، وقيل المجرور ، وقال الشيخ أبو حيان ظرف المكان أولى"[٣٥] .

ثم قال الأشموني "إذا فقد المفعول به جازت نيابة كلّ واحد من هذه الأشياء ، قيل ولا أولوية لواحد منها ، وقيل المصدر أولى، وقيل المجرور، وقال أبو حيان ظرف المكان"[٣٦].

إنّ التطابق التام بين القولين لا يحتاج إلى تعليق ، ولا يغني عن الأشموني إسقاطه لقب الشيخ عن أبي حيان، وإسقاطه الخبر (أولى) عن المبتدأ (ظرف المكان) اكتفاء بأنّ حذف ما يعلم جائز .

١٢- قال المرادي في باب عطف النسق "أكثر النحويين تجعل أم وأو مشركين في اللفظ لا في المعنى ، والصحيح أنهما يشركان لفظاً ومعنى ما لم يقتضيا إضراباً لأنّ القائل أزيد في الدار أم عمرو عالم بأنّ الذي في الدار هو أحد المذكورين وغير عالم بتعيينه ، فالذي بعد أم مساوٍ للذي قبلها في الصلاحيّة لثبوت الاستقرار في الدار وانتفائه وحصول المساواة إنما هو بأم ، وكذلك أو مشركة لما قبلها وما بعدها فيما يجاء بها لأجله من شك أو غيره"[٣٧] .

ثمّ قال الأشموني في الباب نفسه "أكثر النحويين على أنهما يشركان في اللفظ لا في المعنى ، والصحيح أنهما يشركان لفظاً ومعنى ما لم يقتضيا إضراباً لأنّ القائل أزيد في الدار أم عمرو عالم بأنّ الذي في الدار أحد المذكورين وغير عالم بتعيينه ، فالذي بعد أم مساوٍ للذي قبلها في الصلاحيّة لثبوت الاستقرار في الدار وانتفائه وحصول المساواة إنما هو بأم وكذلك أو مشركة لما قبلها وما بعدها فيما يجاء بها لأجله من شك أو غيره"[٣٨] .

إنّ عدم التعليق على هذين النصين أفضل من التعليق.

١٣- قال المرادي عن بعض حروف العطف "أما حتى فذهب الكوفيون أنّها ليست بحرف عطف وإنّما يعربون ما بعدها بإضمار ، وأمّا أم فذكر النحاس فيها خلافاً وأنّ أبا عبيدة ذهب إلى أنها بمعنى الهمزة"[٣٩] .

ثم قال الأشموني عن هذين الحرفين "أمّا حتى فمذهب الكوفيين أنها ليست بحرف عطف وإنّما يعربون ما بعدها بإضمار ، وأمّا أم فذكر النحاس فيها خلافاً وأنّ أبا عبيدة ذهب إلى أنّها بمعنى الهمزة"[٤٠] .

١٤- قال المرادي عن لكن "وأمّا لكن فذهب أكثر النحويين إلى أنها من حروف العطف ثم اختلفوا على ثلاثة

أقوال أحدها أنها لا تكون عاطفة إلاّ إذا لم تدخل عليها الواو وهو مذهب الفارسي قيل وأكثر النحويين ، الثاني أنها عاطفة ولا تستعمل إلاّ بالواو والواو مع ذلك زائدة وصححه ابن عصفور ، قال وعليه ينبغي أن يحمل مذهب سيبويه والأخفش لأنهما قالا إنها عاطفة ولمّا مثّلا للعطف بها مثّلاه مع الواو ، الثالث أنّ العطف بها وأنت مخيّر في الإتيان بالواو وهو مذهب ابن كيسان ، وذهب يونس إلى أنها حرف استدراك وليست بعاطفة والواو قبلها عاطفة لما بعدها عطف مفرد على مفرد ، تنبيهان الأول : وافق المصنّف هنا الأكثرين ، ووافق في التسهيل يونس ، قال فيه : وليس منها لكن وفاقاً ليونس"[٤١] .

ثم قال الأشموني عنها "وأمّا لكن فذهب أكثر النحويين إلى أنّها من حروف العطف ، ثم اختلفوا على ثلاثة أقوال أحدها أنها لا تكون عاطفة إلاّ إذا لم تدخل عليها الواو وهو مذهب الفارسي وأكثر النحويين ، والثاني أنها عاطفة ولا تستعمل إلاّ بالواو والواو مع ذلك زائدة وصححه ابن عصفور قال وعليه ينبغي أن يحمل مذهب سيبويه والأخفش لأنهما قالا إنّها عاطفة ، ولمّا مثّلا للعطف بها مثّلاه بالواو ، والثالث أنّ العطف بها وأنت مخيّر في الإتيان بالواو وهو مذهب ابن كيسان ، وذهب يونس إلى أنّها حرف استدراك وليست بعاطفة والواو قبلها عاطفة لما بعدها على ما قبلها عطف مفرد على مفرد ، ووافق الناظم هنا الأكثرين ووافق في التسهيل يونس فقال فيه : وليس منها لكن وفاقاً ليونس"[٤٢] .

وهكذا التهم الأشموني في هذين النصين وفي النصين قبلهما كلام المرادي التهاماً ولم يجر فيه تغييراً يذكر ، بل حرص على أن يبدو وكأنّ الكلام من بنات أفكاره وليس من حديث سواه وذلك عبر غطاء شفاف من تغيير لفظ بلفظ مماثل لا يزيد في المعنى عنه أو ينقص ، أو زيادة حرف أو نقصانه لا يقدّم حذفه أو إثباته ولا يؤخّر .

١٥- قال المرادي "تنبيه : شرط الجملة الموصول بها أن تكون خبرية خلافاً للكسائي في جواز الأمر والنهي ، وأجاز المازني أن تكون دعاء بلفظ الخبر نحو جاء الذي رحمه الله ويلزم الكسائي موافقته"[٤٣] .

ثم قال الأشموني "تنبيه : من شرط الجملة الموصول بها أن تكون خبرية لفظاً ومعنىً فلا يجوز جاء الذي أضربه أو ليته قائم أو رحمه الله خلافاً للكسائي في الكلّ وللمازني في الأخيرة"[٤٤] .

وأمر التلاعب بالألفاظ في نصّ الأشموني واضح لا يحتاج إلى تفسير ، وهو لا يلغي حقيقة السطو على المرادي ولا يخفّف من وطأتها على الرغم من هذا التلاعب في الصياغة لإخفاء هذا السطو .

١٦- قال المرادي "ذكر غير الناظم لحذف العائد الذي هو مبتدأ شروطاً أخر أحدها ألا يكون معطوفاً نحو جاء الذي زيد وهو فاضلان ، والثاني أن لا يكون معطوفاً عليه نحو جاء الذي هو وزيد قائمان ، وأجاز الفراء حذفه في هذا المثال ونحوه وأجازه أيضاً ابن السرّاج ، قال بعضهم وهو غير مسموع ونقل اشتراط هذا الشرط عن البصريين ، والثالث أن لا يكون بعد لولا نحو جاء الذي لولا هو لأكرمتك"[٤٥] .

ثم قال الأشموني "ذكر غير الناظم لحذف العائد المبتدأ شروطاً أخر أحدهما ألا يكون معطوفاً نحو جاء الذي زيد وهو فاضلان ، ثانيهما ألا يكون معطوفاً عليه نحو جاء الذي هو زيد قائمان ، نقل اشتراط هذا الشرط عن البصريين ، لكن أجاز الفراء وابن السرّاج في هذا المثال حذفه ، ثالثها أن لا يكون بعد لولا نحو جاء الذي لولا هو لأكرمتك"[٤٦] .

١٧- قال المرادي "اعلم أنّ الناظم تجوّز في تسمية ما بعد بل ولكن معطوفاً وليس هو بمعطوف بل هو خبر مبتدأ وبل ولكن حرفا ابتداء"[٤٧] .

ثم قال الأشموني "قد عرفت أنّ تسمية ما بعد بل ولكن معطوفاً مجاز إذ ليس بمعطوف وإنما هو خبر مبتدأ مقدّر ، وبل ولكن حرفا ابتداء"[٤٨] .

١٨- قال المرادي في نهاية باب إنّ وأخواتها "أمّا

لعلّ فلا تخفّف وأمّا لكنّ فإذا خفّفت لم تعمل وأجاز يونس والأخفش إعمالهما مخففة قياساً وقد حكي عن يونس أنّه حكاه عن العرب"(٤٩) .

ثّم قال الأشموني "لا يجوز تخفيف لعلّ على اختلاف لغاتها وأمّا لكنّ فتخفّف فتهمل وجوباً نحو ولكن الله قَتَلَهم، وأجاز يونس والأخفش إعمالها حينئذ قياساً وحكي عن يونس أنه حكاه عن العرب"(٥٠) .

إنّ ما ذكرناه من نماذج النقل الحرفي ، أو شبه الحرفي وما يعلق بهذا الأخير من التحوير والتبديل ، والتقديم والتأخير ، والتلاعب بالصياغة ، وزيادة مثال أو أكثر ، والتطابق في النقول ونحو ذلك من الأمور ، قليل من كثير ، وقد استمرّ هذا النقل على الوتيرة نفسها إلى نهاية كتاب الأشموني ممّا يدلّ على سوء القصد والنيَّة المبيّتة للسرقة والاختلاس ، يقول المرادي في آخر شرحه معلّقاً على بيت ابن مالك في خاتمة الألفية :

وما لجمعه عنيت قد كمل

نظماً على جلّ المهمّات اشتمل

"يقال عنيَ بكذا أي اهتمَّ به ، والأفصح بناؤه للمفعول، وبناؤه للفاعل لغيَّة حكاها في اليواقيت وأنشد(٥١) عليها : عانٍ بأخراها طويل الشُّغل"(٥٢) .

وقد نقل الأشموني حرفياً عنه هذا التعليق على البيت نفسه فقال "يقال : عني بكذا أي اهتم به ، ويلزم بناؤه للمفعول ، وبناؤه للفاعل لغيّة حكاها في اليواقيت وأنشد عليها : عانٍ بأخْراها طويلُ الشُّغل"(٥٣) .

إنّ النصوص التي عرضناها تعدّ نماذج صارخة على ما ذكرنا ، وهي غيض من فيض ، فالكتاب هو الكتاب، والفارق بينهما إضافة إلى ما ذكرناه قبل قليل هو تغيير طفيف في العبارة أحياناً ، أو تنويع في الجمل في أحيان أخرى ، أو اختلاف في الكلمات تارة ثالثة مع ترادف هذه الكلمات في بعض الأحوال في المعنى ، أو ما يماثل هذا وينحو نحوه ، كذلك حرص الأشموني دائماً على زيادة الأمر إغماضاً وتلبيساً ، لذلك لم يكن يشير إلى المرادي أو يصرِّح باسمه في كتابه إلاّ في مواضع محدودة هي أقلّ من القليل ، فعل ذلك مثلاً في باب التنازع(٥٤) ، وفي باب حروف الجرّ (٥٥) ، وفي باب أفعل التفضيل(٥٦) .

أمّا الزيادات التي توجد في شرح الأشموني ، فهي زيادات بعضها لا يستحق الذكر أو الشكر ، وبعضها الآخر إضافات يسيرة أخذها من كتب ابن هشام الأنصاري والجلال السيوطي . على أنه إن كان للأشموني حسنة تُسجَّل ، فهي حسنة جمع الآراء ونقلها من كتب هؤلاء الأعلام الثلاثة ، ولا سيما من كتاب المرادي الذي يعدّ صاحبه من أجل نقوله الكثيرة عنه صاحب الفضل الأول عليه ، خصوصاً في تنبيهاته التي امتلأ بها شرح الأشموني ، فهي بنصها وفصها تنبيهات المرادي في (توضيح المقاصد) .

والعجيب الغريب - بعد كلّ ما ذكرناه - أنّ شرح الأشموني قد شاع وذاع وملأ الأسماع في أزمان طويلة ممتدة ، في حين خمل ذكر شرح المرادي وما زال ، وهذا يؤكد الحقيقة القائلة بأنّ للكتب حظوظاً كحظوظ الخلق .

ولمزيد من تأكيد حقيقة هذه السرقة التاريخيّة الضخمة أحيل القارئ الراغب في الاستزادة على نصوص أخرى نقلها الأشموني عن المرادي نقلاً حرفيّاً أو شبه حرفي في مواضع كثيرة(٥٧) جداً من شرحه . وفيما سيراه هذا القارئ من هذه النصوص دليل إضافي آخر قاطع على أنّ ما في كتاب (منهج السالك) للأشموني لا يختلف عما في (توضيح المقاصد) للمرادي في شيء ذي بال ؛ ذلك أنّ الأشموني في كتابه حذا حذو المرادي في كتابه حذو القذة بالقذة . ولعلّ باحثاً يتساءل : لِمَ نحسن الظنّ ونعدّها ما حدث من قبيل توارد الخواطر ؟ . والجواب أنّ من يجري مقارنة بين الكتابين يرى الأمر أوسع من أن يكون كذلك .

ويبدو لي أنّ الذي دفع الأشموني إلى إخفاء اسم المرادي فيما نقله عنه أو أخذه منه ، هو أنّ شرح المرادي (توضيح المقاصد) لم يكن كتاباً متداولاً بين الدارسين في

زمن الأشموني . ومع هذا فإن الأشموني لم يستطع بما فعله أن يلغي اسم المرادي من تاريخ النحو ، يدلّ على ذلك أنّ الناظر في أمهات المؤلفات النحويّة يجد للمرادي أقوالاً كثيرة وآراء متنوعة نقلها عنه العلماء الأثبات ، وهي مبثوثة في هذه المصنفات ، وقد ورد اسمه فيها صريحاً ، ونسبت إليه نسبة قاطعة ، مما يجعله حجّة ثبتاً في ميدانه ، جديراً بأن يؤخذ عنه ويروى له . وهذا فضل يحمد لهؤلاء العلماء المصنفين والرواة الثقات الذين نقلوا عن المرادي والتزموا دائماً بنسبة ما ينقلون إليه نسبة صريحة لا لبس فيها ولا إغماض .

يبقى أن نقول في النهاية إنه ينبغي للعالم في كلّ علم أن يلتزم على الدوام بالأمانة في النقل ، لقد أودى عدم الالتزام بذلك بسمعة الأشموني وأطاح بشهرته وشهرة شرحه – الذي لم ينشر له في النحو غيره – لأنهما قاما على حساب عالم آخر لم ينصفه الزمان ، ولم يسعف كتابه بالذيوع والانتشار إلا بآخرة حين انكشف الغطاء وظهر المخبوء .

فسامح الله الأشموني الذي جعل من شرح المرادي مورداً عذباً نهل منه الكثير الكثير دون أن يشيد به ، أو يذكر اسمه على الأقل ، وسامح الله ابن هشام أيضاً ، فقد أورد هو كذلك في (مغنيه) مقاطع من (الجنى الداني) للمرادي دون عزو .

ولعل لي وقفة أخرى مع هذا الأمر أسهم من خلالها في دفع الظلم الذي وقع على هذا العالم المغربي الجليل والنحوي الأديب الذي عاش ومات غريباً عن بلده ، والله أعلم وأحكم .

الهوامش

١ – انظر – مثلاً – حاشية الصبان على شرح الأشموني ٤/٣١٠، ٣١٨.

٢ – انظر في ترجمته ابن حجر ، الدرر الكامنة ٢/٣٢ – ٣٣ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ١/٥٣٦ ، السيوطي ، بغية الوعاة ١/٥١٧ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ٦/١٦٠ – ١٦١.

٣ – ابن العماد ، شذرات الذهب ٨/١٦٥ .

٤ – السخاوي، الضوء اللامع ٦ /٥.

٥ – انظر الضوء اللامع ٦ / ٥ ، شذرات الذهب ٨/١٦٥.

٦ – انظر الضوء اللامع ٦ / ٥ ، شذرات الذهب ٨/١٦٥.

٧ – المرادي ، توضيح المقاصد ١/١٤.

٨ – الأشموني، منهج السالك ١/٢٢، طبعة عيسى البابي الحلبي.

٩ – المرادي، توضيح المقاصد ١/١٥١.

١٠– الأشموني ، شرح الألفية ١/١٠٣ ، طبعة محمد محي الدين عبدالحميد .

١١– من الآية ٢٥ من سورة الأنعام .

١٢– من الآية ٤٢ من سورة يونس .

١٣– هو الملقب بجرَان العَوْد واسمه عامر بن الحارث النميري ، شاعر مخضرم لا تعرف سنة وفاته (انظر الزركلي ، الأعلام ٤/١٦) .

١٤– هذا البيت من قصيدة يصف فيها الشاعر النساء ، وقد شبّه بعض النساء بالروضة التي تتأخر في هيجان نباتها وتشقّق أزهارها عن غيرها من الرياض وأراد بذلك النساء اللواتي يتأخّرن عن الولادة في وقتها .

١٥– المرادي ، توضيح المقاصد ١/٢٣٤ – ٢٣٦ .

١٦– الأشموني، منهج السالك ١/١٨٩ طبعة محمد محي الدين عبدالحميد.

١٧– المرادي، توضيح المقاصد ١/٤٩.

١٨– الأشموني ، منهج السالك ١/٤٧ – ٥٠ طبعة عيسى البابي الحلبي .

١٩– المرادي ، توضيح المقاصد ٣/١١٣ .

٢٠– الأشموني، منهج السالك ٣/٤٢ طبعة عيسى البابي الحلبي.

٢١– المرادي ، توضيح المقاصد ٣/٢٠٤ .

٢٢– الأشموني ، منهج السالك ٣/١٠٥، طبعة عيسى البابي الحلبي.

٢٣– هذا البيت لا يعرف قائله .

٢٤- المراديّ ، توضيح المقاصد ٢٥٠/١ - ٢٥٣ .
٢٥- الأشموني ، منهج السالك ١٧١/١ - ١٧٢ ، طبعة عيسى البابي الحلبي .
٢٦- المرادي ، توضيح المقاصد ٣٣٩/١ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ .
٢٧- الأشموني ، منهج السالك ٢٧٦/١ ، ٢٧٧ ، طبعة عيسى البابي الحلبي .
٢٨- أي النيابة عن الفاعل .
٢٩- أي الفرزدق في مدح زين العابدين .
٣٠- المرادي، توضيح المقاصد ٣١/٢ .
٣١- الأشموني، منهج السالك ٦٥/٢، طبعة عيسى البابي الحلبي .
٣٢- المرادي، توضيح المقاصد ٣٢/٢.
٣٣- الأشموني، منهج السالك ٦٦/٢.
٣٤- المرادي، توضيح المقاصد ٣٣/٢.
٣٥- الأشموني، منهج السالك ٦٨/٢، طبعة عيسى البابي الحلبي.
٣٦- المرادي ، توضيح المقاصد ١٩١/٣ .
٣٧- الأشموني، منهج السالك ٩٠/٣، طبعة عيسى البابي الحلبي .
٣٨- المرادي ، توضيح المقاصد ١٩٢/٣ .
٣٩- الأشموني، منهج السالك ٩١/٣، طبعة عيسى البابي الحلبي .
٤٠- المرادي، توضيح المقاصد ١٩٣/٣ .
٤١- الأشموني، منهج السالك٣/٩١، طبعة عيسى البابي الحلبي .
٤٢- المرادي ، توضيح المقاصد ٢٣٨/١ .
٤٣- الأشموني، منهج السالك ١٩٠/١، طبعة محي الدين عبدالحميد .
٤٤- المرادي ، توضيح المقاصد ٢٤٧/١ ، ٢٤٨ .
٤٥- الأشموني ، منهج السالك ٢٠٣/١ ، طبعة محمد محي الدين عبدالحميد .
٤٦- المرادي ، توضيح المقاصد ٣١٥/١ .
٤٧- الأشموني ، منهج السالك ٤٠٦/١ ، طبعة محمد محي الدين عبدالحميد .
٤٨- المرادي ، توضيح المقاصد ٣٥٩/١ - ٣٦٠ .
٤٩- الأشموني ، منهج السالك ٥٢٨/١ ، طبعة محمد محي الدين عبدالحميد .
٥٠- رجز لا يعرف قائله .
٥١- المراديّ، توضيح المقاصد ١٢٠/٦.
٥٢- الأشموني ، منهج السالك ٣٥٥/٤ ، طبعة عيسى البابي الحلبي .
٥٣- انظر منهج السالك ١٠٧/٢ ، توضيح المقاصد ٧٢/٢ - ٧٣ .
٥٤- انظر منهج السالك ٢٠٩/٢ ، توضيح المقاصد ١٩٩/٢.
٥٥- انظر منهج السالك ٤٥/٣ ، توضيح المقاصد ١١٥/٣-١١٦.
٥٦- انظر مثلاً :
- توضيح المقاصد ١ /١٥٠ - ١٥١، منهج السالك ١٢١/١، طبعة عيسى البابي الحلبي .
- توضيح المقاصد ١ /٢٣٤ - ٢٣٦، منهج السالك ١٦٢/١، طبعة عيسى البابي الحلبي .
- توضيح المقاصد ١ /٢٣٨ ، منهج السالك ١٦٣/١، طبعة عيسى البابي الحلبي .
- توضيح المقاصد ١ /٢٤٧ - ٢٤٨، منهج السالك ١٦٩/١، طبعة عيسى البابي الحلبي .
- توضيح المقاصد ١ /٢٦٦ ، منهج السالك ١٨٤/١ ، طبعة عيسى البابي الحلبي .
- توضيح المقاصد ١ /٣١٤ - ٣١٥ ، منهج السالك ١/ ٢٤٩ - ٢٥٠، طبعة عيسى البابي الحلبي .
- توضيح المقاصد ٣١٦/١-٣١٧، منهج السالك ٢٥٢/١، طبعة عيسى البابي الحلبي .
- توضيح المقاصد ١ /٣٥٩ - ٣٦٠، منهج السالك ٢٩٤/١، طبعة عيسى البابي الحلبي .
- توضيح المقاصد ١ /٢٣٥ ، منهج السالك ٢٣٥/١ ، طبعة عيسى البابي الحلبي .
- توضيح المقاصد ٣ /٦ ، ٨ ، منهج السالك ٢٨٦/٢- ٢٨٧، طبعة عيسى البابي الحلبي.
- توضيح المقاصد ٩٦/٣ ، ٩٧، منهج السالك ٣٥/٣ ، ٣٦ ، طبعة عيسى البابي الحلبي .
وغيرها كثير .

تعدد آراء أبي حيان في المسألة الواحدة

الحسيني محمد القهوجي

كلية اللغة العربية بالرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إن تعدد الأقوال للعالم الواحد في المسألة الواحدة أمر شُهر به كثير من النحاة ، تجد ذلك عند الأخفش والمبرد وابن السراج وأبي علي الفارسي وابن مالك وأبي حيان وابن هشام وغيرهم.

ولقد عنيت في هذا البحث بجمع ماكان لأبي حيان من ذلك، وقبل أن أشرع في الموضوع أقدم الرجل في سطور، فأقول:

*** التعريف بأبي حيان :**

هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي الجياني النفزيّ ، ولد بغرناطة سنة أربع وخمسين وست مئة من الهجرة ، وتلقى العلم بها ، ثم غادرها سنة ثمان وسبعين وست مئة على الأرجح ، وطاف بالبلاد إلى أن استقر به المقام بالقاهرة ، وكثر شيوخه كثرة بالغة حتى بلغ عددهم نحو أربع مئة وخمسين عالمًا، كما ذكر عن نفسه[١] ، إذ إنه كان يرى ضرورة أخذ العلم عن المشايخ ، وأنه لايصح أخذه من الصحف وحدها ، ويكفي الرجل عيبًا عنده أن يكون قد اكتسب علمه من الصحف وحدها ، وأنشد في ذلك شعرًا، يقول[٢]

يظن الغمر أن الكتب تهدي	**أخــا فهـم لإدراك العلـوم**
وما يدري الجهول بأن فيهـا	**غوامض حيرت عقـل الفهيم**
إذا رمت العلوم بغيـر شيخ	**ضللت عن الصراط المستقيم**
وتلتبس الأمور عليـك حتـى	**تصير أضل من توما الحكيم**

ومن هؤلاء الشيوخ أبو الحسن الأبّذي ، وأبو الحسن ابن الضائع وأبو جعفر الثقفي وأبو جعفر الفهري والبهاء ابن النحاس[٣] .

أما عن ثقافته وعلمه ومكانته فحدث ولا حرج ، فقد صنف - رحمه الله - في التفسير والحديث والفقه والتصوف والنحو والصرف واللغة والبلاغة والعروض والتاريخ والتراجم والأديان الأخرى بالعربية وغيرها ، ومن مصنفاته تفسير البحر المحيط والنهر الماد من البحر وكلاهما في التفسير ؛ والتذييل والتكميل في شرح التسهيل وارتشاف الضرب من كلام العرب ومنهج السالك إلى ألفية ابن مالك، وثلاثتها في النحو.

وكان له تلاميذ كثيرون شهر منهم عدد كبير في حياته ، منهم ابن أم قاسم المرادي، وابن مكتوم وتقي الدين السبكي والسمين الحلبي وابن هشام الأنصاري[٤].

ومات - رحمه الله - في الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبع مئة بالقاهرة[٥] .

أما ما استطعت جمعه من المسائل التي له فيها أكثر من رأي فنحو خمسين مسألة ، وسأعرض لبعضها محاولاً الوقوف على الرأي الأخير له ، ومناقشًا ومرجحًا ماأراه راجحًا .

*** المسألة الأولى : في تعريف الكلام .**

عرف أبو حيان الكلام في الارتشاف [٦] بقوله : «قول دال على نسبة إسنادية مقصودة لذاتها» ، ثم ذكر أن قيد (مقصودة لذاتها) لازم لتخرج جملة الصلة ، نحو: جاءني الذي خرج أبوه ، والجملة المضاف إليها أسماء الزمان ، نحو: قمت حين قاموا، وعرفه في غاية الإحسان واللمحة البدرية بقوله : «قول دال على نسبة إسنادية»[٧] فلم يذكر هذا القيد، بل ذهب بعد ذلك في التذييل والتكميل إلى أن هذا القيد غير لازم، ورد كلام ابن مالك

حين ذكر هذا القيد، وقال[٨]: «لم أر هذا القيد لأحد من النحويين غيره ، ويمكن أن ينازع فيه من وجهين» ، ثم ذكر الوجهين ، وأولهما : أن جملة الصلة كلام بدليل أنهم شرطوا في الصلة أن تكون جملة خبرية ، والخبر أحد أقسام الكلام ، فثبت بذلك أنها كلام . والثاني: أنه يمكن أن يقال إن جملة الصلة لم تتضمن إسناداً مفيداً مقصوداً، فهي غير داخلة في الكلام حتى يحترز عنها.

ثم ذكر أن الجملة المضاف إليها في تقدير المفرد، فصورتها صورة مافيه إسناد ، والمعنى على التركيب التقييدي.

والذي أراه أن هذا القيد لازم في تعريف الكلام ، والراجح أن هذا الرأي هو آخر قولي أبي حيان ، فالارتشاف بعد التذييل قطعًا ، وقد ورد فيه هذا القيد، وأما ماستدل به الشيخ في التذييل فمدفوع ، أما الأول فالجواب عنه أن جملة الصلة كانت كلامًا قبل جعلها صلة ، ثم بعد جعلها صلة أو إضافتها صار لها حكم آخر، كما أن قولك (قام زيد) كلام تام، فإذا أدخلت عليه أداة شرط لم يكن كلامًا.

وأما الثاني فمدفوع أيضًا بأن جملة الصلة تضمنت الإسناد المفيد المقصود، وإنما حكم لها بحكم الجزء من الموصول من حيث إنها لاتتقدم عليه ولا يفصل بينها وبينه بأجنبي وغير ذلك من الأحكام ، وهذا لايخرجها عن أن يكون فيها تركيب إسنادي، وأما ماذكره في الجملة المضاف إليها فليس فيه ماينفي عنها الإسناد، والتأويل بالمفرد لاينفي الإسناد، وإنما أولت لتصح الإضافة [٩] .

* **المسألة الثانية : في أنواع الإعراب .**

ذهب الشيخ في غاية الإحسان [١٠] إلى أن ألقاب الإعراب أربعة ، وهي: الرفع والنصب والجر والجزم ، فقال: «وألقابه : رفع ونصب في اسم وفعل، وجر في اسم، وجزم في فعل» ، ثم ذهب في التذييل والارتشاف إلى أن أنواع الإعراب ثلاثة، وهي : الرفع والنصب والجر ، وقال: «وإذا تقرر هذا بطل أن تكون أنواع الإعراب أربعة ،لأن ثلاثة منها ثبوتيات والواحد عدمي؛ لأنه عدم تلك الثبوتيات، وما يكون عدمياً لايشترك في النوع مع الوجودي،فإذن ليست أنواع الإعراب أربعة»[١١] .

هذا، وما ذهب إليه الشيخ أولاً هو مذهب جمهور البصريين ، وأما رأيه الثاني والأخير فهو مذهب المازني والكسائي وأكثر الكوفيين[١٢] .

والأرجح أن علامات الإعراب أربعة ، لا ثلاثة ، وإلا فماذا نقول عن الجزم في الفعل، أيكون بناءً ، وما الإشكال في أن يكون بعض العلامات ثبوتيّاً والآخر عدمياً؟ لا إشكال في ذلك ، إذ العلامة كما تتحقق بوجود الشيء تتحقق بعدمه [١٣] .

* **المسألة الثالثة : في المحذوف من نوني الرفع والوقاية :**

الأفعال الخمسة ترفع بثبوت النون ، فإذا اتصلت بها في حالة الرفع ياء المتكلم جاز فيها ثلاثة أوجه : اجتماع نون الرفع ونون الوقاية ، وإدغام نون الرفع في نون الوقاية، وحذف إحدى النونين، وبالأوجه الثلاثة قرئ قوله تعالى ﴿أفغير اللّه تأمرونّي﴾ [١٤] .

واختلف في المحذوف من النونين، فذهب سيبويه وأكثر المتأخرين إلى أن المحذوف هو نون الرفع ، وذهب المبرد وأبو علي الفارسي وابن جني إلى أن المحذوف هو نون الوقاية [١٥] .

واختار أبو حيان في منهج السالك مذهب سيبويه ، فقال[١٦] : «وتحذف - يريد نون الرفع - أيضًا لنون الوقاية، نحو قراءة ﴿أتحاجوني في الله﴾ بتخفيف النون» ، واختار في التذييل والتكميل مذهب المبرد، فقال[١٧]: «فكان حذف نون الوقاية أولى» .

ومن أدلة مذهب المبرد أن نون الوقاية يجوز حذفها لكثرة الأمثال في : إنني وكأنني، فحذفها هنا أولى .

والصحيح مذهب سيبويه ، وهو الاختيار الأول لأبي حيان ، وقد استدل لصحته ابن مالك بأمور، أولها : أن نون الرفع تحذف دون سبب مع عدم ملاقاتها نون الوقاية، ومنه قوله :

أبيتُ أسري وتبيتي تدلكـــي
وجهكِ بالعنبر والمسك الذكي[١٨]

ولا تحذف نون الوقاية المتصلة بفعل غير متصل بنون الرفع ، وحذف ماعهد حذفه أولى ، الثاني: أن نون الرفع نائبة عن الضمة ، وقد حذفت الضمة في الفعل للتخفيف، نحو قوله تعالى :﴿وما يشعرْكم﴾ ، فحذف النون النائبة عنها تخفيفًا أولى ، وليؤمن بذلك تفضيل الفرع على الأصل، الثالث: أن حذف نون الرفع يؤمن معه حذف نون الوقاية ، إذ لايعرض لها مايوجب حذفها ، أما حذف نون الوقاية فلا يؤمن معه حذف نون الرفع عند الجزم أو النصب، وحذف مايؤمن بحذفه حذف أولى . الرابع : أنه لو حذفت نون الوقاية لاحتجنا إلى كسر نون الرفع ، وإذ حذفت نون الرفع لم نحتج إلى تغيير ثان، وتغيير يؤمن معه تغيير أولى من تغيير لايؤمن معه تغيير(١٠)، ويمكن أن يستدل له أيضًا بأن نون الوقاية كلمة ، ونون الرفع جزء كلمة ، وحذف الجزء أيسر من حذف الكل.

*** المسألة الرابعة : في الإعراب المقدر.**

من المعلوم أن الاسم المعتل يرفع ويجر بعلامة مقدرة، وينصب بفتحة ظاهرة ، وكذلك الفعل المعتل تقدر فيه الضمة ، وتظهر عليه الفتحة ، لكن ذكر أبو حاتم السجستاني لغة لبعض العرب يقدرون الفتحة في كل من الاسم والفعل، كالضمة والكسرة [٢١] وذهب أبو حيان إلى ذلك في تفسيره البحر المحيط عند تفسير قوله تعالى ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ [٢٢] ، فقال: «وقرأ الحسن (أو يعفوْ) بتسكين الواو ، فتسقط في الوصل، لالتقائها ساكنة مع الساكن بعده ، فإذا وقفت أثبتها ، وفعل ذلك استثقالاً للفتحة في حرف العلة ، فتقدر الفتحة فيها كما تقدر في الألف في نحو: محمد يخشى ، وأكثر العرب على استخفاف الفتحة في الواو والياء، نحو: لن يرمي ولن يغزو» [٢٣]، وإذا كان أكثر العرب على استخفاف الفتحة - كما ذكر - فقليل منهم يستثقلها ويحذفها ، لكنه ذهب في منهج السالك والتذييل إلى أن هذا الذي ذكره أبو حاتم مذهب مخالف لما عليه الجمهور، وأنه لايجوز إلا في الضرورة الشعرية ، فيقول: «وما ذهب إليه المصنف هو جنوح إلى مذهب أبي حاتم وترك جادة ماعليه الجمهور بأن هذا كله من ضرائر الشعر الحسنة» [٢٤] .

وما ذهب إليه أبو حيان في البحر المحيط هو الأولى بالقبول، وإذا كان هذا لغة لبعض العرب فليس لنا رده ، وقد ورد في القرآن الكريم في بعض القراءات ، فليس لنا أن نقصره على الضرورة ، ومن ذلك غير ماذكر قراءة جعفر بن محمد ﴿من أوسط ماتطعمون أهليكم﴾[٢٥]، ثم إنه لايسوغ لنا تسمية هذا مذهب، إذ هو لغة ، واللغة غير المذهب.

*** المسألة الخامسة : في ترتيب المعارف.**

مذهب أكثر النحاة سيبويه والصيمري وابن عصفور وغيرهم أن المعارف خمسة، وهي: العلم والمضمر واسم الإشارة والمعرف بأل والمضاف إلى أحدها ، وزاد بعضهم في المعارف الموصول والمنادى، واختلفوا في مراتبها ، فذهب ابن حزم إلى أن المعارف كلها متساوية ، وذهب الجمهور إلى أنها متفاوتة ، لكنهم اختلفوا بعد ذلك في ترتيبها ، فذهب الكوفيون وابن الأنباري إلى أن اسم الإشارة أعرفها ، وذهب سيبويه والجمهور إلى أن أعرفها الضمير ثم العلم ثم اسم الإشارة ثم مافيه (أل) ، وذهب السيرافي إلى أن العلم أعرفها ثم المضمر ثم المبهم ثم مافيه (أل)[٢٦] .

واختار أبو حيان مذهب سيبويه والجمهور في كتابيه منهج السالك والنكت الحسان ، فقال: «وهي مضمر وعلم ومبهم ومعرف بأل ومضاف، المشهور أن المعارف خمسة ، وأن رتب الأربعة المتقدمة في التعريف كسردها» [٢٧] .

واختار مذهب السيرافي في كتابه الارتشاف، فقال:[٢٨] «والذي اختاره أن المعارف خمس، أعرفها العلم الشخصي ثم المضمر ثم المبهم ثم ذو (أل)» .

والأرجح ماذهب إليه سيبويه والجمهور واختاره

الشيخ أولاً ، وهو أن الضمير أعرف المعارف، وقد فصل ابن مالك هنا تفصيلا حسنًا ، فذهب إلى أن أعرف المعارف ضمير المتكلم ثم المخاطب ثم العلم ثم الغائب ثم اسم الإشارة ، قال: لأن ضمير المتكلم يدل على المراد بنفسه وبمشاهدة مدلوله ، وبعدم صلاحيته لغيره ، ولأن ضمير المخاطب يدل على المراد بنفسه وبمواجهة مدلوله ، ولأن العلم يدل على المراد به حاضراً وغائبًا على سبيل الاختصاص(٢٩).

*** المسألة السادسة : في (أولئك) .**

ذهب أبو حيان في غاية الإحسان ومنهج السالك إلى أن (أولئك) اسم إشارة للبعيد، فقال: «ولوسط أولاك ، ولبعيد أولئك» (٣٠) .

لكنه ذهب في التذييل والتكميل والارتشاف إلى أن (أولئك) اسم إشارة للوسطى حيث قال: «ومما يستدل به أن (أولئك) للوسطى مثل (أولاك) قول الشاعر :

ياما أُميلح غزلانًا شَدَنَّ لنا

من هؤليائكن الضال والسمر (٣١)

ووجه الدلالة أنه قد تقرر أن (ها) التنبيه لاتجامع اللام ، لأن اللام لاتكون إلا للبعيد، وتجامع القريب والوسط فتقول : هذا وهذاك ، ولا تقول : هذالك ، وتقول: هؤلاء وهؤلاك وهؤلئك، فلو كانت (أولئك) للبعيد لما دخلت عليها (ها) التنبيه ، لأن (ها) التنبيه لاتجامع البعيد» (٣٢).

والراجح مااختاره الشيخ في التذييل والارتشاف وهو قوله الأخير، وهو أن (أولئك) للوسطى، لأنهم نصوا على أن اسم الإشارة للقريب يكون مجرداً من الكاف واللام، وللمتوسط يكون بالكاف، وللبعيد يكون بالكاف واللام، و(أولئك) مجرد من اللام ، فلا يكون للبعيد (٣٣) .

*** المسألة السابعة : في (ليس) و(عسى).**

مذهب جمهور النحاة أن (ليس) و(عسى) فعلان ، لكن خالف أبو علي الفارسي في(ليس) فذهب إلى أنها حرف في كتابه المسائل البصريات (٣٤) ، وذهب إلى أنها فعل في كتابه الإيضاح (٣٥)، كما نُقل عن ابن شقير القول بحرفيتها ، ونسب لابن السراج القول بحرفية (ليس) و(عسى)(٣٦) وما في الأصول يخالف ذلك(٣٧) .

ولأبي حيان فيهما قولان، فذهب في منهج السالك إلى أنهما حرفان ، كما ذهب في البحر المحيط إلى أن (ليس) حرف، فقال في منهج السالك:(٣٨) «وقد وجدنا أفعالاً لامصادر لها ، إما لمضارعتها الحرف ، كنعم وبئس، وإما لكونها حرفًا في الحقيقة، لكن تسامح النحويون في تسميتها أفعالاً كـ(ليس وعسى)» . وقال في البحر(٣٩) «و(ليس) إنما تدل على نفي الحكم الخبري عن المحكوم عليه فقط، فهي كـ(ما) ، لكنه لما اتصلت بها ضمائر الرفع جعلها ناس فعلاً ، وهي في الحقيقة حرف نفي كـ(ما) النافية» .

وذهب في غير هذين إلى أنهما فعلان، فقد ذكر أخوات (كان) وجعل منها (ليس) وذكر (عسى) مع أفعال المقاربة ، ثم قال في (ليس) : «وكلها تتصرف إلا (ليس) و(دام) ، وتستعمل تامة إلا (ليس) و(زال)» (٤٠)، وقال في (عسى) : «وكاد وكرب وأوشك وأولى وعسى ، خلافًا لأحمد، إذ زعم أنها حرف لافعل، ونسب ذلك إلى ابن السراج» (٤١)، وقال فيهما : «الفعل متصرف وهو مااختلفت بنيته لاختلاف زمانه ، وجامد (ليس) و(عسى) ، وقد تقدما ، ونعم وبئس وحبذا وفعلا التعجب»(٤٢) .

والصحيح أنهما فعلان، وذلك لاتصال الضمائر بهما، وهو مااستدل به ابن السراج على فعلية (ليس) ، فقد قال: «فأما (ليس) فالدليل على أنها فعل وإن كانت لاتتصرف تصرف الفعل قولك : لست كما تقول: ضربت، ولستما كضربتما» (٤٣) .

*** المسألة الثامنة : في خبر (ليس) .**

في مجيء خبر (ليس) جملة فعلية فعلها ماضٍ خلاف، فذهب بعضهم إلى جوازه بشرط أن يكون اسمها ضمير الشأن ، وذلك نحو: ليس خلق الله مثله ، وحكى سيبويه : ليس خلق الله أشعر منه ، وذهب بعضهم إلى جوازه مطلقًا، ولم يشترطوا ذلك الشرط .

واختار أبو حيان في كتابيه غاية الإحسان والنكت الحسان الجواز مع اشتراط ذلك الشرط، فقال : «فإن صدرت الخبرية بماض فلا تقع خبراً لـ(صار) وما بعدها ، إلا (ليس) ، فتقع إن كان اسمها ضمير أمر» (٤٤) .

لكنه في التذييل والارتشاف لم يشترط هذا الشرط، ورد كلام من اشترطه ، فقال: «وتحصل من ذلك أن الماضي يقع خبرا لـ(ليس) على الإطلاق، وقد حكى ابن عصفور اتفاق النحويين على ذلك من غير تقييد لابضمير أمر ولا غيره ، فتخصيص ذلك بما كان اسمها ضمير الشأن ليس بصحيح» (٤٥) .

والظاهر أن اشتراط ذلك - وهو القول الأول من قولي الشيخ - ليس بمردود ، إذ ماذكروه من شواهد لذلك جاء اسم (ليس) فيه ضمير شأن.

* المسألة التاسعة : في (فتئ).

(فتئ) من أخوات (كان) ، وتعمل عملها بشرط أن تسبق بنفي أو نهي، ولو تقديراً، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ تالله تفتأ تذكر يوسف ﴾ (٤٦)، وتأتي تامة فيكون معناها: كسر وأطفأ وسكن.

وذهب أبو حيان إلى ذلك في النكت الحسان ، فقال:(٤٧) «وذكر بعض أصحابنا أن (فتئ) لاتكون أيضًا إلا ناقصة وليس بشيء ، إذ حكى بعض النحويين واللغويين (فتئ) بمعنى : سكن وبمعنى: أطفأ» .

لكنه في التذييل والتكميل يذكر مجيئها تامة ، ويلزمها النقص، فيقول: «وهذا الذي ذكره المصنف أن (فتئ) تتم فتكون بمعنى كسر أو أطفأ وهم وتصحيف - والله أعلم - نبه عليه الأمير العالم علاء الدين علي بن الفارسي، وكشف مادة (فتأ) في الصحاح والمحكم والصاغاني فلم يجد أحداً منهم ذكر أن (فُتِئ) تكون تامة بمعنى سكن أو كسر أو أطفأ، وإنما ذكر ذلك في مادة (فثأ) بالثاء» .

والصحيح أنها تأتي تامة وناقصة ؛ فقد أثبت لها التمام الفراء وابن القطاع وابن القوطية والفيروزأبادي والزبيدي وغيرهم(٤٩) .

* المسألة العاشرة : في (لا).

تعمل (لا) عمل (ليس) عند الجمهور، وذهب الأخفش إلى أنها لاتعمل ذلك العمل، وذهب الزجاج إلى أنها ترفع الاسم فقط، ولا تنصب الخبر، والذين ذهبوا إلى أنها تعمل عمل (ليس) اختلفوا في شروط إعمالها، فذهب بعضهم إلى وجوب تنكير معموليها، ولم يشترط ذلك البعض.

أما صاحبنا فقد اضطرب كلامه هنا اضطراباً بيِّنًا ، فذهب في غاية الإحسان إلى أنها تعمل عمل (ليس) فقال(٥٠) : «وتعمل (لا) عملها أيضًا ، بشرط تنكير معموليها ونفي الخبر وتأخيره» . ثم ذهب إلى أن عملها قليل، فقال: «وتعمل (لا) عمل (ما) ، وعملها قليل، بخلاف عمل(إن)، ودعوى ابن مالك العكس باطلة» (٥١)، ثم نراه يذكر أن إعمالها قليل جداً فيقول: « و(لا)إعمالها قليل جداً» (٥٢) ، ثم يذهب إلى أن إعمالها في غاية الشذوذ، فيقول: « بل سمع إعمالها عمل (ليس) ، ولكنه في غاية الشذوذ والقلة» (٥٣)، وأخيراً يرى أنها لاتعمل فيقول: « وهذا كله يدل على أن إعمال(لا) إعمال (ليس) ضعيف جداً، ولو ذهب ذاهب إلى أنه لايجوز أن تعمل (لا) هذا العمل لذهب مذهب حسنًا، إذ لايحفظ ذلك في نثر أصلاً ، ولا في نظم إلا في بيت نادر ينبغي ألا تبنى عليه القواعد، وليس في كتاب سيبويه مايدل على أن إعمالها إعمال(ليس) مقيس مطرد» (٥٤). فانظر إلى أي حد اضطرب في كلامه ، ثم إنه اختلف رأيه أيضًا في شروط إعمالها ، فبينما نراه يشترط تنكير معموليها في غاية الإحسان كما سبق النقل عنه ، نراه لايشترط ذلك الشرط في النكت الحسان ، فيقول: (٥٥) «وذكر الشجري أنها عملت في المعرفة، وأنشد بيت النابغة المتقدم، وقد تأولوه ، وحمله على ظاهره أولى ، وتكون تعمل في المعرفة والنكرة ، كـ (ليس)،لأنه لم يجئ لنا عملها في النكرة كثيراً حتى نجعله أصلا ونجعل غيره شاذاً». والبيت المشار إليه هو :

وحلت سواد القلب لاأنا باغيا
سواها ولا عن حبها متراخيا(٥٦) .

والصحيح أن (لا) تعمل عمل (ليس) كما هو مذهب الجمهور، فقد نص عليه كثير من النحاة، ولورود السماع به، وليس الوارد منه بيتًا واحدًا كما ذكر الشيخ، ومن شواهد ذلك:

تعز فلا شيءٌ على الأرض باقيا

ولا وزرٌ مما قضى الله واقيا[٥٧]

وقوله:

نصرتك إذ لاصاحبٌ غير خاذل

فبوئت حصنا بالكماة حصينا[٥٨]

كما أنه لايشترط تنكير معموليها، لورود السماع بخلافه، ومن ذلك غير البيت المتقدم ذكره:

أنكرتُها بعد أعوام مضين لها

لا الدارُ دارًا ولا الجيرانُ جيرانا[٥٩]

وعليه جاء قول المتنبي:

إذا الجود لم يرزق خلاصًا من الأذى

فلا الحمدُ مكسوبًا ولا المال باقيا[٦٠]

وقد ذكر ابن الشجري أن الأعرف إعمالها في النكرة، ولم ينكر إعمالها في المعرفة، وذكر أن ابن جني لم ينكره في شعر المتنبي[٦١].

* المسألة الحادية عشرة: في (لات).

مذهب سيبويه والجمهور أن (لات) حرف، وأنها تعمل عمل (ليس)، وأصلها (لا) زيدت عليها التاء، وذهب الأخفش إلى أنها لاتعمل، وذهب بعضهم إلى أنها فعل ماض بمعنى نقص، وذهب ابن أبي الربيع إلى أن أصلها (ليس) أبدلت السين تاء[٦٢].

واضطرب رأي أبي حيان فيها، فتارة يذهب إلى أنها فعل، وأن أصلها (ليس) وأنها تعمل، وأخرى يرى أنها حرف وأنها لاتعمل، ثم ينسب لسيبويه القول بأنها فعل، ثم يعود فينسب إليه القول بحرفيتها.

استمع إليه وهو يقول: «ومما يقوي عندي أن أصل (لات): (ليس) كما ذكر، أن اسمها لايكادون يلفظون به، وهو لايجوز أن يكون محذوفًا، لأن اسم (لا) لايحذف؛ لأنه مشبه باسم (ليس)، واسم (ليس) لايحذف؛ لأنه مشبه بالفاعل، والفاعل لايحذف على قاعدة البصريين، وإذا بطل أن يكون محذوفًا تعين أن يكون مضمرًا، فإن قلنا إنها (لا) النافية زيدت عليها التاء بطل ادعاء الإضمار؛ لأن الحروف لايضمر فيها، فتعين أن تكون فعلا، وقد نص سيبويه رحمه الله في كتابه على أن اسمها مضمر، فيلزم منه ألا تكون حرفًا»[٦٣]، فذهب إلى أنها فعل وأنها عملت لأن أصلها (ليس)، كما نسب إلى سيبويه القول بأنها فعل. ثم استمع إليه وهو يقول في كتاب آخر: «والأولى عندي أن (لات) لاتعمل شيئًا، وإن كان معناها معنى (لا)؛ لأنها كما ذكرنا لايحفظ لها الإتيان باسمها وخبرها مثبتين، فنقول في قوله تعالى ﴿ولات حين مناص﴾ في قراءة من قرأ بالنصب وأعملها إعمال (ليس) وادعى أن اسمها لايلفظ به، وأن (حين مناص) انتصب خبرًا لها، لايخلو هذا الاسم المدعى أنه مرفوع بها ولم يلفظ به من أمرين، إما أن يكون مضمرًا أو محذوفا، لاجائز أن يكون مضمرًا في (لات)؛ لأن الحروف لايضمر فيها، ولا جائز أن يكون محذوفا؛ لأنها أجريت مجرى (ليس) في العمل، و(ليس) هي الأصل، واسم (ليس) لايجوز حذفه، فكذلك اسم (لات) لايجوز حذفه؛ إذ لو جاز حذف اسم (لات) لكانوا قد تصرفوا في الفرع مالم يتصرفوا في الأصل...»[٦٤] فذهب إلى أنها حرف، وأنها لاتعمل.

ثم استمع إليه وهو يبين مذهب سيبويه فيها، فيقول: «وقوله - يريد سيبويه - (مضمر فيها مرفوعًا) لايريد الإضمار حقيقة؛ لأن الحروف لايضمر فيها، بل يريد: يحذف المرفوع معها، وسماه إضمارًا بجامع مااشتركا فيه من أن كل واحد منهما لايكون ملفوظًا به ...»[٦٥]، فذهب إلى أنها حرف عند سيبويه.

والأرجح أن (لات) حرف، وأنها تعمل عمل ليس، والقول بأن أصلها (ليس) لادليل عليه، والصحيح من مذهب سيبويه أنها حرف، وأن المراد بالإضمار في كلامه الحذف.

*** المسألة الثانية عشرة : في خبر (كاد وكرب).**

(كاد) و(كرب) من أفعال المقاربة ، والمشهور أنه يجوز أن يقترن خبرهما بأن ، ويجوز أن يأتي مجرداً ، وتجرده أكثر من اقترانه ، وهذا ماذهب إليه أبو حيان في النكت الحسان ، فقال[٦٦] : «وخبرهن مضارع ، لايجيء اسمًا ولا جملة اسمية إلا شاذاً ... ولا تدخل عليه (أن) إذا كان خبراً لما هو للشروع» ، فدل ذلك على أنها تدخل على خبر ماسوى ذلك من أفعال المقاربة ، ومنها (كرب وكاد) .

لكنه ذهب في غير النكت الحسان إلى أن خبرهما لايقترن بأن إلا ضرورة ، فقال: «قوله (وكاد الأمر فيه عكسا) يعني أن مجيء المضارع بعدها مقرونًا بأن قليل، ودونها كثير، وهذا لاتحرير فيه ؛ لأن دخول (أن) على المضارع خبر (كاد) بابه الشعر، وهو مختص به ، هكذا يقول أصحابنا ويزعم هذا الناظم أن هذا يجوز في الكلام على قلة ، ويستدل بأثر عن عمر رضي الله عنه وهو : (ماكدت أن أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب)»[٦٧].

والصحيح ماعليه الجمهور، وهو مااختاره الشيخ أولاً ، وهو أن الكثير في خبر (كاد وكرب) التجرد، وأنه يجوز اقترانه بأن لكنه قليل، وليس مخصوصاً بالضرورة ، وذلك لكثرة الشواهد الواردة من ذلك شعراً ونثراً ، والتي منها قول أنس رضي الله عنه: «فما كدنا أن نصل إلى منازلنا»[٦٨]، وقول بعض الصحابة : «والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج» [٦٩] ، وقول جبير: «كاد قلبي أن يطير»[٧٠] . وما روي عن الرسول ﷺ «كاد الحسد يغلب القدر، وكاد الفقر أن يكون كفرا» [٧١] ، هذا غير الشواهد الشعرية الكثيرة التي توحي كثرتها بأن الأمر ليس ضرورة .

*** المسألة الثالثة عشرة : في (أنّ وكأنّ).**

من أحكام (أنّ) و(كأنّ) أنهما يخففان ويظل لهما العمل ، لكن ذهب بعضهم إلى أنه يشترط في اسمهما أن يكون ضمير الشأن محذوفًا ولم يشترط ذلك البعض.

وذهب أبو حيان إلى اشتراط ذلك في غاية الإحسان والنكت الحسان ومنهج السالك ، فقال: «وتخفف (لكن) فتهمل، و(أنّ) و(كأنّ) فيعملان في اسم ضمير أمر» [٧٢]، وقال: «وقد يعملان في ظاهر أو مضمر غير الأمر والشأن، وذلك مختص بالشعر» [٧٣] .

لكنه لم يشترط ذلك في الارتشاف ، حيث قال: [٧٤] «وينبغي أن يخص بمضمر محذوف ، ولا يلزم أن يكون ضمير الشأن كما زعم بعض أصحابنا ، بل إذا أمكن تقديره بغيره قدر ، قال سيبويه ﴿وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ [٧٥] بأنك قد صدقت، وفي قوله : أرسل إليه أن ماأنت وذا ، أي: بأنك ماأنت وذا» .

والصحيح عدم اشتراط ذلك ، وهو آخر قولي الشيخ، ولم يشترط ابن مالك ولا ابن هشام سوى الإضمار، وهو ظاهر مذهب سيبويه [٧٦] .

*** المسألة الرابعة عشرة : في (إنّ).**

(إنّ) حرف توكيد ونصب تدخل على الجملة الاسمية فتنصب الاسم وترفع الخبر، وتأتي حرف جواب بمعنى (نعم) ، ولا تعمل شيئًا ، هذا مذهب الجمهور، سيبويه والأخفش والمبرد والرماني وغيرهم.

وذهب أبو حيان مذهب الجمهور في النكت الحسان فأثبت لها هذا الاستعمال، فقال: «حروف الجواب: نعم وبلى وأجل، والصحيح أن (إنّ) ترادف (نعم) فتكون حرف جواب، ولا يكون لها اسم ولا خبر» [٧٧] .

لكنه في التذييل والتكميل أنكر هذا الاستعمال، فقال: «وما ذكروه لاينهض دليلاً على مرادفة (إنّ) (نعم)، إذ يحتمل أن تكون هي العاملة» [٧٨] ، ثم شرع في تأويل مااستدلوا به على ذلك ، ثم قال: «وهذا المذهب أولى ؛ لأنه تقرر فيها أنها تنصب الاسم وترفع الخبر، ولم يستقر فيها أن تكون بمعنى نعم» [٧٩] .

والراجح ثبوت هذا المعنى لـ(إنّ) ، لنص العلماء عليه ، سيبويه والأخفش والزجاج والمبرد والرماني وابن منظور والمالقي وابن مالك وابن هشام وغيرهم [٨٠]، ولكثرة الشواهد الواردة من ذلك ، والتي منها : قول

عبدالله بن الزبير لمن قال له : لعن الله ناقة حملتني إليك : إنّ وراكبها، ومنها قول حسان :

يقولون :أعمى، قلتُ : إنَّ وربما

أكون وإني من فتــى لبـصير [٨١]

وقوله :

قالوا : أخفت فقلت: إنّ وخيفتي

ماإن تــزال منوطـــةً برجائي [٨٢]

وفي تأويل هذه الشـــواهد تكلف لامـــوجب له ، وإجحاف بالجملة حتى قيل بحذفها فلم يبق منها إلا حرف واحـد، ولا يحق لنا القـول بذلك إلا إذا اضطررنا إليـه ، ولسنا مضطرين إلى ذلك لثبوت هذا المعنى لـ(إنّ) .

*** المسـألة الخـامسـة عشرة : في جـملة الاسـتفـهام الواقعة بعد متعد لواحد.**

إذا وقعت جملة الاستفهام بعد فعل متعد إلى واحد كانت في موضع نصب مفعوله ، نحو: عرفت أبو من زيد؟، فإن كان الفعل قد استوفى مفعوله قبلها كان في موقع هذه الجملة خلاف، فذهب المبرد والأعلم وابن خروف إلى أن الجملة في موضع الحال، وذهب السيرافي وابن عصفور في شـرح الجمل وابن الضائع إلى أنها بدل، وذهب أبو علي الفارسي وابن عصفور في المقرب إلى أنها مفعول ثانٍ، والفعل ضمن معنى فعل متعد لاثنين[٨٣] .

وذهب أبو حـيان في البـحـر المحـيط إلى أن الجـملة بدل، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها﴾ [٨٤] ، فقال: «والذي يقتضيـه النظر أن هذه الجملة في موضع البدل من العظام ... ونظير ذلك قول العـرب: عـرفت زيداً أبو من هـو ؟ على أحـد الأوجــه ، فالجملة من قولك (أبو من هـو) في موضع البدل من قوله (زيدًا) مفعول عرفت، وهو على حذف مضـاف، والتقدير: عرفت قصة زيد أبو من هو ؟» [٨٥] .

لكنه في كـتـاب آخـر يمنع إبدال الجـملة من المفـرد، ويذهب إلى أن الجملة مـفـعول ثان ، والفـعل ضـمن مـعنى فعل متعد لمفعولين ، فيقول: « وذهب أبو علي – فيما حكاه ابن جني– وأبو عبد الله بن أبي العافية إلى أنه في موضع المفـعول الثـاني لعرفت على أنهـا ضـمنت مـعنى(علمت)... والذي أخـتـاره هو هذا المذهب» [٨٦] ، ثم اسـتـدل على صحة ماذهب إليه بما يوقف عليه في كلامه .

والراجح إعراب الجملة بدلاً من (زيد) ؛ لأن التضمين لاينقاس، وليس هناك مـايمنع كونها بدلاً ، وإبدال الجملة من المفـرد لامـانـع منه، إذ المبـدل تابع ، وقـد ثبت النعت بالجملة وهو تابع، فما المانع من كون البدل جملة ، وتكون بدل اشـتـمـال كمـا ذهب إليـه ابن الضـائـع ، لابدل كل من كل كما ذهب إليه ابن عصفور، إذ على القول به يلزم تقدير محـذوف ، وهو ضمير القصة أو الشأن ونحوها، أما على القول بالاشتمال فلا تقدير، ومالايحتاج إلى تقدير أولى .

*** المسألة السادسة عشرة : في (رأى).**

تجري (رأى) العلمية مجرى (علم) فتنصب مفعولين ، تقـول: رأيت زيدًا شـجـاعًـا ، بمعنى علمت، وألحق بعض النحـاة بهـا (رأى) الحلمـيـة، فـأجـاز فـيـهـا أن تنصب مـفـعـولين، ومن هؤلاء أبو حـيـان في منهج السـالك ، فقـال[٨٧] : «وذكـر الناظر في هذا البـيت أنهـا إذا كـانت حلمـيـة تعـدت إلى اثنين، ومنه قـوله تعـالى ﴿إني أراني أعصر خمرا﴾ [٨٨]، ولما كـانت رأى المنامـيـة ليست رؤية حقيقية ، إنما هـو باب التمثيل والتخييل أجريت مجرى (حسب وخال) إذ هما لتصور الشيء من غير استثبات ولا دليل، فـجـعلوها تدخل على المبـتدأ والخبر، والدليل على ذلك أنها قد تعدت إلى ضميرين متصلين لواحد، أحدهما الضمير المستكن في (أرى) وهو الفاعل، والآخر هو الياء والرائي هو المرئي، فهمـا واحد، ولا يجوز ذلك إلا فيمـا كان من أفعال القلوب داخلاً على المبتدأ والخبر ، ألا ترى أنه لايجوز: بصرتُني ونظرتُني» .

كنه يذهب في التـذييل والارتشـاف إلى غـيـر ذلك ، ويرد استدلال ابن مالك على ذلك بالآية وبقول الشاعر:

أراهم رفقتي حتـى إذا ما

تفرّى الليل وانخزل انخـزالا [٨٩]

حيث نصب (رأى) اسمين معرفتين هما مبتدأ وخبر في الأصل، فقال: «ولا حجة فيما ذكره أما (أراهم رفقتي) فإنه يحتمل أن تكون (رأى) تعدت إلى واحد، وهو الضمير، و(رفقتي) في موضع الحال، وإن كان ظاهره التعريف فهو نكرة من حيث المعنى؛ لأن معنى الرفقة الرفقان ، وهم المخالطون، فرفيق بمعنى مرافق، فهو بمعنى اسم الفاعل، فإضافته غير محضة ، كجليس وخليط ، وأما ﴿أراني أعصر خمرا﴾ فلا يلزم مما ذكر أن يتعدى إلى مفعولين ، بل يكون ذلك مما جاء في غير ماتعدى إلى مفعولين، نحو: فقد وعدم ووجد بمعنى أصاب لابمعنى علم، فإنك تقول فيها : فقدتني ووجدتني وعدمتني، فكذلك هذا ، ويكون (أعصر) في موضع نصب على الحال، لافي موضع مفعول ثان» (٩٠) .

والراجح أن (رأى) الحلمية تجري مجرى (علم) كرأى العلمية ، فكل منهما إدراك بالحس، وهو اختيار كثير من النحاة (٩١) ، ويرجحه ماذكره ابن مالك ونقله الشيخ في منهج السالك في النص المتقدم ذكره ؛ ولأن تخريج الشواهد الواردة من ذلك على أن الثاني حال ضعيف ويحتاج إلى تأويل.

* المسألة السابعة عشرة : في (درى).

اختلف في (درى) فعدّه بعضهم من الأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، وذهب البعض إلى أنه ليس من أخوات (ظن).

وذهب أبو حيان في غاية الإحسان إلى أن (درى) من أخوات (ظن) فقال : (٩٢) «وهي: زعم وحجا وجعل وعلم ووجد وألفى ودرى وظن وحسب وخال ورأى وصير ورد وترك واتخذ وسمع المعلقة بعين» . ومما استدلوا به على ذلك قوله :

دُريت الوفيَّ العهد ياعرو فاغتبط

فإن اغتباطًا بالوفاء حميد(٩٣)

ثم ذهب أبو حيان في كتابه التذييل إلى أنها ليست من أفعال الباب، فقال : «ولم يذكر أصحابنا (درى) فيما يتعدى إلى اثنين ، ولعل قوله (دريت الوفي العهد) من باب التضمين ، ضمن ذلك معنى (علمت) والتضمين لاينقاس، ولا ينبغي أن يجعل أصلاً حتى يكثر ذلك ، ولا يثبت ذلك ببيت نادر محتمل» (٩٤) .

والراجح أن (درى) ليست من أفعال الباب ، وهذا آخر قولي أبي حيان ، فلم ينص أحد من متقدمي اللغويين أو النحاة على أنها من أخوات(ظن) ، بل إنها لاتتعدى بنفسها ، وإنما تتعدى بالجار ، فتقول: دريت به ، وقد استدلوا على ذلك ببيت واحد، وحاولت العثور على غيره فلم أجد، ولا تبنى قاعدة على بيت واحد، وإنما يحمل البيت على التضمين أو القلة.

* المسألة الثامنة عشرة : في حذف الفاعل.

مذهب الجمهور أن الفاعل لايجوز حذفه إلا مع المصدر نحو قوله تعالى ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾، أو مع عامله في نحو: زيداً في جواب : من أكرمت؟ أو في باب النائب عن الفاعل .

وذهب الكسائي وهشام بن معاوية إلى أنه يجوز حذف الفاعل وحده مع بقاء عامله واختاره السهيلي وابن مضاء، واستدلوا على ذلك بقوله :

عفق بالأرطى لها وأرادها

رجال فبذت نبلهم وكليب (٩٥)

وقوله :

إن كان لايرضيك حتى تردني

إلى قطري لاإخالك راضيا(٩٦)

وقوله تعالى ﴿وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم﴾ (٩٧) وقوله ﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا﴾(٩٨) .

واختار أبو حيان في غاية الإحسان مذهب الجمهور، فقال: «ولا يقدم على عامله ، ولا يحذف إلا مع المصدر أو منويًا عنه» (٩٩) .

لكنه يختار مذهب الكسائي ومن وافقه في التذييل في باب التنازع ، فيقول: «والإنصاف في هذه المسألة أنه يجوز حذف الفاعل ويجوز إضماره ، لثبوت الحذف في الأبيات التي استدل بها الكسائي وقوفًا مع الظاهر، ولثبوت الإضمار قبل الذكر في لسان العرب» (١٠٠) .

والصحيح ماذهب إليه الجمهور واختاره الشيخ أولاً ، وهو أن الفاعل لايحذف؛ لأنه عمدة ، ولأنه يصح الإضمار في كل ماورد من شواهد استُدل بها على جواز الحذف، فيقال إن في (تعفق) ضميرًا مستترًا تقديره (هو) يعود على الرجال، وهو جمع في تأويل المفرد، وأما البيت الثاني فتقديره : إن كان لايرضيك ماتشاهد مني، وأما الآية فتقديرها : أو لم يهد لهم كثرة إهلاكنا ، ولا مانع من الإضمار قبل الذكر، فقد ورد في غير ذلك ، ومنه : ربَّه فتى، ونعم رجلا، قال العلامة الرضي: «حذف الفاعل أشنع من الإضمار قبل الذكر؛ لأنه قد جاء بعده مايفسره في الجملة ، وإن لم يجئ لمحض التفسير» (١٠١) .

* المسألة التاسعة عشرة : في إعمال المصدر مجموعا.

يعمل المصدر عمل فعله بشروط، وقد اختلفوا في هذه الشروط، فذهب بعضهم إلى أنه يشترط في المصدر أن يكون مفردًا ، ومن ثم منع إعمال المصدر المجموع، وذهب بعضهم إلى عدم اشتراط ذلك ، واستدلوا على إعماله مجموعًا بشواهد منها قول العرب: تركته بملاحس البقر أولادها (١٠٢)، وقوله :

وقد وَعَدْتَكَ موعدًا لو وفت به
مواعيدَ عرقوب أخاه بيثرب (١٠٣)

وقوله :

إن عداتك إيـــانا لآتيـــة
حقّاً وطيّبة مانفسٌ بموعود(١٠٤).

وذهب أبو حيان في غاية الإحسان إلى عدم اشتراط ذلك ، وذكر أن المصدر يعمل مجموعا ، فقال: «وجمعه في العمل كمفرده» (١٠٥) .

لكنه ذهب في التذييل والارتشاف إلى أنه لايعمل مجموعا، فقال: «وذهب قوم إلى أنه لايجوز إعماله مجموعا، وهو مذهب أبي الحسن بن سيده وإياه أختار، ويؤول ماورد مما يقتضي ظاهره أنه يعمل مجموعا» (١٠٦).

وظاهر كلام سيبويه جواز إعمال المصدر مجموعا، وهو اختيار ابن عصفور(١٠٧)، وهو الأرجح ، لورود السماع به ، ولأن في تأويل الوارد من ذلك تكلف، وهو خلاف الأصل، ولأنهم أجازوا إعمال اسم الفاعل مجموعا، والمصدر أولى بذلك منه ، لأنه لم يعمل بالحمل على الفعل كاسم الفاعل.

* المسألة العشرون: في صور إعمال المصدر .

يعمل المصدر عمل فعله ، ولإعماله صور، فيأتي مضافًا ومنونًا ومقرونًا بأل، والمسموع إعماله مضافًا أكثر منه منونا ، وإعماله منونا أكثر منه مقرونًا بأل.

وقد اضطرب كلام أبي حيان في تلك الصور التي يرد عليها المصدر، فذكر أن ترك الإعمال في الجميع هو القياس، فقال: «وترك إعمال المضاف وذي أل هو القياس؛ لأنه قد دخله خاصة من خواص الاسم ، فكان قياسه ألا يعمل، وكذلك المنون» (١٠٨) .

ثم رجح مذهب ابن الطراوة ، وهو التفصيل في إعمال مافيه (أل) ، فقال: «الرابع : مذهب ابن الطراوة وأبي بكر بن طلحة ، وهو التفصيل بين أن تكون (أل) معاقبة للضمير فيجوز إعماله ، نحو: إنك والضرب خالدًا لمسيء إليه ، أو لا تكون معاقبة للضمير فلا يجوز إعماله ، نحو: عجبت من الضرب زيد عمرا، وهذا المذهب هو الصحيح على مايتضح إن شاء الله»(١٠٩).

ثم يذهب إلى أن المنون لم يعمل الرفع ، ويلزم منه أنه يعمل غير الرفع، فيقول : «والذي يظهر لي مذهب الفراء، لأن كل ماأورد سيبويه وغيره من المصدر المنون في لسان العرب لم يذكر بعده فاعل» (١١٠)، ومذهب الفراء المشار إليه هو أن المصدر المنون لايعمل الرفع؛ لعدم السماع وإنما يعمل النصب(١١١) . ثم يذهب في البحر المحيط إلى أن المنون يعمل الرفع فيقول عند تفسير قوله تعالى ﴿إنا زينّا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾(١١٢) : «قرأ زيد بن علي بتنوين (زينة) ورفع (الكواكب)، على خبر مبتدأ محذوف، أي : هو الكواكب، أو على الفاعلية بالمصدر، أي : بأن زينت الكواكب، ورفع الفاعل بالمصدر المنون» (١١٣) .

والصحيح أن المصدر يعمل مضافًا ومنونًا ومقرونًا بأل؛ لأن الشواهد على إعماله كثيرة ، ولعدم المانع ،

ولاضطراب أقوال المانعين، وضعف حججهم، ولعدم التقدير، وهو أولى من التقدير[114].

وبعد؛ فهذه بعض المسائل التي وجدت لأبي حيان فيها أكثر من رأي، وليس أبو حيان بدعًا بين النحاة في هذه الظاهرة، ولكنها ظاهرة موجودة عند كثير من العلماء نحاة وغيرهم، وذكرنا في البداية بعضًا من العلماء الذين شهروا بذلك، ولقد لاحظ ابن جني تلك الظاهرة قديمًا، وعقد بابًا في كتابه الخصائص لدراستها، وهو: (باب في اللفظين على المعنى الواحد يردان عن العالم متضادين).

الهوامش

١- انظر: **نفح الطيب** ٥٥٢/٢ و**الوافي بالوفيات** ٢٧٨/٥.

٢- انظر: **التذييل والتكميل** ٩٠١/٦.

٣- انظر: **نفح الطيب** ٥٥١/٢ **وبغية الوعاة** ٢٨٠/١.

٤- انظر: **بغية الوعاة** ٢٨٠/١، و**شذرات الذهب** ٤٧/٦ و**أبو حيان النحوي** ٤٥ .

٥- انظر: **نفح الطيب** ٥٣٨/٢

٦- ٤١١/١ .

٧- **غاية الإحسان** (مخطوط) ص٢ وانظر: **اللمحة البدرية بشرح ابن هشام** ١٧٧/١.

٨- **التذييل والتكميل** ٣٥/١.

٩- انظر: **تمهيد القواعد** ٤٦/١ **وقضايا الخلاف النحوي بين ابن مالك وأبي حيان** ص ٩٨، ٩٩.

١٠- ص٢.

١١- **التذييل والتكميل** ١٣٠/١، وانظر: **الارتشاف** ٤١٤/١.

١٢- انظر: **الارتشاف** ٤١٤/١ و**شرح الأشموني** ٦٦/١.

١٣- انظر: **حاشية يس على التصريح** ٦٠/١ و**حاشية الصبان** ٦٦/١.

١٤- الزمر (٦٤) وانظر: الإتحاف ٣٧٦.

١- انظر: **الكتاب** ٥١٩/٣ و**شرح التسهيل** ٥١/١ و**الارتشاف** ٤٢٠/١.

١٦- ص ١٣.

١٧- ١٨٣/١.

١٨- أي: وتبيتين تدلكين، وانظر الشاهد في: **الخصائص** ٣٨٨/١ و**الارتشاف** ٤٢١/١ و**التصريح** ١١١/١.

١٩- الأنعام(١٠٩) وانظر: **الإتحاف** ٢١٥.

١٠- انظر: **شرح التسهيل** ٥٢/١.

٢١- انظر: **التذييل** ١ / ٢٠٣ و**الارتشاف** ٤٢٤/١ .

٢٢- البقرة (٢٣٧) .

٢٣- **البحر المحيط** ٢٣٧/٢ وانظر: ١١/٤.

٢٤- **التذييل** ٢٠٣/١. وانظر: **منهج السالك** ص ١٣.

٢٥- المائدة (٨٩) وانظر القراءة في: **البحر المحيط** ١١/٤.

٢٦- انظر: **الإنصاف في مسائل الخلاف** ٧٠٧/٢ و**التبصرة والتذكرة** ٩٥/١ و**شرح الجمل** ١٣٥/٢ و **التذييل** ٣٩٢/١.

٢٧- **النكت الحسان** ٤٢ وانظر: **منهج السالك** ص ١٥.

٢٨- ٤٦١/١.

٢٩- انظر: **شرح التسهيل** ١١٦/١.

٣٠- **غاية الإحسان** ص ٣ . وانظر: **منهج السالك** ٢٤.

٣١- من البسيط، نسب لكثيرين منهم العرجي ومجنون ليلى، انظر: **شرح المفصل** لابن يعيش ٦١/١ و**التذييل** ٧٣٢/١ و**الهمع** ٢٦٣/١ و**الخزانة** ٩٣/١.

٣٢- **التذييل** ٧٣٢/١. وانظر: **الارتشاف** ٥٠٦/١ .

٣٣- انظر: **همع الهوامع** ٧٦/١.

٣٤- ٨٣٣/٢ .

٣٥- **المقتصد** ٤٣٤/١ .

٣٦- انظر: **النكت الحسان** ٢٩٢ و**الارتشاف** ٧٢/٢ .

٣٧- انظر: **الأصول** ٨٢/١ و**الموجز** ٣٣.

٣٨- ص ١٣٧.

٣٩- ٢٠٣/٨

٤٠- **غاية الإحسان** ٦.

٤١- **الارتشاف** ١١٨/٢.

٤٢- **غاية الإحسان** ١٧.

٤٣- **الأصول** ٨٢/١ وانظر: ٢٢٨/٢.

٤٤- **غاية الإحسان** ٦ وانظر: **النكت الحسان** ٦٨.

٤٥- **التذييل** ٣٢٠/٢ وانظر: **الارتشاف** ٨٥/٢.

٤٦- يوسف (٨٥).

٤٧- ص٧٠.

٤٨- **التذييل**٣١٣/٢ وانظر

الارتشاف ٢/٨٠.

٤٩- انظر: **الأفعال** لابن القطاع ٢/٤٧٩ و**القاموس** (فتأ) و**تاج العروس** (فتأ) ١/٩٥.

٥٠- **غاية الإحسان** ص٧.

٥١- **الارتشاف** ٢/١١٠.

٥٢- **التذييل** ٢/٤٩٢.

٥٣- السابق ٢/٤٩٣.

٥٤- **منهج السالك** ٦٤.

٥٥- ص ٧٦.

٥٦- البيت للنابغة الجعدي ، انظر : **الارتشاف** ٢/١١٠ و**أوضح المسالك** ١/٢٨٦.

٥٧- من الطويل لم أقف على قائله ، انظر: **شرح التسهيل** ١/٣٧٦ و**الارتشاف** ٢/١١٠.

٥٨- من الطويل لم أقف على قائله ، انظر: **شرح التسهيل** ١/٣٧٦ و**الارتشاف** ٢/١١٠.

٥٩- لم أقف له على قائله، انظر: **الارتشاف** ٢/١١٠ و**شرح الشذور** ١٩٧.

٦٠- انظره في : **أمالي ابن الشجري** ١/٤٣١ و**شرح الشذور** ١٩٨ و**قطر الندى** ١٤٥،.

٦١-انظر: **أمالي ابن الشجري** ١/٤٣١.

٦٢- انظر: الكتاب ١/٥٧ و**معاني الأخفش** ٢/٤٥٣ و**الارتشاف** ٢/١١١و**الجنى الداني** ٤٨٥ و**المغني** ١/٢٥٣.

٦٣- **النكت الحسان** ص ٧٧/٧٨.

٦٤- **منهج السالك** ص ٦٦/٦٧ وانظر: **التذييل** ٢/٥٠٧.

٦٥- **منهج السالك** ٦٧.

٦٦- ص ٧٢.

٦٧- **منهج السالك** ص ٦٩ وانظر: **التذييل** ٢/٥٦٤ و**الارتشاف** ٢/١٢٠.

٦٨- انظر: **صحيح البخاري**٢/٣٤

٦٩- السابق ٥/٣١٨.

٧٠- السابق ٦/١٧٥ .

٧١- انظره في : **جامع الأحاديث** ٥/٢٥.

٧٢- **غاية الإحسان** ص ٧ وانظر: **منهج السالك** ص٨٤.

٧٣- **النكت الحسان** ص٨٧.

٧٤- ٢/١٥١-١٥٢.

٧٥- الصافات (١٠٤) .

٧٦- انظر: **الكتاب** ٣/١٦٣ و**شرح التسهيل** ٢/٤١ و**أوضح المسالك** ١/٣٧٠ .

٧٧- **النكت الحسان** ٢٨٨.

٧٨- **التذييل** ٢/٧٤٠.

٧٩- السابق .

٨٠- انظر: **الكتاب** ٣/١٥١ و**معاني الحروف** للرماني ١١٠ و**معاني القرآن** للزجاج ٣/٦٣ و**شرح المفصل** ٣/١٢٠ و**رصف المباني** ٢٠٤ و**المغني**١/٣٨ و**الهمع** ٢/١٨٠.

٨١- من الطويل ، انظره في : **التذييل** ٢/٧٣٨.

٨٢- من الكامل لبعض الطائيين ، انظر: **التذييل** ٢/٧٣٨ و**المغني** ٢/٦٤٨ و**الخزانة** ١١/٢١٥.

٨٣- انظر: **شرح الجمل** ١/٣٢١ و**المقرب** ٢٣٣ و**التذييل** ٢/١٠٣٤١ و**الارتشاف** ٣/٧٥ و**المساعد** ١/٣٧٢ و**الهمع** ٢/٢٣٨.

٨٤- البقرة (٢٥٩) .

٨٥- **البحر المحيط** ٢/٢٩٤.

٨٦- **التذييل** ٢/١٠٤٠ وانظر: ٤/١٤٦/ب المخطوط .

٨٧- ص ٩٦- ٩٧.

٨٨- يوسف (٣٦).

٨٩- من الوافر لعمرو بن أحمد الباهلي وانظر: **الكتاب** ٢/٢٧٠ و**شرح الأشموني** ٢/٣٣.

٩٠- **التذييل** ٢/٩٧٨.

٩١- انظر: **شرح الألفية لابن الناظم** ٢٠٩ و**تمهيد القواعد** ٢/٣٢٣ و**شرح الأشموني** ٢/٣٣ و**شرح التصريح** ١/٢٥٠.

٩٢- ص ٨ .

٩٣- من الطويل، لم أعرف قائله ، انظر: **شرح الكافية الشافية** ٢/٥٤٥ و**شرح الشذور** ٣٦٠.

٩٤- **التذييل** ٢/٩٦١ وانظر: **الارتشاف** ٣/٥٧.

٩٥- من الطويل، لعلقمة ونسب للنابغة ، انظر: **شرح الجمل** ٢/٥١٤ و**شرح التسهيل** ٢/١٧٤.

٩٦- من الطويل، لسوار بن المضرب حين هرب من الحجاج، انظر: **شرح التسهيل** ٢/١٢٣ و**شرح الأشموني** ٢/٤٥.

٩٧- إبراهيم (٤٥) .

٩٨- طه (١٢٨).

٩٩- **غاية الإحسان** ص ٤ وانظر: **النكت الحسان** ص ٥١.

١٠٠- التذييل ٣/١٥٢.

١٠١- شرح الكافية ١/٧٩.

١٠٢- انظر: مجمع الأمثال ١/١٣٥ والمستقصى ٢/٢٥.

١٠٣- من الطويل، لعلقمة ، ونسب لغيره ، انظر: الكتاب ١/٢٧٢ والخصائص ٢/٢٠٩.

١٠٤- من البسيط للأعشى ، انظر: التذييل ٤/٩٢١ ومنهج السالك٣١٩.

١٠٥- غاية الإحسان ص ٩ .

١٠٦- الارتشاف ٣/١٧٤ وانظر: التذييل ٤/٩٢٢.

١٠٧- انظر: الكتاب ١ / ٢٧٢ والمقرب ١٤٤.

١٠٨- التذييل ٤/٩٤٦ وانظر: منهج السالك ٣١٠.

١٠٩- التذييل ٤/٩٥١ وانظر : الارتشاف ٣/١٧٧.

١١٠- التذييل ٤/٩٤٠.

١١١- شرح الجمل ٢/٢٥.

١١٢- الصافات(٦).

١١٣- البحر المحيط ٧/٣٥٢

١١٤- انظر: قضايا الخلاف النحوي ٦١٠-٦١٩.

المراجع والمصادر

١- أبو حيان النحوي. د. خديجة الحديثي. مكتبة النهضة. بغداد سنة ١٩٦٦م .

٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تعليق الشيخ علي محمد الصباغ. المشهد الحسيني سنة ١٣٥٩هـ.

٣- ارتشاف الضرب من لسان العرب. لأبي حيان . د. مصطفى النماس – مطبعة المدني، ط (١).

٤- الأصول في النحو لابن السراج، ت د. عبد الحسين الفتلي – الرسالة – بيروت، ط(٣).

٥- أمالي ابن الشجري ت د. محمود الطناحي . مكتبة الخانجي ط(١).

٦ – أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – لابن هشام ت الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد – الدار الثقافية .

٧ – البحر المحيط لأبي حيان . دار الفكر . بيروت ، ط (٢).

٨ – التذييل والتكميل لأبي حيان – عدة رسائل دكتوراه بجامعة الأزهر.

٩ – تمهيد القواعد لناظر الجيش- عدة رسائل دكتوراه بجامعة الأزهر.

١٠- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي . ت د. فخر الدين قباوة وآخر. دار الآفاق بيروت، ط(٢).

١١- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ت د. أحمد الخراط. دار القلم . دمشق ، ط(٢).

١٢- شرح الأشموني مع حاشية الصبان . دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي.

١٣- شرح التسهيل لابن مالك ت د. عبد الرحمن السيد وآخر . دار هجر، ط(١).

١٤- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري . دار إحياء الكتب العربية .

١٥- شرح الجمل لابن عصفور . ت د. صاحب أبو جناح، إحياء التراث الإسلامي. العراق سنة ١٤٠٢هـ.

١٦- شرح الكافية للرضي، دار الكتب العلمية . بيروت .

١٧- شرح الكافية الشافية لابن مالك. ت د. عبد المنعم هريدي. دار المأمون للتراث، ط(١).

١٨- شرح المفصل لابن يعيش – مكتبة المتنبي .

١٩- غاية الإحسان في علم اللسان لأبي حيان . مخطوط بدار الكتب المصرية .

٢٠- قضايا الخلاف النحوي بين ابن مالك وأبي حيان – رسالة دكتوراه لكاتب البحث .

٢١- الكتاب لسيبويه . ت د. عبدالسلام هارون. الخانجي.

٢٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام . ت الشيخ محمد محي الدين . مطبعة محمد علي صبيح .

٢٣- منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك لأبي حيان . ت سيدني جليذر سنة ١٩٤٩م .

٢٤- النكت الحسان في شرح غاية الإحسان لأبي حيان . ت د. عبدالحسين الفتلي . مؤسسة الرسالة . بيروت، ط(١) .

٢٥- همع الهوامع للسيوطي ت د. عبد العال سالم مكرم . دار البحوث العلمية . الكويت سنة ١٣٩٩هـ.

تقنيات المعلومات والاتصالات في المكتبات الأكاديمية ودورها في دعم البحث العلمي وتطويره

مجبل لازم مسلم المالكي ، ومحمد عودة عليوي

كلية الآداب - جامعة البصرة

المقدمة :

حظي البحث العلمي باهتمام العلماء والباحثين وأصبحت له مكانة متميزة من خلال الدراسات الجادة في المجالات النظرية والتطبيقية وبخاصة في الجامعات والمراكز العلمية والبحثية المختلفة . وقد اهتمت دول العالم بإنشاء وتطوير مراكزها العلمية والبحثية وتمويلها ودعم سياساتها وبرامجها لما لها من أهمية في تعزيز حالة البحث العلمي ودفع عجلة التنمية والرقي في المجتمع . وتنهض الجامعات بدور حيوي في تشجيع ودعم البحث العلمي وتنشيط حركته من خلال الأساتذة والباحثين للتفرغ لهذه المهمة بشكل جزئي أو كلي وتوفير المستلزمات التي من شأنها الارتقاء بالبحث العلمي والإفادة من نتائجه وتطبيقاته .

وانطلاقاً من هذه الأهمية للبحث العلمي يأتي هذا البحث ليبين دور المكتبات الأكاديمية لتنشيط حركة البحث العلمي وتلبية احتياجات الباحثين الأساسية نظراً للإمكانات التي تمتلكها هذه المؤسسات العلمية والثقافية، والمتمثلة في توفير مصادر المعلومات بأشكالها المختلفة وما تقدمه من خدمات لمساعدة الباحثين للوصول إلى المعلومات المطلوبة من خلال استخدام تقنيات المعلومات والاتصالات الحديثة . فضلاً عن المهام والواجبات التي يؤديها العاملون في هذه المكتبات في تقديم الاستشارات وتسهيل مهمة الحصول على المعلومات بمختلف الطرق والوسائل ووضعها بين أيدي الباحثين والدارسين . ويسعى هذا البحث لتحقيق الأهداف الآتية :

١ - تبيان ماهية البحث العلمي وأنماطه ودوره في تحقيق التنمية الشاملة .

٢ - يسلط الضوء على واقع البحث العلمي في الوطن العربي ومشكلاته .

٣ - تبيان دور المكتبات الأكاديمية في تنمية وتطوير البحث العلمي اعتماداً على إمكاناتها وما تضم من أوعية معلومات حديثة وخدمات متنوعة في مجال المعلومات وتوفير المناخ المناسب لإجراءات البحث العلمي في الجامعة مع استعراض بعض الخدمات التي تقدمها المكتبات الجامعية الأجنبية والعربية في مجال البحث العلمي .

٤ - التعريف بتقنيات المعلومات والاتصالات وأهميتها في تلبية احتياجات الباحثين في المكتبات الأكاديمية والبحثية.

٥ - وضع بعض التوجيهات الخاصة بتطوير خدمات هذه المكتبات وتحقيق تكامل أهدافها في مضمار البحث العلمي في ضوء التطورات السريعة والمتلاحقة التي طرأت على خدمات المعلومات والمكتبات وبخاصة في المكتبات الأكاديمية .

ماهية البحث العلمي :

تتوجه البحوث العلمية لتسجيل أو رصد حالة خاصة أو الإجابة عن أسئلة معينة، وتحاول أن تكشف عن أسباب مشكلة ما من خلال تجميع وتحليل المعلومات والبيانات بهدف الوصول إلى تعميمات أو قوانين وحلول للمشكلة المراد بحثها . وهناك تعاريف عدة للبحث العلمي، فهو :

"وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم الذي يقوم به الباحث لغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة ، إضافة إلى تطوير المعلومات الموجودة فعلاً، أو تصحيحها،

أو تحقيقها، على أن يتبع هذا الفحص والاستعلام الدقيق خطوات المنهج العلمي واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات" [١] والبحث العلمي هو وسيلة للدراسة يمكن الوصول من خلاله لحل المشكلات المختلفة عن طريق الاستقصاء الشامل والدقيق لمجمل الظواهر والمتغيرات والأدلة التي ترتبط بمشكلة البحث [٢] . ومهما اختلفت التعريفات التي وضعها العلماء والباحثون للبحث العلمي إلا أنها تمثل طريق الباحث ونشاطه في اكتشاف الحقائق وتحليل الآراء وتفسيرها ومناقشتها وتقديم الحلول الصائبة لها . وقد يكون البحث نظرياً ، وميدانياً ، وقد يعني التنقيب عن الحقائق أو التفسير النقدي لمختلف القضايا السياسية والاجتماعية . وهناك البحوث التي تهدف إلى : "فهم الظواهر فهماً كاملاً دون النظر إلى كيفية تطبيق ما ينتهي إليه البحث من نتائج ، والبحوث التطبيقية التي تكون أهدافها أكثر تحديداً وتركز على حل المشكلات العلمية وإن لم تكن هناك فواصل حادة بين البحوث الأساسية والتطبيقية لأن نتائج البحوث الأساسية يمكن استخدامها مستقبلاً في التطبيق فضلاً عن أن البحوث الأساسية نفسها يمكن أن تكون بذرة التطور والتحديث للأشياء المطبقة فعلاً ..." [٣] ولا يخفى أن لكل باحث منهجه وأدواته ورؤيته وقدرته على تحليل المعلومات وتبويبها وتصنيفها وصولاً إلى وضع الحلول المناسبة للمشكلة موضوع الدراسة ، التي ينبغي اختيارها بشكل دقيق وبقناعة ذاتية ، بما يحقق الأصالة والتجديد والإضافة إلى المعرفة البشرية والعلمية .

أنماط البحث العلمي :

تطور البحث العلمي بتطور المعرفة وحب الإنسان للبحث والتقصي واكتشاف السبل التي يمكن من خلالها تفسير الظواهر ، وتحسين ظروف المجتمع وحل مشكلاته ، والتطلع نحو إيجاد أفضل المناهج العلمية التي تقود إلى اكتشاف الحقيقة ، واستخلاص الدلائل ووضع القوانين والتعميمات للظواهر المختلفة المراد بحثها ، والتعرف على عناصرها وخصائصها . ويمكن تقسيم البحوث العلمية من حيث المنهج إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي [٤] :

١ - البحوث النظرية الخالصة : وهي البحوث التي لا تعتمد على الواقع ولا تستند إليه ولا تلجأ إلى استخدام الملاحظة أو التجربة ، ولكنها تعتمد على التأمل النظري والاستدلال العقلي الصرف وتتضمن هذه البحوث النظرية الرياضية ، والبحوث النظرية الفيزيائية ، وبحوث نظرية إنسانية .

٢ - البحوث التجريبية التي تعتمد على الواقع والاستقراء العلمي من خلال ما يتوصل إليه الباحث من ملاحظات وتجارب يعممها لاختيار صحة الفروض التي يضعها مستعيناً بالأدوات والوسائل العلمية ، وهذه البحوث لا توجد إلا في العلوم الفيزيائية والطبيعية إلا أن بعض الباحثين يضيف إليها بعض العلوم الإنسانية وبخاصة علم النفس .

٣ - البحوث الميدانية التي يزور فيها الباحث أو مجموعة من الباحثين الجماعات والأسر والتجمعات في ميادين العمل المختلفة لغرض جمع المعلومات والبيانات بجميع الوسائل الممكنة وتتم في مجالات العلوم الإنسانية والحيوية والطبية .

ويمكن تقسيم البحوث وفقاً لأهدافها إلى [٥] :

١ - البحوث أو الدراسات الاستطلاعية (الكشفية أو الصياغية Formulative or Exploratory) وتهدف إلى استطلاع الظروف التي يمكن من خلالها التعرف على المشكلة ويتناولها الباحث عندما يكون ميدان البحث جديداً، أي لم يتناوله الباحثون أو لا تتوافر عنه المعلومات أو يجهل الباحثون الكثير من جوانبها .

٢ - البحوث الوصفية والتشخيصية (Descriptive & Diagnostic) وتجرى هذه البحوث لتحديد سمات وخصائص ظاهرة معينة تحديداً كمياً أو كيفياً على أن تكون هناك بعض الدراسات التي أجريت في هذا المجال.

يضاف إلى ذلك أيضاً [٦] :

٣ - البحوث التفسيرية أو البرهانية التي تهدف إلى تفسير حدوث الظاهرة منذ أن بدأت إلى أن صارت في صورتها الحالية أو تفسير حدوثها بالبحث عن الأسباب التي أدت إلى ذلك ومحاولتها الكشف عن أسباب الظواهر التطبيقية والمشكلات الاجتماعية .

أهمية البحث العلمي ودوره في التنمية :

تشكل الجامعة والبحث العلمي والتنمية ثلاثية مترابطة العناصر ، ولا يمكن أن يستقيم لعنصر منها كيانه دون العنصرين الآخرين ، فالجامعة بهيئتها التدريسية وطلبتها ومكتباتها هي الإطار والمناخ ، والبحث العلمي هو الأداة والوسيلة ، والتنمية هي الغاية والهدف[٧]. ومما لا شك فيه أن الجامعات تؤدي دوراً متميزاً في تحقيق التنمية العلمية والثقافية والاقتصادية وخلق المناخ المناسب لتعزيز البحث العلمي وخدمة المجتمع ، ويمكن القول إن البحث العلمي نشأ بنشوء الجامعات وارتقى برقيها إلا أن حجم الإقبال عليه والإفادة من نتائجه قد ازداد بشكل واضح في أعقاب الحرب العالمية الثانية لظهور ما يسمى بثقافة البحث Culture Research التي سادت الكثير من الدول المتقدمة فضلاً عن التقدم العلمي والتكنولوجي في مجالات الحياة المختلفة واستخدام الأسلوب العلمي في دراسة العلوم الاجتماعية وتطويرها[٨] ، ونظراً لأهمية البحث العلمي فقد نهضت الجامعات بوضع الخطط العلمية لتطوير البحوث في ضوء إمكاناتها ، وانسجاماً مع خطط التنمية القومية آخذة في الحسبان التركيز على البحوث الأساسية والتطبيقية وتشجيع البحوث التعاقدية ورصد المبالغ الكافية لها وتوفير مستلزمات نجاحها من حيث توافر المكتبات الحديثة ومصادر المعلومات وإعداد الباحثين وتوفير الورش والمختبرات والمناخ العلمي المناسب لإنجاز البحوث بأشكالها المختلفة . ويمكن إجمال أهمية البحث العلمي ودوره في التنمية بما يلي :

١ - تمثل البحوث العلمية الدعامة الأساسية للتقدم العلمي والتكنولوجي وتطوير المشاريع التنموية والتغلب على مختلف المشكلات التي تقف عقبة بوجه الإنسان ورقي المجتمعات وتحول دون تحقيق إرادتها في استثمار التكنولوجيا وتطويعها لصالح التنمية في مجالات الحياة المختلفة .

٢ - من خلال البحوث يمكن التوصل إلى اكتشاف معارف وحقائق علمية جديدة ومعرفة خصائص المجتمع والظواهر الاجتماعية والثقافية التي تميزه عن المجتمعات الأخرى فضلاً عن تطبيق بعض النظريات والإفادة من المخترعات العلمية وتسخيرها لخدمة المجتمع ورفاهية الإنسان .

٣ - يسهم البحث العلمي في الحصول على أفضل الطرق لإنتاج سلع أفضل مما هو متوافر من السلع الأخرى مما يشجع على التخلي عن السلع القديمة ، والإقبال على شراء السلع الجديدة ذات النوعية الأفضل والمواصفات الفاخرة .

٤ - يسهم التخطيط المنهجي السليم للبحث العلمي في استغلال الموارد والطاقات بالشكل الذي يؤدي إلى التغلب على الصعوبات والمشكلات التي يعاني منها المجتمع كالمشكلات الإنسانية والعلمية وغيرها من المشكلات التي تنشأ عن الظروف البيئية مثل قلة الرقعة الزراعية أو الجفاف أو التصحر أو الانفجار السكاني وتفشي بعض الأمراض وزيادة نسبة الإجرام في المدن الصناعية ، وقد تكون ناجمة عن التقدم العلمي والتكنولوجي مثل حالات تلوث بعض الأنهار والبحر والجو بالمواد والعناصر المختلفة[٩].

٥ - يمثل البحث العلمي عنصراً أساسيّاً في النهوض بالعملية التعليمية في الجامعة وتطوير قدرات ومعارف أعضاء الهيئة التدريسية مما يدفع الجامعات لوضع الخطط الأساسية لتخطيط وتنمية وتطوير وتشجيع البحث العلمي .

٦ - للبحوث التطبيقية أهمية كبيرة في استثمار وتطويع نتائج البحوث الأساسية وتنمية القدرات في استثمار

المشاريع وتشغيلها وصيانتها وإدخال التعديلات في التصاميم والمعدات بما يناسب البيئة المحلية[١٠] .

ولكي يكون مردود البحث عالياً ويحقق الغرض المنشود من وجوده وبخاصة في ميدان التسريع بخطط التنمية فلابد من العمل على تخطي الأساليب التقليدية المتبعة في الجامعات والمؤسسات المختلفة في ميدان الإدارة وتطبيقاتها والتفرغ التام لأعضاء الهيئة التدريسية والرعاية الوطنية للبحث العلمي وربط البحوث في الجامعات بأفق التنمية وتوفير الورش والمختبرات وتطوير خدمات المكتبات والمعلومات والعمل على تخطيط البحث العلمي وتحديد الأولويات وفق الخطة العامة للدولة .

وانطلاقاً من هذه الأهمية والمكانة الممنوحة للبحث العلمي ودوره في خطط التنمية الوطنية والقومية فقد أولت الدول المتقدمة البحث العلمي أهمية خاصة وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، حيث وصل إنفاقها على البحث العلمي في عقد الستينات (٢٤) بليون دولار وارتفعت إلى (٤٠) بليون دولار في بداية عقد الثمانينات تسهم فيها الشركات الكبرى والمؤسسات العملاقة وبنسبة تقرب من ٥٠٪ وهو رقم يعادل أربع مرات ما رصدته دول أوربا الغربية مجتمعة في تلك الفترة نفسها وللغرض نفسه ، وإن ما ينفقه الكيان الصهيوني على تطوير البحث العلمي يعادل ما تنفقه الأقطار العربية في هذا المجال[١١] .

وفي كل من فرنسا وروسيا يصل الإنفاق على البحث العلمي ١,٤٪ و ٣,٧٪ من الدخل القومي على التوالي[١٢].

أما اليابان فتركز باستمرار على دور مؤسسات الأعمال الخاصة في هذا المجال حيث تضطلع بدور رئيس في مجال الإنفاق على نشاطات البحث والتطور ، فنجد مثلاً "شركة" Matsushita Electric يعمل فيها أكثر من ١٥,٠٠٠ خبير في شئون البحث العلمي موزعين على (٢٣) معملاً للبحوث كما أنها أنفقت خلال عام ١٩٨١م أكثر من (٥٠٠) مليون دولار على البحوث[١٣] .

وتركز هذه الدول وجامعاتها على إنجاز البحوث التطبيقية والتطويرية واستثمار نتائجها في الحقول والميادين الصناعية والإنتاجية، وفي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية اتجهت هذه الدول إلى إنشاء مراكز علمية للتخطيط وتحليل السياسات العامة والتنبؤ بالمستقبل بغية التوصل إلى أفضل السبل للسياسات العامة باعتماد الأسلوب العلمي وإن تزايد اهتمام المؤسسات العلمية ومراكز البحوث بالبحث العلمي في دول العالم جاء نتيجة للدعم السخي الذي حظيت به هذه المؤسسات والمراكز البحثية من قبل المؤسسات الخاصة والعامة على حد سواء[١٤].

البحث العلمي في الوطن العربي : واقعه ومشكلاته الأساسية :

يشهد الوطن العربي تطوراً واضحاً وملموساً في مجال التعليم العالي وإنشاء المؤسسات والهيئات المهتمة بالعلوم والتكنولوجيا ، وإنشاء المزيد من الجامعات ومراكز البحوث في مختلف الاختصاصات . وتشير بعض الدراسات إلى أن عدد المراكز العلمية والمعاهد البحثية في مختلف أرجاء الوطن العربي تقارب أو تزيد على الـ (٥٠٠). وبالرغم من هذا الزخم العددي إلا أنه ليس لمعظم هذه المراكز فاعلية كبيرة على اعتبار أن هذه المراكز وبخاصة حديثة التأسيس منها ترتبط بسياسات وتطورات وضعتها منظمات عالمية مثل اليونسكو وغيرها، وبذلك ظلت مجرد هياكل بلا مضامين لأسباب عدّة تتصل بالوجود الاستعماري وعدم توفير المناخات العلمية والمستلزمات التي تحقق أهداف هذه المؤسسات[١٥] . وبشكل عام يمكن استعراض أهم مشكلات ومعوقات البحث العلمي في الوطن العربي من خلال الآتي :

١ - نقص القوى البشرية من الباحثين المتخصصين وذوي الخبرة والكفاءة نظراً لانشغال أعضاء الهيئات التدريسية بالأعباء الإدارية وازدياد نصاب التدريسيين وكثرة أعداد الطلبة في الكثير من الجامعات العربية إضافة إلى الواجبات والمهام الأخرى كالإشراف التربوي وتدقيق الواجبات وأمور

أخرى لا تمت بصلة إلى نشاط البحث العلمي ، كما أن العديد من هذه الملاكات تعاني من هجرة مستمرة للعمل في الجامعات الأجنبية نظراً لتوافر الأجواء العلمية والتسهيلات التي تقدمها تلك الجامعات والإغراءات الممنوحة للعلماء والباحثين للعمل في تلك الجامعات والمراكز العلمية .

٢ - قلة الإنفاق على البحث العلمي رغم الإيمان المطلق بأن الاستثمار في البحث العلمي يعود على المجتمع بأضعاف ما ينفق عليه وإن أكثر الدول إنفاقاً هي الدول المتقدمة، حيث يتم إنفاق ٩٤٪ من جملة الإنفاق العالمي في هذه الدول والباقي وهو ٦٪ يشكل نصيب الدول النامية . وهناك ست فقط من الدول المتقدمة هي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وألمانيا الغربية سابقاً واليابان وفرنسا والملكة المتحدة تستخدم ٧٠٪ من رجال العلم في العالم وتنفق هذه البلاد نسبة ٨٥٪ من جميع الأموال المخصصة للأغراض العلمية(١٦) .

٣ - قلة أوعية المعلومات الحديثة والمتطورة . يشهد العالم المعاصر تضخماً كبيراً في الإنتاج الفكري وصدوره بمختلف اللغات في ظل ثورة المعلومات والاتصالات الحديثة . إضافةً إلى مصادر المعلومات التقليدية كالكتب والدوريات والتقارير والرسائل الجامعية وبراءات الاختراع وغيرها نجد أيضاً أوعية المعلومات الإلكترونية بأشكالها المختلفة كالأقراص المكتنزة وبنوك المعلومات في الدول المتقدمة . في حين تعاني المكتبات ومؤسسات المعلومات والمراكز العلمية في الوطن العربي نقصاً كبيراً في توفير هذه المصادر والتقنيات مما ينعكس على الخدمات التي تقدم للباحثين والدارسين .

٤ - غياب التخطيط المبرمج وعدم ربط البحوث العلمية بخطط التنمية . وهذا يعني أن معظم البحوث المنجزة في الجامعات تعد لأغراض خاصة مثل متطلبات الترقية العلمية ويغلب عليها الطابع الفردي ولا ترتبط بحاجات المجتمع ومشاريع التنمية والتطوير . وهذا ناجم عن عدم وضع خطط واستراتيجيات واضحة المعالم تربط ما بين نشاط البحث العلمي ومشروعات التنمية بمفهومها الواسع .

٥ - غياب التعاون والتنسيق بين الجامعات ومراكز البحث العلمي في الوطن العربي . إن واقع العمل في المؤسسات العلمية كالجامعات ومراكز البحوث يكاد يكون ضعيفاً داخل البلد الواحد أو بين الدول العربية فليس هناك ما يشير إلى وجود بحوث مشتركة أو فرق عمل بحثية تتناول دراسات خاصة بالبيئة العربية ومعالجة المشكلات الخاصة بأقطار الوطن العربي وبخاصة في قطاعات التنمية . وليس هناك تبادل لخبراء البحوث فضلاً عن ضعف تبادل المعلومات وعقود العمل وتبادل الزيارات والمؤتمرات والندوات العلمية، ومن ثم فإن غياب عملية التعاون والتنسيق بين هذه المؤسسات يؤدي إلى الهدر والضياع في المال والجهد العلمي المبذول في إنجاز البحوث العلمية.

٦ - تكرار الجهود في مجال البحث العلمي ، ويحصل هذا نظراً لضعف وسائل الاتصال بين المؤسسات العلمية والبحثية داخل نطاق البلد الواحد أو بين الأقطار العربية نفسها هذا فضلاً عن ضعف الضبط الببليوجرافي للإنتاج الفكري العربي وبمختلف أوعية المعلومات، ويتمثل ذلك في إصدار الببليوجرافيات والكشافات والمستخلصات وأدلة الرسائل الجامعية وعدم تحقيق الإفادة القصوى من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي وظفتها الدول المتقدمة توظيفاً كاملاً لصالح خدمات البحث العلمي ومؤسساته .

٧ - ضعف منافذ النشر في الوطن العربي : يعاني الكثير من الباحثين من صعوبات تتعلق بنشر البحوث والدراسات لقلة الدوريات العلمية العامة والمتخصصة فضلاً عن الأمور الخاصة بتأخر عملية النشر والتحكيم وتقويم هذه البحوث والدراسات ومشكلات

الروتين الإداري وضعف المكافآت الممنوحة للباحثين مما يؤدي إلى حالات الإحباط وعدم الرغبة الجادة في المزيد من العطاء العلمي، وهنا قد يضطر الباحث إلى نشر بحوثه ودراساته على حسابه الخاص أو اللجوء إلى نشرها خارج نطاق الوطن العربي .

وهناك مشكلات أخرى تتعلق بقلة الدراسات الميدانية وغياب روح الفريق والتبعية العلمية والتكنولوجية للدول الأوربية وضعف البنيات الأساسية وقلة الوعي للمجتمع العربي وضعف خدمات المكتبات والمعلومات.

المكتبات الجامعية والبحث العلمي :

تؤدي المكتبة الجامعية دوراً بارزاً في النهوض بالحركة الفكرية والثقافية وتعزيز البحث العلمي من خلال ما تقدم من خدمات وبرامج ونشاطات مكتبية لجمهورها المتمثل بالطلبة والتدريسيين وعموم الباحثين معتمدة في ذلك على خبرات وإمكانات القوى العاملة المؤهلة ، وكمية ونوعية مصادر المعلومات التي تضمنها والوسائل الإعلامية التي تستخدمها خدمة لأغراض الجامعة وجمهور المستفيدين . ومما لا شك فيه أن النظرة إلى المكتبة الجامعية قد تغيرت وأصبحت المكتبات الجامعية أحد المعايير التي يمكن من خلالها تقويم الجامعة ، ويمكن القول أن لا جامعة بدون مكتبة . وفي ظل ما يسمى بثورة المعلومات أو الانفجار المعرفي الذي يشهده العصر الحالي المتمثل بتدفق المعلومات وتزايد حجم المنشورات الثقافية وبمختلف اللغات ، أصبحت المكتبات الجامعية غير قادرة على تلبية حاجات الباحثين والعلماء من المعلومات فكان أن ظهرت الحاجة إلى تطويرها لتصبح مراكز للمعلومات تهتم بعمليات جمع واختبار وتحليل واسترجاع المعلومات وفقاً لاحتياجات ومتطلبات الباحثين والدارسين . ولا يمكن النهوض بمثل هذه المهمة وتحقيق حالة التقدم العلمي وبخاصة في الدول النامية ما لم تتوافر المكتبات المتطورة بخدماتها ومعلوماتها[١٧] ، ومن هذا فإن المعلومات تعد جوهرية لأي مجهود بحثي ناجح ليس لغرض تجنب التكرار في الجهود فحسب بل لخلق أفكار خصبة لبحوث أخرى لاحقة[١٨] ، وفي إحدى التجارب لتطوير نقل المعلومات وفاعلية خدمات المعلومات والبحث والتطوير في الصناعة وجد أن:

١ - تحسين الوصول إلى المعلومات المتوافرة له تأثير كبير على إنتاجية فرق البحث والتطوير .

٢ - تطوير إدارة العمليات المعلوماتية في المشاريع البحثية ونقل نتائج البحوث إلى المستفيدين له أثر كبير على إنتاجية فرق البحث والتطوير .

٣ - الاهتمام بالوصول إلى المعلومات وتنظيمها كان له الأثر الأكبر على إنتاجية هذه الفرق البحثية أيضاً[١٩].

وفي هذا يمكن القول إن خدمات المكتبات الجامعية ليس لها تأثير على نشاطات البحث والتطوير فحسب بل على نشر نتائجها إلى الجهات التي أجريت لها البحوث والتي ستنتفع باستثمار نتائجها وفي البلدان - على سبيل المثال - التي تعاني خدمات المعلومات فيها من قصور في جوانب عدة وجد أن ظاهرة الأمية والفقر تتزامن مع وجود مؤسسات بحثية متطورة تحقق إنجازات علمية كبيرة، وهذا يعني أن هذه الإنجازات لم تصل إلى أولئك الذين يحتاجونها [٢٠] من هذا تستطيع أن تستنتج عدم وجود الآلية (المكتبات ومؤسسات المعلومات) التي تهتم بعملية اختزان وجمع المعلومات التي ينتجها البحث العلمي ثم توصيلها إلى من يحتاجها من قطاعات الدولة والمجتمع . ونستطيع أن ترسم صورة للعلاقة بين المكتبات الجامعية والبحث العلمي من خلال الآتي :

١ - لا يمكن لأي باحث أن يبدأ من الصفر وإنما لابد له أن يبني بحثه على إنجازات الآخرين الذين سبقوه في هذا المضمار ولا يمكن لعملية البناء أن تتم دون الرجوع إلى خزين أو منجم المعلومات الذي لا يمكن الوصول إليه إلا من مكتبات تعنى باختزان وتنظيمه وبثه للمستفيدين.

٢ - البحث العلمي يحتاج إلى معلومات وينتج معلومات جديدة، وفي هذا يتوجب وجود مؤسسة تعنى بتوفير

المعلومات التي يحتاجها الباحث ثم جمع واختزان المعلومات التي أنتجها الباحث لغرض الإفادة منها في البحوث المستقبلية .

٣ - إن تحول الأقطار إلى مرتبة التقدم يعتمد على درجة توافر المكتبات ونوعية المعلومات والخدمات التي تسهل إيصال المعلومات إلى من يحتاجها .

٤ - إن الخدمات المكتبية تجنبنا التكرار في إجراء البحوث كما إنها تخلق لدينا أفكاراً جديدة باتجاه بحوث أخرى جديدة .

٥ - إن الاهتمام بخدمات وإدارة المعلومات تؤثر تأثيراً كبيراً على إنتاجية الفرق البحثية .

٦ - إن المكتبات هي المراكز التي تقوم ببث نتائج البحوث إلى الجهات التي يمكنها الإفادة من تلك النتائج وفي هذا تبرير لإجراء تلك البحوث . وبعكسه فإن تلك النتائج ستكون مجرد حبر على ورق . ومن هنا نستطيع القول إن المكتبة لها وظيفة اتصالية بمعنى تسلم الرسالة (نتائج البحوث) وإرسالها إلى المستفيدين منها .

وفي هذا فقد تزايدت أعداد المكتبات الأكاديمية والبحثية في مختلف أرجاء العالم واتسعت خدماتها ، وتزايد اهتمامها باستخدام الحاسبات الإلكترونية وتقنيات الاتصال واستخدام المصغرات والمواد السمعية البصرية وخدمات الطباعة والتصوير وتبادل الإعارة مع المكتبات الأخرى ، وخدمات الإحاطة الجارية والبث الانتقائي للمعلومات فضلاً عن توفير المناخ المناسب لإجراءات البحث العلمي ، وقد حققت مكتبات الجامعات الأمريكية والأوربية شوطاً متميزاً في ميدان الخدمة المكتبية والتوثيقية وخدمات البحث العلمي والترجمة وتعليم استخدام المكتبة كما هو الحال في مكتبة جامعة (براد فورد) ومكتبة جامعة (سوث هامبتون) التي حققت دوراً رائداً في ميكنة العمليات المكتبية وقيامها بإجراء البحوث العلمية (بتفويض من المكتبة البريطانية ، قسم البحوث والتطوير) في حين تتميز مكتبة جامعة (ساسكس) بوضع برامج تعليم المستفيدين لأنها مكلفة من قبل المكتبة البريطانية ، قسم البحوث والتطوير بهذا الموضوع[٢١] .

أما مكتبات جامعة بتسبرغ في الولايات المتحدة الأمريكية ومنها (Hillman Library) فيمكن إجمال أهم خدماتها لعموم الباحثين والدارسين من خلال الآتي[٢٢] :

١ - الخدمة المرجعية Reference Services وهي من الخدمات المتميزة التي تقدم للطلبة والتدريسيين للحصول على المعلومات في مختلف الموضوعات وبأقصى سرعة ممكنة .

٢ - الإعارة المتبادلة مع المكتبات الأخرى ILL : Inter-library Loan وتشمل توفير أوعية المعلومات المختلفة التي لا تضمها مجاميع مكتبات جامعة بتسبرغ ، ويستغرق توفيرها في ولاية بنسلفانيا (١٠ - ١٤) يوماً ، أما خارج حدود الولاية فيمكن توفيرها خلال أسبوعين أو ثلاثة .

٣ - شبكة استرجاع المعلومات المكتبية LIRN : Library Information Retrieval Net work التي تعتمد استخدام الحاسب الآلي والارتباط بقواعد المعلومات التي تشمل أكثر من (٢٠٠) قاعدة معدة للبحث بشكل منظم وسريع ، ونظراً لاشتراك مكتبة هلمن (Hill-man Library) بمركز مكتبات البحوث : CR. L Center for Researc Libraries بإمكان جامعة بتسبرغ الحصول على المواد المكتبية عن طريق الإعارة المتبادلة ومن أهم هذه المواد: الصحف المصورة على المايكروفلم ، رسائل الدكتوراه الأجنبية، الوثائق الحكومية، المواد الأرشيفية ، والدوريات العملية .

٤ - خدمات الوحدة البيليوجرافية المسماة (المصادر المكتبية Library Resources) والمكتبيون العاملون في هذه الوحدة من الاختصاصيين الموضوعيين في العلوم الإنسانية والاجتماعية والخدمة الأساسية التي يقدمونها هي تنمية وتطوير مجاميع المكتبة وخدمة المراجع المتخصصة والمساعدة الببليوجرافية أما بشكل انفرادي ، أو من خلال التعليم الرسمي النظامي .

فضلاً عن خدمات الاستنساخ والتصوير والمواد السمعية البصرية والمصغرات والتسهيلات الخاصة بتوفير الأثاث المريح وغرف القراءة لمجاميع صغيرة من الدارسين ورواد المكتبة، وغرف القراءة للمكفوفين، وخدمات إرشاد المستفيدين لطرق الحصول على المعلومات وبحث الإنتاج الفكري.

وتشترك أيضاً مكتبة جامعة ألينوى (ILlinois University) في عضوية مركز مكتبات البحوث لتوفير واستخدام أكبر عدد ممكن من المواد المكتبية بضمنها الدوريات العلمية والصحف باللغات الأوربية والآسيوية . وتضم المكتبة مختلف أوعية المعلومات في العلوم والتكنولوجيا والعلوم الاجتماعية والإنسانية . وكذلك تضم المجاميع الخاصة والمواد الأرشيفية والكتب النادرة المحفوظة في غرف خاصة تضم أكثر من (١٠٠,٠٠٠) مجلد و(١٧,٠٠٠) من الأفلام المصغرة ، وفي الآونة الأخيرة بذلت جهود كبيرة لتطوير خدماتها وتنمية مجاميعها في العلوم البيئية لدعم حركة البحث العلمي والتعليم في أقسام العلوم الاجتماعية والعلمية فضلاً عن دعم برامج الدراسات البيئية الجديدة في الجامعة[٢٣]، ولكي تستطيع هذه المكتبات أن تقدم خدمات أفضل إلى البحث العلمي فقد اتجهت إلى تكوين الاتحادات أو الجمعيات كما هو الحال في تجربة المكتبات البحثية في الولايات المتحدة الأمريكية (Research Libraries Group) التي تأسست في عام ١٩٧٤م من أربع مكتبات هي مكتبة جامعة كولومبيا وجامعة هارفرد ، ومكتبة نيويورك العامة ، ومكتبة جامعة ييل . والغرض من تأسيسها المشاركة في المواد المكتبية ، وتشجيع الاقتناء التعاوني ، وحفظ وتوفير المصادر البحثية واعتماد التقنيات الحديثة في اختزان المعلومات وبثها إلى المستفيدين[٢٤] .

ويمكن الإشارة إلى الكثير من نماذج المكتبات الجامعية التي تقدم خدمات المعلومات والبحث الآلي وخدمات الترجمة والإعارة المتبادلة وخدمات الإعلام عن البحوث الجارية والبث الانتقائي للمعلومات كما هو الحال في مكتبة جامعة سرى في المملكة المتحدة والمكتبات الجامعية في رومانيا ، ومكتبة جامعة لوزان في سويسرا ، ومكتبة الجامعة الوطنية في المكسيك .

وعلى نطاق الوطن العربي تم إنشاء بعض مراكز البحوث ووحدات المعلومات في مكتبات جامعية مختلفة تنهض بتقديم الخدمة المرجعية والببليوجرافية والإحاطة الجارية والتكشيف والاستخلاص وخدمات البحث الآلي . كما قامت مكتبات جامعية أخرى بتأمين الاتصال ببنوك وقواعد المعلومات على المستوى العربي والعالمي كما هو الحال في مكتبة جامعة وهران بالجزائر ومكتبة جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية ، ومكتبة جامعة بغداد[٢٥] . وغيرها دعماً لحركة البحث العلمي والدراسات الأكاديمية . كما في الشكل الذي يوضح العلاقة بين المعلومات والبحث العلمي من خلال هذه الدورة التي تبين مراحل بث المعلومات والاتصالات وصولاً إلى الإنتاج الفكري وتلخيصه وتجميعه والتعريف به كما يبين موقع كل من المصادر الوثائقية والمطبوعات الثانوية والمطبوعات من الدرجة الثالثة وكذلك المصادر غير الوثائقية ، كالاتصالات الشخصية وذلك كله فيما يعرف بدورة معلومات البحث[٢٦].

تقنيات المعلومات والاتصالات وأهميتها في تلبية احتياجات الباحثين في المكتبات الأكاديمية والبحثية :

تقنيات المعلومات والاتصالات : ماهيتها ومجالات استخدامها:

لقد أوردت بعض الدراسات تعريفات مختلفة لمصطلح تقنيات المعلومات ، فقد ورد في المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات أن تقنية المعلومات تعني "الحصول على المعلومات الصوتية والمصورة والرقمية والتي في نص مدون وتجهيزها واختزانها وبثها وذلك باستخدام توليفة من المعدات المايكروإلكترونية الحاسبة والاتصالية عن بعد[٢٧] بينما يؤكد جينفر رولي على وضع واستخدام التعريفات الآتية[٢٨] :

١ - اقتناء المعلومات المنطوقة والتصويرية والنصية

والرقمية ومعالجتها وتخزينها وبثها بواسطة مزيج من التحسيب والاتصالات عن بعد .

٢ - جمع المعلومات وتخزينها ومعالجتها وبثها والإفادة منها وهي لا تقتصر على الأجهزة والبرامج بل تؤمن بأهمية الإنسان والأهداف التي يضعها لهذه التقنية والقيم التي أملت هذه الاختيارات ومعايير التقويم المستخدمة لمعرفة ما إذا كان يتحكم فيها ويستفيد منها.

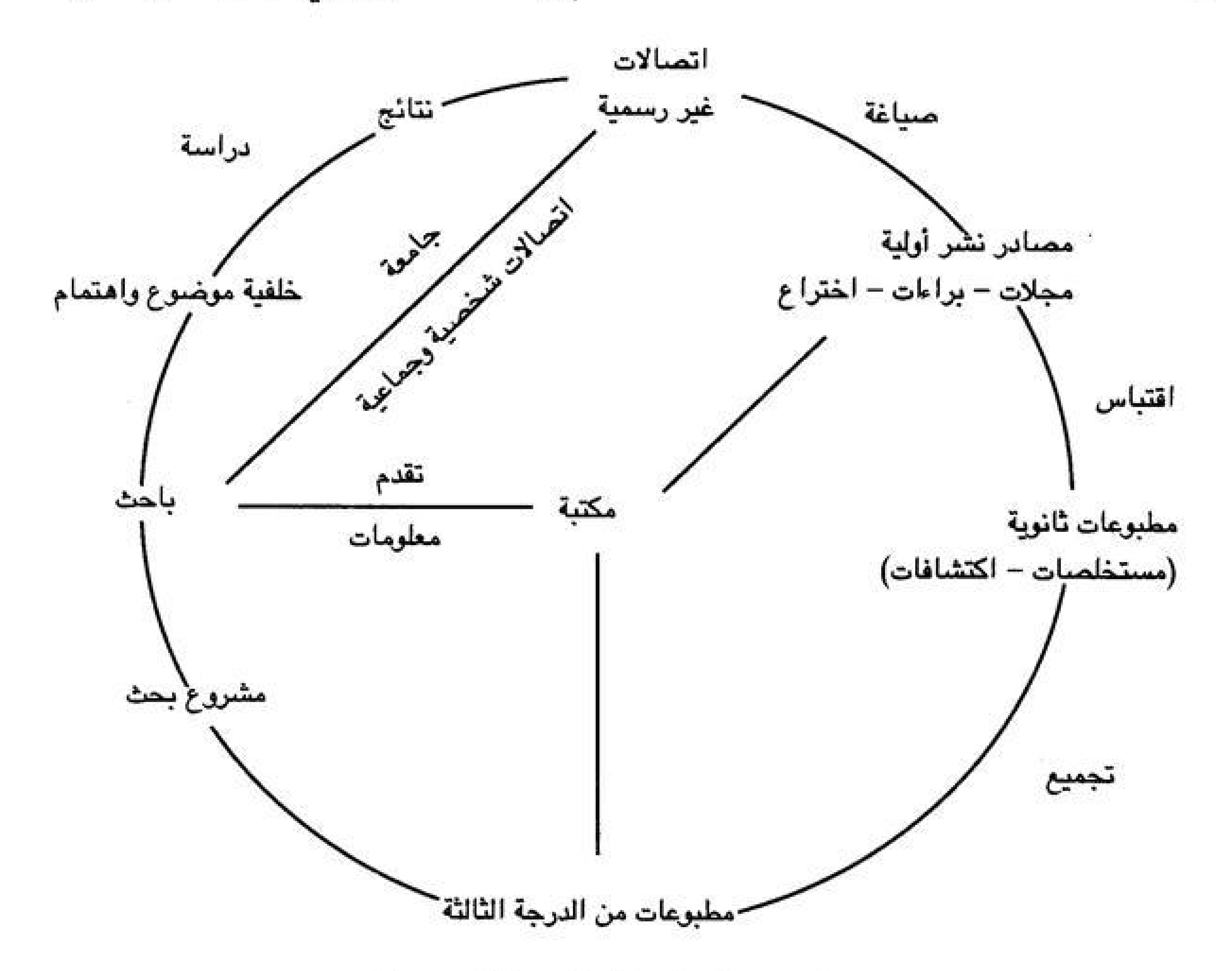
٣ - النظم العلمية والتقنية والهندسية والطرق الإدارية المستخدمة في التعامل مع المعلومات ومعالجتها واستخدامها .

ويشير الدكتور زكي الوردي إلى أنها تعني "الأجهزة والآلات والمواد التي تستخدم في عمليات خزن ومعالجة واسترجاع وبث المعلومات وتشمل هذه التقنيات الحاسبات والمصغرات والوسائل السمعية البصرية وأجهزة الاستنساخ"(٢٩) .

أما تقنيات الاتصالات "فهي الأجهزة والمعدات والمواد التي تستخدم لإيصال أو نقل رسالة Massage سواء كانت مكتوبة ، مصورة أو شفوية من نقطة معينة إلى نقطة أخرى تفصل بينهما مسافة معينة(٣٠) .

وقد تطورت تقنيات الاتصالات من أشكالها البدائية كالصياح والإيماءات والإشارات الدخانية إلى برقيات ثم إلى ما يعرف اليوم بالتقنيات الحديثة التي أحدثت ثورة في عالم الاتصالات ومنها الهاتف ، والفديو تكست ، والتيليتيكست والفاكسميل والتلفزيون القابلوي والأقمار الاصطناعية ، ومن ثم بلوغها قمة هذه التطورات من خلال استخدام الشبكة العالمية (الإنترنت) .

وتعد تقنيات المعلومات والاتصالات من المفاهيم الحديثة نسبياً التي شهدت تطورات سريعة وملموسة في النصف الثاني من القرن العشرين نتيجة لجهود مستمرة قام بها المتخصصون في مجال المعلومات والاتصالات .



كتب دراسية - أعمال شاملة - تعطل

الشكل رقم (١) : دورة معلومات البحث

لغرض الوصول إلى طرق بديلة لاختزان المعلومات واسترجاعها وبثها بوسائل اتصال سريعة . أما العوامل التي أدت إلى القيام بهذه الجهود والنشاطات فهي[٣١] :

١ - الزيادة الهائلة في كمية المعلومات التي تنشر بمختلف مصادر المعلومات وبمختلف اللغات والتي أدت إلى ما يسمى بانفجار المعلومات ، وقد نجم عن هذا التزايد الهائل في حجم المعلومات عجز الأفراد والمؤسسات في السيطرة على تدفق المعلومات ومن ثم صعوبة حفظها واختزانها واسترجاعها بالطرق اليدوية .

٢ - تغيير مستلزمات العصر وطبيعة الحاجة إلى المعلومات. إذ أصبحت الاحتياجات الملحة وعملية صنع القرارات تتطلب الحصول على المعلومات بشكل سريع ومنظم مما يتعذر تحقيق ذلك بالطرق والوسائل التقليدية .

٣ - تزايد الطلب على المعلومات ذات الصبغة العالمية نتيجة لازدياد عمليات التبادل الاقتصادي والثقافي والاجتماعي ولتقدم وسائل الاتصال مما أدى إلى اتساع اهتمامات الإنسان المعاصر لتشمل العالم كله.

٤ - حاجة الإنسان في الحصول على المعلومات مشتتة أو موزعة على عدد من البقع الجغرافية وفي أماكن متفرقة وعجز الوسائل التعليمية عن تلبية هذه الاحتياجات .

٥ - قصر الفترة الزمنية الواقعة بين لحظة ظهور إنجاز علمي جديد ولحظة ظهور إنجاز علمي آخر .

ويمكن إضافة نقاط أخرى وهي[٣٢] :

١ - تحتاج إجراءات المكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات إلى استثمار تقنيات الاتصال الحديثة في إنجاز الأعمال الإدارية والفنية بالسرعة والكفاءة المطلوبتين مثل إجراءات التزويد والفهارس الموحدة وسواها .

٢ - التعاون بين المكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات يحتاج إلى تقنيات معلومات واتصالات مؤثرة ومتطورة لتبادل المعلومات وإنشاء شبكات المعلومات التعاونية المطلوبة كالشبكات الوطنية والإقليمية والعالمية، ومنها على سبيل المثال شبكة مكتبات أوهايو في الولايات المتحدة الأمريكية (OCLC) وشبكة معلومات المكتبات البحثية (RLIN) وشبكة الإنترنت ، وتجربة الشبكة العربية للمعلومات التي تعمل الأمانة العامة لجامعة الدول العربية على تنفيذها من خلال مركز التوثيق والمعلومات فيها (ALDOC) وغيرها .

وقد أدى ظهور هذه التقنيات إلى استخدامها وتوظيفها في مجالات وخدمات مختلفة في حقل المكتبات والمعلومات كاستخدامها في تسهيل مهمات الإعارة والخدمات المرجعية وضبط الدوريات ووظائف وأعمال التزويد وإعداد الفهارس وإخراج الكشافات والبث الانتقائي للمعلومات وخدمات الإحاطة الجارية واختزان المعلومات واسترجاعها وبثها للباحثين وعموم المستفيدين .

تأثير تقنيات المعلومات والاتصالات على خدمات المعلومات:

أدى ظهور تقنيات المعلومات والاتصالات الحديثة واستخدامها في المكتبات ومراكز المعلومات إلى تأثيرات واضحة في واقع خدمات المعلومات ومعالجتها واسترجاعها ونقلها للمستفيدين وبخاصة بعد الثورات الثلاث المتلاحقة التي حدثت في أعقاب الحرب العالمية الثانية . وأولى هذه الثورات ثورة الحاسبات ، أما الثورة الثانية فتمثلت بثورة المعلومات التي جاءت متوازية مع الثورة الأولى ، في حين ظهرت آخر هذه الثورات بسرعة فائقة متمثلة بثورة الاتصالات ، وقد قادت هذه الثورات بمجملها إلى النشر الإلكتروني أو ما يسمى بعصر اللاورقية ، وأسهمت في تطوير خدمات المعلومات وسهولة الحصول عليها[٣٣] . وسنركز على تبيان أثر هذه التقنيات في المجالات الآتية :

أولاً- تأثيرها على خدمات المكتبات ومراكز المعلومات.

يمكن تلخيص أهم التأثيرات التي أحدثتها هذه التقنيات في هذا المجال بالآتي[٣٤] :

* زيادة حجم الإحاطة الجارية وتحسين نوعيتها .
* زيادة حجم البث الانتقائي للمعلومات وتحسين نوعيته .

* توفير قواعد وبنوك المعلومات بشكل كبير .
* التزايد في استخدام البحث البليوجرافي المباشر .
* توفير قوائم ببليوجرافية أكثر للاستخدام والاختيار .
* التزايد في استخدام خدمات الاستنساخ والتصوير .
* توافر خدمات جديدة لم تكن متوافرة سابقاً في مجالات التكشيف والاستخلاص والبحث عن المعلومات .
* الوصول إلى مصادر معلومات موجودة في أماكن متعددة داخل القطر الواحد أو في أقطار متعددة .
* الدقة والسرعة في إجراءات الخدمة المكتبية .
* نقل المؤتمرات عن بعد والندوات والوثائق والنصوص والنشاطات العلمية .
* اتجاه المكتبات وتحولها في سياستها من استراتيجية اقتناء المجموعات وتوفيرها إلى استراتيجية الوصول وإتاحة المعلومات للمستفيدين .

ثانياً – تأثيرها على مصادر المعلومات :

أسهمت تقنيات المعلومات في هذا الميدان في الاستغلال الأمثل لمصادر المعلومات وبرز تأثيرها على هذه المصادر من خلال الآتي :

١ – تناقص وتضاؤل دور مصادر المعلومات التقليدية وبروز مصادر المعلومات الإلكترونية الحديثة التي تتسم بالحداثة والشمول والدقة ، ومما يعزز ذلك أن تناقص عدد الاشتراكات في المطبوعات الورقية أصبح أمراً لا يمكن تجاهله ، فمنذ منتصف عقد السبعينات ألغت العديد من المكتبات الأمريكية وبخاصة المكتبات الأكاديمية اشتراكاً أو أكثر في خدمات التكشيف والاستخلاص المطبوعات لتوافرها آليّاً على الخط المباشر . فضلاً عن ازدهار أسواق النشر الإلكترونية مقابل تراجع في الإقبال على المطبوعات الورقية . ومن أشهر الأمثلة على ذلك الكشاف الطبي Index Medicus والمستخلصات الكيميائية Chemical Abstracts لقد تعاقدت مجلة Harvard Business Review مع دار نشر جون وايلي John Wiley على نشر محتوياتها كاملة آليّاً من خلال شبكة معلومات معروفة باسم (نكسيس Nexis) منذ عام ١٩٨٢م . وتقدم هذه الشبكة النصوص الكاملة لما يزيد على مئة من الصحف والمجلات والنشرات الإخبارية آليّاً ، ومنها على سبيل المثال – صحيفة واشنطن بوست Washington Post ونيوزويك News Weel والإيكونومست The Economist وغيرها [٣٥] . وقد شخص ذلك لانكستر Lancaster في كتابه نحو نظم معلومات لاورقية Toward pa-perless Information system مشيراً إلى أن المجتمع في طريقه إلى تحول من مجتمع يعتمد في عملية الاتصال الرسمي على الورق المطبوع إلى مجتمع يعتمد نظامه الاتصالي على الأساليب الإلكترونية في نهاية القرن الحالي . ومما يؤكد صحة هذه التوقعات الانخفاض المتزايد في كلفة استخدام الحاسبات وتقنيات الاتصال عن بعد[٣٦] .

٢ – ظهور مصدر المعلومات نفسه بأكثر من شكل كظهوره على شكل مطبوع أو على وسط مغناطيسي كما هو الحال في الكثير من البليوجرافيات والكشافات والمستخلصات التي تتوافر فيها نسخ مطبوعة في المكتبة ، فضلاً عن توافرها في قواعد البيانات ، وأصبح بإمكان المستفيد الحصول على خيارات متعددة للمقارنة بين أكثر من مصدر ، واختيار ما يناسب اهتماماته مما يعكس رضاه وارتياحه بواقع الخدمات المكتبية المقدمة له[٣٧] كذلك فقد أسهمت هذه التقنيات في الاختصار في الحيز المكاني المطلوب لاختزان المعلومات .

ثالثاً – تأثيرها على الاستخدام :

نظراً لتوافر المعلومات وإتاحتها بأشكال مختلفة ورقية وإلكترونية وسهولة الوصول إليها واستخدامها فلابد أن تظهر أنماط جديدة للاستخدام، ويبدو ذلك واضحاً من خلال الآتي :

- ظهور أغراض جديدة لاستخدام المعلومات .
- زيادة في حجم استخدام المعلومات لتوافرها وسهولة الوصول إليها .
- الاعتماد على معلومات ليست متوافرة أو منتجة محلياً يمكن الحصول عليها من خلال الاتصال ببنوك وشبكات المعلومات من مختلف بلدان العالم .
- الانتقائية في استخدام المعلومات ومقارنتها ونقدها .
- التعامل مع المعلومات على أنها سلعة تباع وتشترى وتختزن وتنقل[٣٨] .

رابعاً - المستفيدون :

وفرت تقنيات المعلومات والاتصالات تسهيلات علمية وفنية وغزارة في كمية المعلومات المقدمة للمستفيدين ، وأصبح بإمكان المستفيد التحاور مع نظام المعلومات واستخدام ما يناسبه بالشكل وبالصيغة التي يحتاجها من الخدمات والبرامج الثقافية والعلمية ، فضلاً عما تقدمه المكتبة ومركز المعلومات من برامج تعليمية وتدريبية خاصة بالمستفيدين لجعلهم أكثر ألفة ومعرفة بنظم وبرامج المكتبة وخدماتها الجديدة التي تتناسب مع اهتماماته ومجالات تخصصه .

وقد تزايدت أعداد المستفيدين من العلماء والباحثين الذين يستخدمون الخط الآلي المباشر والاتصال عبر شبكات المعلومات والمنافذ الطرفية بسبب الروح الودية التي يشعر بها المستفيد مع الحاسبات المصغرة والبرامجيات ولارتفاع مستوى المعرفة بنظم المعلومات والحاسبات الشخصية ، كما أصبح لظهور قواعد البيانات الرخيصة على الأسطوانات المرنة والأقراص المكتنزة مع توافر أجهزة عرض هذه الأقراص أهمية كبيرة . إذ أصبح بإمكان المستفيدين أن ينجزوا أعمالهم الخاصة تماماً مثلما يقوم الكثير من الناس ببحث قواعد البيانات على الخط المباشر بأنفسهم لدرجة أن بحث المستفيد النهائي يبدو كما لو أصبح من ألعاب الحاسب الإلكتروني . كما أن الاتصال عبر الأقمار الاصطناعية والتلفزيون ... والفديوتكس والتيليتكست وما يرافقه من برامج مفضلة حسب الطلب وأجهزة تحويل قابلة للمخاطبة توحي جميعاً بإمكانية تجاوز المكتبة[٣٩] إذ يمكن للمستفيدين الاتصال المباشر ببنوك وقواعد المعلومات وهم في بيوتهم ومكاتبهم في الحصول على المعلومات المطلوبة.

* وتأتي أهمية تقنيات المعلومات والاتصالات كونها تسهم في تحقيق الاستثمار الأمثل لمصادر المعلومات نظراً لما تمتاز به من إمكانات كبيرة في اختزان واسترجاع المعلومات وتسهيل مهمة الباحثين في تقصي الحقائق والوصول إليها ، وما دام الهدف الأساس للبحث العلمي هو تفسير ظواهر الوجود طبيعية كانت أم اجتماعية فإن الباحث يسعى باستمرار إلى اكتشاف العلاقات المنطقية التي تربط بين هذه الظواهر، وإن هذا المسعى لا يمكن تحقيقه ما لم يستند إلى فهم سليم لطبيعة المشكلة التي يراد دراستها والنظريات المتعلقة بها وجوانبها المختلفة التي تم بحثها من قبل وأفضل الأساليب لدراستها ، وهو فهم لا يتحقق إلا من خلال الإلمام بالحقائق العلمية المتوافرة، فإن توافرت مثل هذه المعرفة كان بمقدور الباحث السيطرة على عناصر المشكلة ومحاولة دراستها ، ومن هنا تأتي أهمية الدور الذي تؤديه خدمات التقنيات الحديثة للمعلومات في تيسير هذا الأمر على الباحث وبخاصة في ظل التزايد الكبير والمستمر الذي تشهده المعرفة البشرية في الوقت الحالي[٤٠] ، ونستعرض فيما يأتي أهم هذه التقنيات:

١ - الأقراص المكتنزة CD - ROM :

هي عبارة عن أقراص من الألمنيوم مطلية بمادة بلاستيكية بحجم ٤,٧ أنج أو ١٢ أنج ولها طاقة اختزان تبلغ ٥٠٠ - ٦٠٠ ميغا بايت أي ما يعادل محتويات ٣٠٠,٠٠٠ قيد أو عدة مئات من الأقراص المرنة Floppy Disc المستخدمة في الحاسبات الشخصية، وتقرأ محتويات هذه الأقراص بواسطة أشعة الليزر[٤١] . وقد ظهرت هذه التقنية استجابة لمشكلة اختزان المعلومات واسترجاعها نتيجة للكم الهائل من الإنتاج الفكري حيث

استطاعت هذه الأقراص أن تقدم حلولاً توفيقية لهذه المشكلة لما تمتاز به من الخصائص التالية[٤٢] :

١ - قابليتها العالية للاختزان إذ يسع القرص الواحد ما يقارب ٢٧,٠٠٠ ورقة من الحجم الاعتيادي .

٢ - تمتاز بصغر حجمها إذ يمكن حفظ منظومة كاملة من الأقراص في أدراج محدودة فضلاً عن كونها لا تحتاج إلى وسائل حفظ خاصة بها .

٣ - سهولة استخدامها .

٤ - كلفة شرائها منخفضة نسبيّاً قياساً بكلفة استخدام الخط المباشر في استرجاع المعلومات .

٥ - يتصف البحث من خلال استخدام هذه الأقراص بالمحافظة على استراتيجيات البحث بعكس البحث في قواعد البيانات العالمية التي لا يوجد فيها غطاء أمني لعمليات البحث أي التخلص من نظم الرقابة الداخلية الموجودة في نظم قواعد البيانات العالمية.

٦ - تمتاز بطول العمر قياساً بالأقراص المغناطيسية .

٧ - يمكن تحديث المعلومات المجملة على الأقراص المكتنزة شهريّاً من قبل منتجي هذه الأقراص .

ونتيجة لهذه الخصائص فقد اتجه العديد من المكتبات ومراكز المعلومات نحو إضافة تجربة استخدام الأقراص المكتنزة إلى خدماتها لكونها تقنية حديثة تسهم في تسهيل مهام الباحثين وتختصر لهم الوقت والجهد في الوصول إلى ما يبغونه من معلومات . وقد بدأ الاهتمام بهذه التقنية في أوائل عام ١٩٨٥م وكانت مكتبة الكونجرس من أوائل المؤسسات التي استخدمت هذه الأقراص في خدماتها[٤٣]، وتمثل المكتبات الجامعية في الوقت الحاضر أكبر مستخدم لهذه الأقراص إذ يرى أصحاب القرار أن ٨٠٪ من مستخدمي الأقراص المكتنزة في جميع أنحاء العالم هم المستفيدون من خدمات المكتبات الجامعية ولذلك أصبحت هذه التقنية منافساً قوياً للبحث المباشر[٤٤] . أما قواعد المعلومات المسجلة على الأقراص المكتنزة فقد بلغت في عام ١٩٨٩م حوالي ٣٩٠ قاعدة تنتج وتوزع عن طريق أكثر من شركة أو مؤسسة واحدة وبأشكال قد تختلف قليلاً من حيث إرشادات وتعليمات الاسترجاع والبرمجة وأحياناً حجم التغطية كما هو الحال في قاعدة معلومات التربية والتعليم (ERIC) التي تنتج عن طريق دايلوك Dialog وسلفر بلانتر Silver Planter وبنك معلومات مكتبات أوهايو (Oclc) وتتنوع محتويات تلك الأقراص ما بين معلومات وقواعد ببليوجرافية وقواعد مستخلصات وقواعد تحمل نصوص متكاملة [٤٥] ، وقد لاقت هذه التقنية حماساً كبيراً ابتداءً من أواخر عقد الثمانينات وجذبت أنظار الكثير ممن يعملون في حقل المعلومات العلمية ووجدوا فيها فرصة ثمينة لتطوير نظم استرجاع المعلومات الموجودة حاليّاً ، كما اتجه العديد من الناشرين إلى هذه الأقراص من أجل استخدامها في عملية النشر وبخاصة نشر الأعمال المرجعية كالأدلة والموسوعات وسواها وهو ما نطلق عليه اليوم مصطلح النشر الإلكتروني[٤٦] .

٢ - خدمات البحث على الخط المباشر On-line Searching

هي إحدى الخدمات التي تقدمها نظم الاتصال المباشر On-line systems حيث تتصل المكتبات ومراكز المعلومات بالمستخلصات والكشافات والمعلومات الببليوجرافية المتعلقة بكل ما ينشر في ميادين اختصاصاتهم من مقالات وبحوث وتقارير وغيرها[٤٧] وتتصف خدمات البحث على الخط المباشر بكونها طريقة تفاعلية وتحاورية عن طريق منفذ Terminal للاتصال بالحاسب الإلكتروني المركزي وأحياناً ما يكون هذا المنفذ على بعد آلاف الأميال عن الحاسب المركزي وللإفادة من هذه الخدمات يقوم الباحث بالاتصال عبر هذا المنفذ عن طريق خط هاتفي عبر شبكة الاتصال عن بعد Tele-communication حيث يمكن الاتصال بالمئات من مراصد البيانات الببليوجرافية وغير الببليوجرافية، وبذلك يكون الباحث "على الخط" مع برنامج الاسترجاع وكأنه يتحدث مع شخص آخر هاتفياً[٤٨].

أما أهم خدمات الاسترجاع المباشر المتوافرة للباحثين فيمكن إجمالها بما يأتي[٤٩] :

١ - البحث الراجع Retrospective

يقوم البحث الراجع على أساس إجراء مسح شامل لكل محتويات إحدى قواعد البيانات أو مجموعة منها في مجال موضوعي معين أو لمؤلف محدد أو شكل وثائقي خاص أو دورية أو مكان ما أو غيرها من المحددات .

٢ - البحث الشامل Comprehenstve Search

يتناول هذا النوع من البحث موضوع مخصص ويشمل جميع أنواع الوثائق وجميع المؤلفين الذين كتبوا في الموضوع بغض النظر عن الفترات الزمنية التي تغطيها قواعد البيانات .

٣ - البحث الانتقائي Selective Search

يتحدد هذا النوع من البحث بمعايير خاصة مثل الحصول على قائمة البحوث الحديثة حول مؤلف معين أو البحوث التي أجرتها مؤسسة معينة أو قائمة بالمقالات التي نشرتها صحيفة معينة حول أحد الأحداث .

٤ - بحث الحالة الراهنة the state - of - art Search

يهدف هذا النوع من الاسترجاع إلى تحديد الوضع الراهن لأحد مجالات البحث العلمي من أجل معرفة ما يقوم به أحد الباحثين في الوقت الحالي مثلاً وما البحوث التي يجرى دعمها وأحدث النتائج التي تم التوصل إليها وكل ما له علاقة بالوضع الراهن للبحث في مجال موضوعي معين .

٥ - البث الانتقائي للمعلومات Selective Dis

الغرض من هذه الخدمة هو مواكبة التطورات الجارية في موضوع معين، ويتم ذلك بتزويد الباحث بالإشارات الببليوجرافية بطريقة تلقائية بعد أن يحدد الباحث السمات العلمية الخاصة به حيث يتم مضاهاة هذه السمات مع سمات الوثائق المتوافرة في قاعدة البيانات لاختيار ما يتلاءم مع احتياجات الباحث .

٦ - البحث المرجعي Ready - Reference Search

يتم في هذه الخدمة تقديم البيانات والمعلومات المحددة للرد على الاستفسارات التي تحتاج إلى إجابات علمية فورية، وذلك باستخدام قواعد البيانات المصدرية التي تضم حقائق أولية وبيانات إرشادية .

٧ - بحث براءات الاختراع Patent Search

لقد ازدادت هذه الخدمة في الآونة الأخيرة من خلال إنشاء قواعد البيانات الخاصة ببراءات الاختراع، وبذلك أصبح بإمكان الباحثين وبخاصة في المجالات التطبيقية التعرف على الاختراعات الجديدة ونتائج البحوث المتعلقة بها وبالتالي اتخاذ القرار المناسب لتحديد اتجاهات بحوثهم من أجل النهوض بالتقنيات المتوافرة .

٣ - نظم استرجاع النصوص والأوعية الفائقة (المترابطة)

هي نظم استرجاع معلومات متطورة لم تلتزم النظام التسلسلي الثابت للنصوص ولم تكن المعلومات جاهزة وميكانيكية وإنما تتشكل وفقاً لاهتمامات المستفيد الذي يشارك في توظيفها وتحريكها ليعدل فيها أو يضيف إليها ويعلق عليها بما يتيح استرجاع المعلومات بشكل دقيق ومفصل ومرئي ومسموع . ويمكن تناول الأنواع والنماذج الآتية :

أ - النص الفائق (الهايبرتكست Hypertext)

هو عبارة عن تجميع للمعلومات ذات العلاقة في شكل عقد (nodes) تترابط معاً من خلال موصلات (linds) وتتضمن هذا العقد نصوصاً (Texts) ورسوماً ومخططات بيانية مختلفة . ويكون نظام العرض غير تتابعي ، ويكون المستفيد حراً في السيطرة على حركته بطريقة منطقية بدلاً من التقيد بتتابع القراءة والكتابة ، فضلاً عن المرونة في التعليقات في سياق الكلام، وتقديم التسهيلات لإجراء بعض التعديلات . ومثل هذا النموذج يكون مناسباً في حالة توافر كمية كبيرة من المعلومات ، وأن هذه المعلومات المطلوبة تكون مترابطة ومتشابكة في موضوعاتها ، ولا يحتاج المستفيد في وقت واحد إلا لجزء محدد من تلك الموضوعات[٥٠] .

ب - الأوعية الفائقة (الهايبرميديا Hypermedia):

وتعني نظام العرض السابق نفسه للنصوص الإلكترونية مع وجود خليط من الوسائل الإعلامية مثل النصوص والرسوم والصوت والصورة والخطوط البيانية ، وتكون المعلومات ديناميكية متحركة يسهم المستفيد في تحريكها وإضافة ملاحظاته واستخدام الأزرار والروابط كلما رغب في ذلك . ويستخدم لانكستر الهايبر ميديا كمرادف لنظم الأوعية المتعددة للدلالة على المطبوع الإلكتروني غير التقليدي المصحوب بالمخططات ذات البعدين أو ثلاثة الأبعاد والصور الثابتة والمتحركة والصوت(٥١) . ولنظم الأوعية الفائقة مميزات عدّة يمكن إجمالها بالآتي(٥٢) :

١ - سهولة استرجاع المعلومات حتى في حالة استعمال مستفيدين عدة لوثيقة ما وفي الوقت نفسه .

٢ - إمكانية حجب المعلومات غير الضرورية عن المستفيد .

٣ - مساعدة الأشخاص في التدريب والممارسة في بيئة عملهم .

٤ - محاكاة الحالات الحقيقية .

٥ - إمكانية تشكيل أو تكوين مصادر جديدة بسهولة.

٦ - القدرة على تركيب المعلومات بما يتفق واهتمامات المستفيدين .

٧ - إمكانية إجراء التعديلات والإضافات والتعليقات من قبل المستفيدين .

ج - نظام الأوعية المتعددة (Multimedia)

تعد هذه التقنية أحدث أنواع استرجاع المعلومات الفائقة . وهي التكنولوجيا التي تمزج النصوص بالأصوات والصور الثابتة والمتحركة فتمنحنا برامج شبيهة بالأفلام السينمائية أو تسجيلات الفديو .

ويمكن إرجاع الجذور التاريخية للأوعية المتعددة إلى المستشار العلمي للرئيس الأمريكي روزفلت وهو (فانفربوش) وآلته الخيالية (Memex) في عام ١٩٤٥م التي بين فيها نظرته المستقبلية إلى إمكانية التوصل إلى طريقة يمكن من خلالها الحصول على معلومات بشكل سريع من خلال التخزين والربط التشابكي غير الخطي بين الوثائق والصور لمختلف الموضوعات(٥٣) . وبعد مرور (١٥) خمسة عشر عاماً على هذه الفكرة طور دوكلاس إنجلبرت Douglas Engellbert جهازاً يشابه في الوقت الحاضر ما يطلق عليه (معالج النصوص) . وفي عام ١٩٦٥م أوجد تيد نيلسون Ted Nelson ما يسمى بالنص الفائق (Hyper text) وفي الثمانينات أصبحت الأوعية المتعددة عملية ومطلوبة وبخاصة بعد التطورات السريعة التي شهدتها تكنولوجيا الحاسبات(٥٤) .

ويظهر من خلال استعراض النماذج المختلفة لهذه النظم أن هناك ترادفاً في مفاهيم هذه المصلحات وبخاصة بين مصطلحي (Multimedia) و(Hypermedia) لاستخدامهما مع الحواسيب وتطبيقاتها. ولم يكن ذلك مشتملاً على النصوص فحسب، وإنما البث الصوري والصوتي وربط أجهزة الفديو والتسجيلات الصوتية مع الحواسيب الشخصية للدلالة على الطرق المتعددة لمخرجات سمعية وبصرية ثابتة ومتحركة ومتفاعلة مع بعضها الآخر، ومعتمدة على تقنية الأقراص الضوئية (Optical Disks) أما بالنسبة لمصطلح (Hyper text) فقد ارتبط كليّاً مع الحواسيب وتطبيقاتها على النصوص المكتوبة فقط والنشر الإلكتروني(٥٥) .

ومهما كانت طبيعة التعريفات والمفاهيم المتعلقة بهذه النظم الحديثة المتطورة فإنها تمثل قنوات ومنافذ على جانب كبير من الأهمية للباحثين وعموم المستفيدين لإمكانية الحصول على معلومات متكاملة وغزيرة يمكن التحكم فيها والسيطرة عليها اعتماداً على رغبات واهتمامات المستفيدين في اختيار المعلومات وسهولة الحصول عليها، والتجوال بين الملفات وقواعد البيانات وتنوع الموضوعات من خلال شبكة واسعة من العلاقات بين النصوص والوثائق ومختلف آفاق الخدمة المكتبية والمعلوماتية .

٤ - تقنيات الاتصال الحديثة (الإنترنت نموذجاً) .

في خضم التطورات العلمية والتقنية التي يشهدها العالم المعاصر أصبحت المكتبات ومراكز المعلومات تواجه تحديات كثيرة وبخاصة بعد الانفجار المعرفي والتدفق الهائل للمعلومات ، وتضخم الإنتاج الفكري فكان عليها أن تضع الخطط والسياسات الكفيلة بتطوير نظم المعلومات والاتصالات والدخول في المشاريع التعاونية والارتباط ببنوك وشبكات المعلومات العالمية والاهتمام بتنمية الملاكات المتخصصة من خبراء ومستشاري المعلومات لتأمين الحصول على خدمات معلومات سريعة ومتطورة للباحثين والمستفيدين، ومن أهم التطورات الحاصلة في خدمات الاتصال يمكن تبيان قمة هذا التطور من خلال شبكة الشبكات العالمية "الإنترنت" واستعراض مجالات استخداماتها العلمية في المكتبات ومراكز المعلومات وأهمية ما توفره هذه الشبكة للباحثين وخدمات البحث العلمي .

أ - ماهية الإنترنت ونشأتها :

تمثل الإنترنت شبكة اتصالات واسعة وكبيرة ليس لها كيان يتمتع بالاستقلال الإداري وهي شبكة ذات توجهات وخدمات متنوعة تربط العالم كله وتساعد في إجراء الاتصالات بين الأفراد والمؤسسات العلمية والبحثية المختلفة لتبادل المعلومات والخبرات المهنية والتقنية ، وتفيد في عملية التعلم عن بعد ، وبالنسبة لأعمال المكتبات ومراكز المعلومات فإنها تضاعف من إمكانية الحصول على معلومات غزيرة ومتنوعة وتقدم الإجابات عن الأسئلة المرجعية ، ويمكن من خلالها البحث في الدوريات الإلكترونية والحصول على ملخصات البحوث والتقارير العلمية والقوائم الببليوجرافية لقواعد المعلومات المتاحة عليها ، والإفادة من مجمل خدمات البريد الإلكتروني .

وبذلك يمكن القول إن هذه الشبكة تمثل خزين مكتبة عظمى بلا جدران متشعبة التخصصات والموضوعات ومستمرة في التوسع مع تنامي عدد الشبكات التي ترتبط بها وتضخم عدد المؤسسات المستفيدة منها على نطاق العالم[٥٦].

أما بالنسبة لنشأة الإنترنت فقد كانت نتيجة لسلسلة من التطورات في الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر الستينات كمشروع تشرف عليه APPA وكالة مشاريع البحوث المتقدمة التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية، وكانت هذه الشبكة الأولى التي تسمى ARPANET تربط فقط بين مجموعة ضئيلة من الحواسيب في عدد قليل من المناطق في الولايات المتحدة . وفي وسط الثمانينات أنشأت المؤسسة الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة (USNSF) شبكة تعتمد التكنولوجيا المستعملة في شبكة ARPANET وتسمى شبكة NSP وهي شبكة تمتد عبر الولايات المتحدة وتربط بين العديد من الشبكات الصغرى ، ويمكن للباحث الوصول إلى المصادر وبمشاركة وتمويل من المؤسسة الوطنية للعلوم بدأت شبكة NSF تربط بين عدد أكبر من الحواسيب في الجامعات والمؤسسات البحثية ومختلف الدوائر الحكومية[٥٧] .

وقد تخطت هذه الشبكة العالمية الحواجز الإقليمية والمحلية لتربط أكثر من (١٦٠) مليون نسخة في أكثر من (١٦٠) بلداً في مختلف أنحاء العالم يستخدمون أكثر من (٨) ملايين حاسوب . ويبلغ عدد المستخدمين لهذه الشبكة حالياً ١٠٪ من سكان الدول المتقدمة ويتوقع أن يصل عدد المستخدمين (٧٠) مليون مشترك من مختلف أنحاء العالم وذلك في عام[٥٨] ٢٠٠٠م .

الاستخدامات العلمية للإنترنت :

هناك العديد من الاستخدامات العلمية لشبكة الإنترنت يمكن إجمالها بالآتي[٥٩] :

١ - تبادل الرسائل الإلكترونية (E. Mail) بين العلماء والباحثين والمؤسسات العلمية أو بين المشتركين في خدمات هذه الشبكة أينما كانوا . ومما يشجع على هذه الخدمة هو تدني سعر الاتصال في حالة البريد الإلكتروني إذ يمكن تشبيه هذا البريد بالمحادثة الهاتفية أو رسالة يقوم بإرسالها حاسوب معين وتستقبل هذه الرسالة من حاسوب آخر قريب أو بعيد ولكل حاسوب عنوان ثابت ولكل

مستخدم أيضاً عنوان ثابت ، ويمكن استغناء المؤسسات العلمية والمكتبات عن البريد الورقي واستبداله بالبريد الإلكتروني لكونه يسهل العديد من الإجراءات فضلاً عن كونه يختصر الوقت والجهد لهذه المؤسسات ويسهم في تشجيع التعاون والتنسيق فيما بينها. وفي حالة استخدام البريد الإلكتروني من قبل الباحثين فإنه يوفر لهم الاتصال السريع بأقرانهم من الباحثين خارج نطاق البلد الواحد ويجعلهم على اتصال تام لمتابعة كل ما له علاقة بتخصصاتهم ومن مزايا البريد الإلكتروني(٦٠) :

أ - رخص الثمن مقارنة بالمكالمات الهاتفية .

ب - السرعة في إيصال الرسائل ونقل المعلومات إذ يحتاج لبضع ثوانٍ أو دقائق معدودة .

ج - الراحة : فلا حاجة للقلق في تسلم الرسالة إذا كان الباحث موجوداً لأن بإمكانه أن يقرأ الرسالة لاحقاً .

د - تسهيل المراسلات الدولية إذ لا داعي للقلق حول فارق الوقت واختلاف اللغات بين مختلف بلدان العالم.

هـ - القوائم البريدية حيث يمكن إنشاء قوائم بريدية (Mailing lists) بحيث يكون بالإمكان كتابة رسالة واحدة وإرسالها بصورة تلقائية في وقت واحد إلى مجموعة من الأشخاص .

٢ - برتوكول نقل الملفات File Transfer Protocol

يتم ذلك بنقل ملفات من حاسب إلى آخر ، تتضمن النصوص وأجوبة الاستفسارات والبرامج والصور والملفات الصوتية والتسجيلات .

٣ - استعراض الملفات ، وتسمح خدمة تصفح المعلومات لتحديد مكانة المعلومات بالبحث من بعد . ومعظم هذه الخدمات تعمل بشكل متفاعل وآني وتسمح للمستفيدين بالبحث عن المعلومات من بعد . ومثال على ذلك:

أ - تحديد مكان الحواسيب البعيدة التي تحوي المعلومات المطلوبة .

ب - عرض المعلومات من هذه الحواسيب وبشكل متفاعل.

ج - قراءة مواصفات الملفات الإلكترونية المختزنة على الحواسيب البعيدة .

د - استرجاع أو طباعة نسخة من المعلومات المطلوبة.

هـ - متابعة مرجع وجد في حاسوب بعيد لمعلومات متعلقة ومختزنة على حاسوب بعيد آخر .

٤ - خدمات WAIS وهو اختصار للاسم Wide Area Information Server الذي يعني خادم معلومات المناطق الواسعة، وقد تم اختراعها بالتعاون ما بين عدة شركات أهمها شركة Thinleung Machine وتوضح هذه الخدمة مزايا الحواسيب الكبيرة وتسهم في البحث عن الموضوعات ومحتويات الوثائق التي تم اختيارها .

٥ - خدمة الشبكة العنكبوتية العالمية /WWW World Wide Web وتعد من الخدمات المهمة التي تتيح الانتقال حول العالم بحثاً عن المعلومات من خلال التقنية المتطورة لنظام النصوص المتفوقة أو المتشعبة (Hypertexts) .

٦ - خدمة لوحة الإعلانات الإلكترونية . وتسمح هذه الخدمة لشخص ما بالمشاركة في النقاشات مع أشخاص آخرين حيث تركز كل مجموعة على موضوع معين وتهيئ لوحة الإعلانات الآتي :

أ - اختيار مجموعة أو أكثر من مجموعات النقاش .

ب - التفحص لتحديد فيما إذا كانت أشياء جديدة ظهرت في النقاش.

ج - إرسال ملاحظة (رسالة ما) لمجموعة النقاش .

د - إرسال رد على ملاحظة من شخص إلى آخر .

ومن أشهر هذه اللوحات الإلكترونية لوحة الأخبار Netword News التي تسمى أحياناً Netnews وتحتوي على آلاف اللوحات في مختلف الموضوعات مثل التعليم والهوايات والسياسة والعلم والتسلية وفرص العمل .

يضاف إلى ذلك أيضاً خدمات أخرى منها :

١ - خدمة المراجع الإلكترونية التي يمكن تقديمها من خلال شبكة الإنترنت بالأساليب الإلكترونية . وتنوع المراجع التي يمكن الحصول عليها بسهولة مثل دوائر

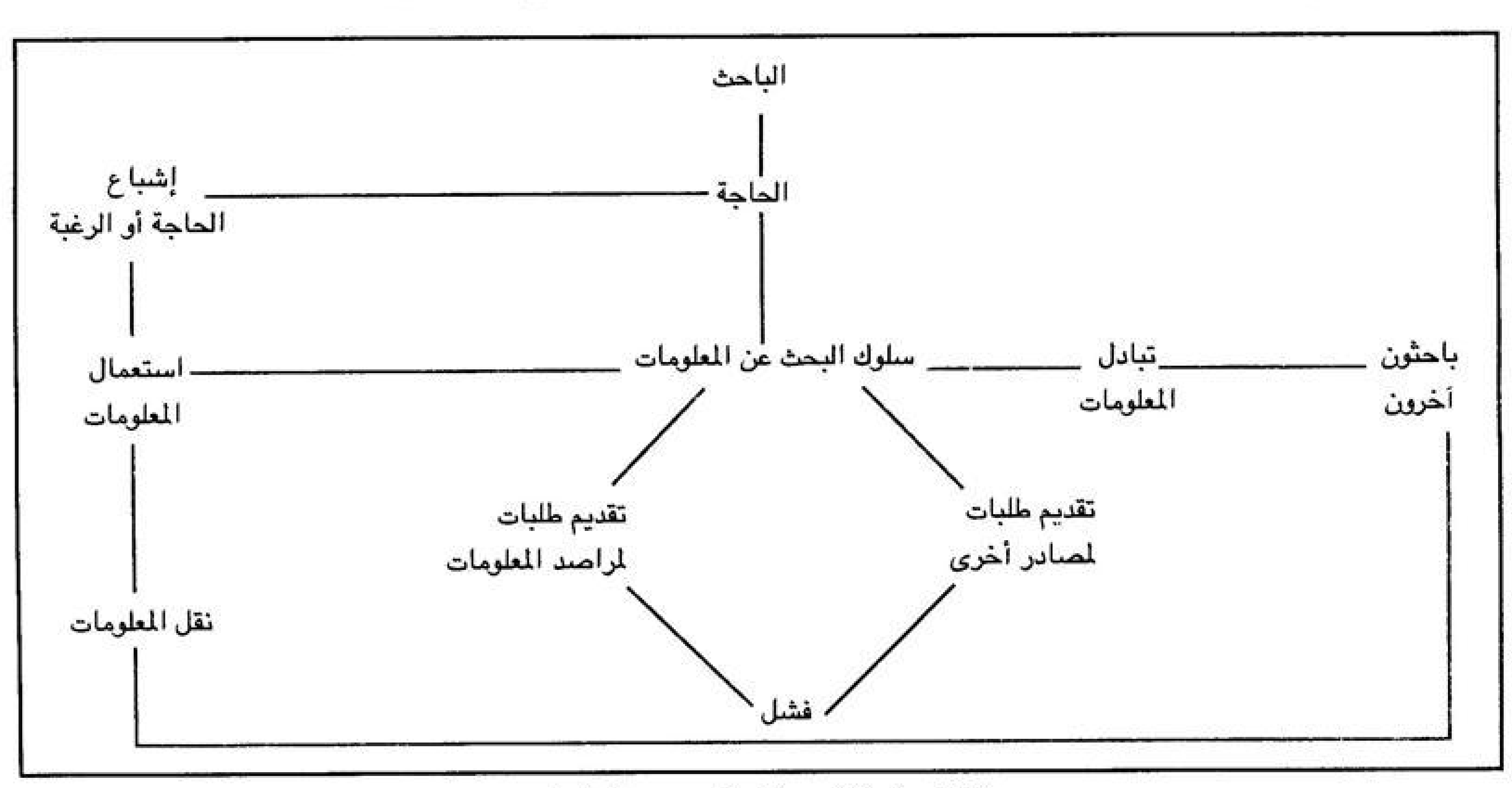
المعارف والقواميس والكشافات والمستخلصات والفهارس والأدلة وكتب الحقائق والموجزات الإرشادية وغيرها .

٢ - فهارس المكتبات المحوسبة . وهناك المئات من فهارس المكتبات المحلية المتوافرة عبر شبكة الإنترنت بحيث يمكن فحص أحدث المقتنيات في مكتبة الكونجرس من خلال (Gohper) واستعماله أيضاً للوصول إلى الفهارس المحوسبة التابعة إلى جامعة شيكاجو في ثوانٍ قليلة ، وكذلك زيارة المكتبات بمدينة كولورادو .

ويصبح بالإمكان الوصول إلى الوثائق الببليوجرافية لملايين الكتب فضلاً عن مصادر المكتبات الجامعية والبحثية في مختلف أنحاء العالم وسهولة الوصول إلى فهارس وأدلة المجلات والنشرات الإلكترونية التي توفر أحدث المعلومات عن استعمال التكنولوجيا في المكتبات ومراكز المعلومات وتقدم خدماتها لعموم الباحثين والدارسين .

سلوك الباحثين في الوصول إلى المعلومات ودور المكتبي:

يتفاوت سلوك الباحثين في الوصول إلى المعلومات التي يحتاجونها في إجراء بحوثهم ودراساتهم . ويعود ذلك إلى خبرة الباحثين وتجاربهم في تقصّي الحقائق والبحث عن المعلومات . فبعضهم ما زال يستخدم الطرق التقليدية رغم معرفتهم بتوافر أساليب وتقنيات حديثة تسهل الوصول إلى المعلومات والإفادة منها . في حين يوظف البعض الآخر التكنولوجيا ويعدها عنصراً أساسيّاً في إجراء البحوث ومتابعة التطورات في مجال اختصاصه مما ينعكس على مجرى سير البحوث من حيث الدقة وسرعة الإنجاز وتنظيم وتبويب المعلومات والبيانات بما يتيح السيطرة الكاملة على عناصر البحث ومعالجة المشكلة المراد دراستها، وقد اهتمت الدراسات بالاتصال العلمي وسلوك الباحثين . ومن بين هذه الدراسات دراسة هافلك (Havelock) التي صور فيها سلوك الباحثين وسعيهم لسد حاجاتهم من المعلومات وفق دورة مستمرة الحركة لتحقيق حالة الإشباع لديهم نظراً لتجاوز المشكلة وإيجاد الحلول المناسبة لها . أما ولسن (Wilson) فيرى أن سلوك البحث عن المعلومات قد يتخذ أشكالاً متنوعة . فقد يلجأ الباحث إلى أحد مراكز المعلومات أو قد يلجأ إلى أقرانه الباحثين الآخرين لتبادل المعلومات والخبرات معهم . وفي كلتا الحالتين قد لا يتوصل إلى ما يبتغيه مما يدعوه إلى تكرار البحث عبر قنوات عديدة في الوصول إلى المعلومات . ويوضح الشكل التالي سلوك البحث عن المعلومات كما يراها ولسون[٦١] :



الشكل رقم (٢) : سلوك البحث عن المعلومات

أما وليم جارفي وزملاؤه فقد أشاروا في دراسة لهم عن المستفيد الديناميكي من المعلومات العلمية إلى اختلاف احتياجات الباحثين من المعلومات في مختلف مراحل البحث من خلال تحديد ثلاث مراحل أساسية للبحث وهي[٦٢] :

١ – في المرحلة المبكرة لأي عمل علمي يحتاج الباحث إلى معلومات تساعده في تصور مشكلته وتحديد الإجراءات المناسبة لبحثه ، كما أنه يحرص على وضع بحثه في سياقه المناسب مع غيره من البحوث الجارية أو البحوث التي أنجزت حديثاً . لذلك نراه يلجأ إلى الدوريات وبحوث المؤتمرات والمستلات والكتب .

٢ – في المرحلة الوسطى تصبح احتياجات الباحث أكثر تحديداً فهو يحتاج على سبيل المثال إلى معلومات عن الأساليب والطرق والمناهج والتجهيزات وجمع البيانات والتصاميم وغيرها ، ويلجأ الباحث في هذه المرحلة إلى التقارير الفنية والكتب والطبعات المبدئية وآراء الزملاء من داخل المؤسسة أو الحقل الذي ينتمي إليه .

٣ – أما المرحلة النهائية فإن احتياجات الباحث تتجه نحو الرصيد العامل للمعرفة العلمية متوخياً الحرص على تفسير بياناته تفسيراً كاملاً وربط نتائجه بالوضع الراهن للمعرفة العلمية في مجال تخصصه لذلك نراه يتجه إلى الدوريات وآراء ومقترحات الباحثين خارج المؤسسة التي يعمل بها .

نتيجة لهذه الاحتياجات والجهود المستمرة في ميدان البحث العلمي يأتي دور المتخصصين في مجال المعلومات والمكتبات وبخاصة العاملين منهم في المكتبات الأكاديمية والبحثية للإسهام في تقديم المعلومات والتسهيلات من خلال دراسة أنماط وسلوك العلماء والباحثين من أجل التعرف على احتياجاتهم واهتماماتهم في مراحل البحث المختلفة . ومن خلال التفاعل بين جهود هاتين الفئتين (المكتبيين والباحثين العلميين) يمكن تقديم خدمات معلومات فعالة . ويتجلى دور المكتبيين في ذلك من خلال الحصول على معلومات عامة عن فئات الوسط العلمي والاحتفاظ بسجلات منفصلة عن نشاطاتهم واهتماماتهم العلمية . ومن خلال هذه النشاطات والتوجهات التي ينهض بها المكتبي تتحقق له أهداف عدّة منها[٦٣] :

١ – يتيح للمكتبي فرصة إعداد تقرير مبدئي لنطاق نشاطات الاتصال العلمي وتواتر حدوث هذه النشاطات.

٢ – يلقي الضوء على العلاقة بين هذه النشاطات والجهود العلمية لمن احتفظوا بسجلات لنشاطاتهم .

٣ – يتيح للمكتبي القدرة على صياغة الفروض العلمية حول طبيعة ما يصادفه هؤلاء العلماء من مشكلات في تبادل المعلومات العلمية .

٤ – يساعد في تحديد فئات نشاطات تبادل المعلومات كتمهيد لإجراء دراسات مسحية أكثر دقة للاتصال العلمي بين عينات كبيرة ومتنوعة من العلماء والباحثين.

الخاتمة :

يتضح من خلال ما تقدم تنوع مجالات العمل والخدمات التي تضطلع بها المكتبات الأكاديمية من حيث توفير المعلومات والتقنيات والبرامج والتسهيلات المتعلقة بإجراءات البحث العلمي . وتظهر حالة النهوض والتطور في مثل هذه المكتبات في الدول المتقدمة لكونها تحظى باهتمام ودعم متزايد في ميدان تطور الخدمات وتوفير واقتناء مصادر المعلومات الحديثة واستخدام تقنيات المعلومات والاتصالات المتطورة وارتباطها ببنوك وشبكات المعلومات العالمية لتأمين الحصول على المعلومات السريعة والحديثة فضلاً عن تخصيص النسب المتزايدة من الإنفاق على تطوير آفاق الخدمة المكتبية فيها وتحديد نسب معينة للإنفاق على مشاريع البحث والتطور في حين لم تحظ هذه المكتبات في الدول النامية بمثل هذه الرعاية والاهتمام والتسهيلات بما يحقق أهدافها الأساسية لأسباب عدّة

تتعلق بضعف الموارد المالية المخصصة لها وضعف البنى الأساسية للمعلومات وعدم وجود وعي متكامل بأهمية المعلومات كثروة وطنية ومورد استراتيجي يسهم في التطور العالمي والحضاري . ولغرض تحقيق حالة النهوض لهذه المكتبات في الدول النامية وتطوير خدماتها وبرامجها في مجال البحث العلمي وتسهيل مهمات الباحثين للوصول إلى المعلومات بأيسر الطرق وأسرعها لابد من الأخذ في الحسبان ما يلي :

١ - الاهتمام والرعاية التامة من قبل حكومات البلدان النامية لإقامة البنى الأساسية للمعلومات وتطويرها وتمويلها وإيجاد وعي متكامل بأهمية المعلومات وتنظيمها واختزانها ومعالجتها ووضعها بين أيدي الباحثين والدارسين لما لها من أهمية في بناء المجتمع وتحقيق حالة النهوض العلمي والحضاري وإيلاء المكتبات الأكاديمية اهتماماً ينسجم مع بعدها العلمي في مجال تطوير خدمات المعلومات وتنشيط البحث العلمي ومساعدة الباحثين في الحصول على المعلومات .

٢ - ضرورة توجه هذه المكتبات لاقتناء مجموعة غنية من مصادر المعلومات التي تخدم الأغراض التعليمية والدراسات العليا سواء كانت هذه المصادر تقليدية كالكتب والمراجع والتقارير العلمية والرسائل الجامعية وبراءات الاختراع ، أو مصادر المعلومات الإلكترونية مثل تقنيات الأقراص المكتنزة والاتصال الآلي المباشر والوسائل المتعددة (Multimedia) وسواها .

٣ - العمل على مواجهة الانفجار المعرفي وتحقيق عنصر السيطرة على المعلومات من خلال التعاون بين المكتبات الأكاديمية سواء بين المكتبة المركزية ومكتبات الكليات في الجامعة الواحدة أو بين المكتبات الجامعية على المستوى القطري أو القومي أو العالمي من خلال ربط المكتبات والجامعات ببنوك وشبكات المعلومات العالمية والإفادة من أساليب الفهرسة التعاونية والأعمال البيليوجرافية التي توفرها شبكة (O. C. L. C) في الولايات المتحدة الأمريكية ومشروع مكتبات برمنكهام التعاوني (BLCMP) في بريطانيا، وكذلك يمكن الإفادة من تبادل الإعارة مع المكتبات الأخرى والحصول على البحوث والدراسات والنسخ المصورة من المكتبات المتعاونة فضلاً عن الإفادة من خدمات الإحاطة الجارية ، والبث الانتقائي للمعلومات وخدمات المراجع والإجابة عن الاستفسارات المرجعية .

٤ - العمل على تنظيم مجاميع هذه المكتبات من خلال إجراءات الفهرسة والتصنيف وإعداد الفهارس والكشافات وعمل المستخلصات والببليوجرافيات التي تسهل مهمة الوصول إليها والإفادة من محتوياتها لأن عدم قدرة المكتبة على تنظيم وإعداد مجاميعها وفق النظم والأساليب المتطورة يؤدي إلى تقليل استخدامها وتقليص فرص الإفادة منها في إجراءات البحوث والدراسات العليا في الجامعة .

٥ - الاهتمام بإدخال تقنيات المعلومات والاتصال الحديثة كالحواسيب بأشكالها المختلفة والمصغرات والمواد السمعية البصرية وأجهزة الاستنساخ وتقنيات ووسائل الاتصال الحديثة كالهاتف والفديوتكس (Videotxt) والتليتكست (Teletext) والناسخ الهاتفي الفاكسميلي (Facsmile) وشبكات المعلومات لغرض مواكبة التطورات العلمية والتقنية التي يشهدها عالم المكتبات والمعلومات وبخاصة بعد التحولات الكبيرة في مجال النشر الإلكتروني والتطورات السريعة في خدمات الاتصال التي هشمت الحواجز الجغرافية وجعلت العالم قرية كونية صغيرة.

٦ - الاهتمام بالإشراف على إعداد برنامج يهتم بشكل فاعل بنشر الرسائل الجامعية وتعضيد وتسهيل مهمات بحوث ومؤلفات أعضاء الهيئة التدريسية لما لهذه المطبوعات من أهمية بالغة بوصفها تمثل العملة الصعبة التي تستخدمها المكتبات الأكاديمية في عملية تبادل المطبوعات من المكتبات والمؤسسات الأخرى بغية الحصول

على بعض المعلومات المكتبية التي يصعب عليها عن طريق الشراء .

٧ – الاهتمام بإعداد وتدريب المكتبيين لكي يكونوا على درجة عالية من المهارة والتخصص . إذ لم يعد المكتبي في الوقت الحاضر حارساً أميناً أو خازناً للكتب ، ولم تعد المكتبة مظهراً من مظاهر الأبهة الاجتماعية لبعض الأثرياء والنبلاء ، لقد أصبح المكتبي قادراً على التحكم بالمعلومات وتنامى تقدير المجتمع لهذا المتخصص الذي يطلق عليه (اختصاصي المعلومات) أو (مستشار المعلومات) ، وانطلاقاً من أهمية الدور الحيوي الذي يؤديه أمناء المكتبات في هذه المؤسسات العلمية الثقافية يكون من الضروري التوجه إلى إعدادهم وتدريبهم بجهود متواصلة وتعليم مستمر من خلال الدورات المكتبية وحلقات البحث والمؤتمرات والبعثات والإجازات الدراسية لغرض تحديث المعلومات وتطوير القدرات والكفاءات لمواجهة التحديات والمتغيرات في عالم المكتبات والمعلومات تلبية لخدمة جمهور المستفيدين وخدمة أغراض البحث العلمي .

٨ – الاهتمام بتعليم الطلبة والباحثين كيفية استخدام المكتبة لغرض تنمية قدرات الطالب الذهنية ورفع كفاءته في الحصول على المعلومات وتقصي الحقائق . والحقيقة فإن البرامج التعليمية الخاصة باستخدام المكتبة أصبحت من أهم الموضوعات التي تحظى باهتمام كبير وبخاصة في المكتبة الجامعية نتيجة للأسباب الآتية :

١ – انفجار المعلومات Information Explosion وتدفقها وتنوع أوعية المعلومات بمختلف الموضوعات واللغات مما يستدعي العمل على اختزانها وتنظيمها وتسهيل استرجاعها وبثها للمستفيدين .

٢ – الجامعة الخفية Invisible University التي تعني الحصول على المعلومات اللازمة للبحث العلمي عن طريق التبادل بين العلماء في مختلف أنحاء العالم وتجميع المعلومات بطريقتهم الخاصة ، وقد تزايد نمو هذه المجاميع والنشرات والمستلات التي تضم الكثير من الحقائق العلمية التي لم يسبق نشرها .

٣ – الجهل بالمعلومات المنشورة، وقد أثبتت الدراسات أن الكثير من العلماء والباحثين فشلوا في الحصول على المعلومات ، ولم تكن لديهم القدرة والسيطرة التامة على الإنتاج الفكري في حقوق تخصصاتهم وعدم معرفتهم باستخدام المكتبة واكتشاف المعرفة وجمع المعلومات . وقد اهتم الكثير من الجامعات في الدول المتقدمة بوضع البرامج التعليمية لغرض التعرف على المكتبة والإفادة من مصادر المعلومات في تنمية البحث العلمي لدى الطلبة والتدريسيين . متبعة في ذلك شتى الطرق والأساليب كالتوجيه والإرشاد وإلقاء المحاضرات وطبع الأدلة الإرشادية والتعليم بالوسائل السمعية البصرية ، وتدريس مادة المكتبة وأصول البحث كمادة مستقلة ضمن المنهج الدراسي .

٩ – يمكن أن يؤدي التعاون الإيجابي والاتصالات الفعالة بين أمين المكتبة الجامعية وأعضاء الهيئة التدريسية إلى نتائج مثمرة بخصوص تشجيع الطلبة وحثهم على كتابة وإعداد البحوث والتقارير في مختلف صنوف المعرفة، وتوجيههم وإرشادهم إلى الطرق الصحيحة لكتابة البحث مما يحفز فيهم حب العمل والاندفاع لاستخدام المكتبة والإفادة من مصادرها وخدماتها .

١٠– توفير المناخ المناسب لإجراءات البحث العلمي وتقديم التسهيلات لعموم الباحثين والدارسين مثل (قاعات المطالعة ، الرفوف المفتوحة، الكتب المحجوزة ، الاستعارات، الأثاث المريح ، معارض بيع الكتب) وغير ذلك من المستلزمات الضرورية التي تنمي حب القراءة والاطلاع وتوفر جهد ووقت المستفيدين .

١١– العمل على زيادة ميزانية هذه المكتبات وتخصيص نسب معينة للإنفاق على تطوير البحث العلمي لما لذلك من أهمية بالغة في التقدم العلمي والتنموي وزيادة الدخل القومي وتحقيق النهضة الحضارية .

الهوامش

١ - أحمد بدر . **أصول البحث العلمي ومناهجه** . الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٧٥م ، ص١٩ .

٢ - محمد أزهر السماك (وآخرون). **أصول البحث العلمي**. ط٢ . أربيل : جامعة صلاح الدين ، ١٩٨٦م، ص١٤.

٣ - أحمد بدر . **مناهج البحث في علم المعلومات والمكتبات**. الرياض: دار المريخ ، ١٩٨٨م ، ص١٧ .

٤ - علي عبدالمعطي محمد ، محمد السرياقوسي . **أساليب البحث العلمي** . الكويت : مكتبة الفلاح، ١٩٨٨م ، ص١٢٣ - ١٣٠ .

٥ - أحمد بدر . **أصول البحث العلمي ومناهجه**، مصدر سابق، ص٢٩.

٦ - علي عبدالمعطي محمد ، محمد السرياقوسي . مصدر سابق ، ص١٣٤ .

٧ - ناصر الدين الأسد . "الجامعات والبحث العلمي والتنمية" في : **الجامعة ، البحث العلمي ، والتنمية**. الرباط : أكاديمية المملكة المغربية ، ١٩٨٩ ، ص١٢٧.

٨ - عبدالرحمن عدس . "الجامعة والبحث العلمي : دراسة في الواقع والتوجهات المستقبلية" **مجلة اتحاد الجامعات العربية** ، ع٢ ، تموز ، ١٩٨٩ ، ص٣٥٣ .

٩ - علي عبدالمعطي محمد ، محمد السرياقوسي . مصدر سابق ، ص٨٩ - ٩٠ .

١٠- عادل رفقة عوض . "البحث العلمي والتطبيقي في الجامعة ودوره في تكنولوجيا العالم العربي". **مجلة اتحاد الجامعات العربية** . ع٢١، آذار ، ١٩٨٦م. ص١٠٦.

١١- نادر أحمد أبوشيخه ، **إدارة البحث العلمي في الوطن العربي**. عمان : المنظمة العربية للعلوم الإدارية ، ١٩٨٦م ، ص٦١ .

١٢- محمد أزهر السماك ، جلال محمد النعيمي . "الاتجاهات المستقبلية لتخطيط البحث العلمي في الجامعات العراقية" **مجلة اتحاد الجامعات العربية** . ع٢٤، كانون الثاني، ١٩٨٩م ، ص٨٣.

١٣- أبو بكر مصطفى بعيرة . "البحث العلمي وأهميته في التنمية" . **الإدارة العامة** . ع٤١، ١٩٨٤م ، ص٥٦ .

١٤- ناصر محمد العديلي . "دور البحوث في التنمية" . **مجلة الإدارة العامة** . ع٥٠ ، يونيو ١٩٨٦م ، ص٥٩.

١٥- إدريس سالم الحسن . "ملاحظات حول مفهوم البحث العلمي ووضعيته في العالم العربي" **مجلة شؤون عربية** . ع٣٦، شباط ١٩٨٤م ، ص١٨٠ - ١٨١.

١٦- محمد عمر عبدالرحمن . "واقع وتوجهات البحث العلمي والتطور التكنولوجي" . **مجلة اتحاد الجامعات العربية** . عدد متخصص (٢) تموز ١٩٨٨م .

١٧- Penna, C. V. The planning of Library and Documentation services, 2nd ed. Paris, Unesco, 1970. p 39.

١٨- Monge, F. The Role of specialized infformation services in development. in: Inernational Cooperative information systems: proceedings of a seminar held in Vienna, Austria 9 - 13 July 1979. Ottacoa, International Development Research Center, 1980. P. 68.

١٩- Olson, E. C and Fake, E. C. Experiments to improve information Transfer of R& D in industry in : information choices and polices : proceedings of the ASIS 42 and Annual meeting, Minne 14 - 18 October, 1979. N. Y. Knowledge industry publication Inc. 1979 . P 80 .

٢٠- Lyenger. T. K. S. Developing Countries and its information needs and supply: Abrief Report of an international semingar, Arlingtion, V. A, Eductional Resources center, 1977. P. 3 .

٢١- أحمد بدر . **مقدمة في علم المكتبات والمعلومات** . الكويت : مؤسسة الصباح، ١٩٧٩م، ص١٩٦-٢٠٠.

٢٢- Rhoten A. Smith . University Libraries : Aguide, 1983. P. 2.

٢٣- Encyclopedia of Library and information sciences. New York : Marcel Dakker, Inc, 1974. Vol. 11., P. 184 .

٢٤- عماد عبدالوهاب الصباغ . "الاستثمار في استحداث شبكة المكتبات البحثية العراقية IRLN في : **وقائع وبحوث المؤتمر المكتبي الثامن للمعلومات**. بغداد: الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٩م ص١٧٦ - ١٧٧ .

٢٥- باسل محمد الراوي . **خدمات المعلومات في المكتبات المركزية للجامعات العراقية**. رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٩م . ص١٣٧، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩.

٢٦- حشمت قاسم . **مصادر المعلومات : دراسة لمشكلات توفيرها بالمكتبات ومراكز التوثيق** ، القاهرة : مكتبة غريب، ١٩٧٩م . ص١٠ .

٢٧- أحمد محمد الشامي ، سيد حسب الله . **المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات** الرياض، دار المريخ ، ١٩٨٨م . ص٥٧٣ .

٢٨- جنيفر رولي . **تقنية المعلومات وإدارة المعلومات** . ترجمة عبدالرحمن العكرش . نشرة عيون المعلومات ، ع٤، ت١ ، ١٩٩٥م . ص٧ .

٢٩- زكي الوردي . مختارات من مفاهيم علوم المعلومات والاتصالات. **التوثيق الإعلامي** مج٦، ع٢، ١٩٨٧م، ص٥٣ - ٥٤ .

٣٠- المصدر نفسه . ص٥٢ - ٥٣ .

٣١- جاسم محمد جرجيس ، بديع محمود مبارك . **بنوك المعلومات**. بغداد : وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٩م (الموسوعة الصغيرة ؛ ٣٤١) ، ص٢١ - ٢٢ .

٣٢- زكي حسين الوردي ، عامر إبراهيم قنديلجي . **الاتصالات** . البصرة : جامعة البصرة ، ١٩٩٠م ، ص٢٠٢ .

٣٣- حسن عبدالرحمن الشيمي . "نحن واللاوراقية" **عالم الكتب** . مج١١ ، ع١ (١٩٩٠م) ، ص٢٨.

٣٤- نجيب الشريجي . "أثر تقنية المعلومات على المكتبات ومراكز المعلومات والتوثيق" . **رسالة المكتبة** ، مج٢٢، ع٤ (كانون الأول ١٩٨٧م) ، ص٤٠ - ٤٢ .

٣٥- عبدالرازق يونس . **تكنولوجيا المعلومات** . عمان : المؤلف ، ١٩٨٩م ، ص٥٤ .

٣٦- Lancaster, F. W. Toward paperless information system . N. Y. Academic press, 1978, p. 90 .

٣٧- نجيب الشريجي . مصدر سابق، ص٤١ .

٣٨- المصدر نفسه ، ص٤٢ .

٣٩- شوقي سالم . **صناعة المعلومات**. الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٩٠م ص٢٢١ .

٤٠- سليمان حسين مصطفى . مراصد المعلومات ودورها في دعم الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعات العربية حتى العام ٢٠٠٠م في ضوء التطورات الحديثة في تكنولوجيا المعلومات . **مجلة اتحاد الجامعات العربية**. عدد متخصص ٢، ١٩٨٨م، ص٩٩ - ١٠٠ .

٤١- ماركريت باركيف هوسيب (وآخرون) تقنيات الأقراص الضوئية في المكتبات ومراكز المعلومات . **التوثيق الإعلامي** ، مج٩ ، ع١ ، ١٩٩٠م ، ص١٤ .

٤٢- رشيد عبدالرشيد عباس ، هيثم خليفة عبدالله . تقنية الأقراص المكتنزة وخزن المعلومات في : **وقائع بحوث المؤتمر العلمي الثامن للمعلومات ١٩-١٢/٢١/١٩٨٩م**. بغداد ، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٩م . ص٨٩ - ٩٠ .

٤٣- ماركريت باركيف هورسيب . مصدر سابق . ص١٤.

٤٤- حسن أحمد المومني . المكتبات الجامعية وتحديات تكنولوجيا المعلومات . **رسالة المكتبة**، مج٣٠، ع٢ ، حزيران ١٩٩٥م . ص٢٠.

٤٥- عامر إبراهيم القنديلجي . استخدام أقراص الليزر المكتنزة CD-ROM في التعامل مع مستخلصات علوم المكتبات والمعلومات. LISA في : **وقائع بحوث المؤتمر العلمي الثامن للمعلومات ١٩-٢١/١٢/١٩٨٩م.** بغداد ، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٩م . ص١٢٣ .

٤٦- سليمان حسين مصطفى . مصدر سابق ، ص٩٧ .

٤٧- زكي حسين الوردي . مصطلحات في علوم المعلومات والاتصالات . **رسالة المكتبة** ، مج٣١، ع٢ ، ١٩٩٦م . ص١٤.

٤٨- حشمت قاسم . **خدمات المعلومات : مقوماتها وأشكالها** . القاهرة ، مكتبة غريب ، ١٩٨٤م. ص٣٧٧ - ٣٧٨ .

٤٩- سليمان حسين مصطفى . مصدر سابق، ص١٠٤-١٠٥.

٥٠- فيصل علوان الطائي . "نظم استرجاع المعلومات الفائقة (النص المترابط)" . **المجلة العراقية للمكتبات والمعلومات** . مج٣ ، ع١ ، ١٩٩٧م ، ص٣٦ .

٥١- Lancaster, W. "Electronic Publishing" Library Trerds. 1989. P. 322.

٥٢- Bornmoan, Hester vor Solmss, H. "Hypermedia, Multimedia and Hypertext: Defiritions and Overview". The Electronic Library . Vol. 11, No. 415, 1993. PP. 261 - 262 .

٥٣- فيصل علوان الطائي . مصدر سابق ، ص٣٠ .

٥٤- Stephen Roberk . "Toward a poket Library" IFLA Journal. Vol. 18. No. 3, 1992. P. 261.

٥٥- إيمان فاضل السامرائي . "الأوعية المتعددة وتطور الأقراص منذ عام ١٩٩٢م" . **المجلة العربية للمعلومات**. مج١٥، ع١ ، ١٩٩٤م . ص٨٩ - ٩٠ .

٥٦- إنترنيت INTERNET لمحة تاريخية . **الرسالة الإخبارية لمركز التوثيق والمعلومات** ، مج٥، ع٤٧ (أبريل ١٩٩٦م) ، ص٢ .

٥٧- لاي سويبن ، غاري كليفلند . "نظرة شاملة على الإنترنت : نشأتها ، مستقبلها ، قضاياها ، ترجمة خميس بن حميدة ، **المجلة العربية للمعلومات** ، مج١٦، ع١ ، ١٩٩٥م ، ص٩٤ .

٥٨- منى محمد علي الشيخ . "الإنترنت والمكتبة المدرسية" **رسالة المكتبة** . مج٣٢، ع١ ، آذار ١٩٩٧م ، ص٢٦ .

٥٩- محمد سلامة عبيدان . شبكة الإنترنت الحاسوبية . **مجلة الدستور**، ٢٨/١٠/١٩٩٥م . ص٩ - ١٠ .

٦٠- عوض منصور ، جمال سلمان . **شبكة الإنترنيت : دليلنا السريع للاتصال بالعالم**، عمان ، دار البشير ، ١٩٩٦م ، ص٣٥ .

٦١- سليمان حسين مصطفى ، مصدر سابق ، ص١٠٧ - ١٠٩. نقلاً عن :
Wilson , T. D. "on user studies and information needs". J. of documentation. 37 (1) March, 1981. pp. 3-15.

٦٢- وليم جارفي (وآخرون) . "المستفيد الديناميكي من المعلومات العلمية في : **وليم جارفي الاتصال أساس النشاط العلمي** . بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٣م ، ص٣٩٦ - ٣٩٨ .

٦٣- وليم جارفي ، **الاتصال أساس النشاط العلمي** ، ترجمة حشمت قاسم . بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٣م . ص١٩٧- ١٩٨ .

٦٤- إدوارد جي . فلاوسكي . "استعمال الإنترنيت في المكتبات"، ترجمة خميس بن حميدة . **المجلة العربية للمعلومات**، مج١٦، ع١ ، ١٩٩٥م . ص١٠٦ - ١٠٧.

المصادر العربية

١ - أبو بكر مصطفى بعيرة . البحث العلمي وأهميته في التنمية . **الإدارة العامة** . ع٤١، ١٩٨٤م ص٤٣- ٦١.

٢ - أحمد بدر . **أصول البحث العلمي ومناهجه** . الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٥م .

٣ - أحمد بدر . **مقدمة في علم المكتبات والمعلومات** . الكويت . مؤسسة الصباح ، ١٩٧٩م .

٤ - أحمد بدر . **مناهج البحث في علم المعلومات والمكتبات** . الرياض ، دار المريخ ، ١٩٨٨م .

٥ - أحمد محمد الشامي ، سيد حسب الله . **المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات**، الرياض، دار المريخ ، ١٩٨٨م .

٦ - إدريس سالم الحسن . "ملاحظات حول مفهوم البحث العلمي ووضعيته في العالم العربي" . **مجلة شؤون عربية** . ع٣٦ ، شباط ١٩٨٤م . ص١٧٥ - ١٨٦ .

٧ - إدوارد . جي فلاوسكي . "استعمال الإنترنيت في المكتبات". ترجمة خميس بن حميدة . **المجلة العربية للمعلومات** . مج١٦، ع١ ، ١٩٩٥م . ص١٠٤ - ١٠٩.

٨ - إنترنيت Internet لمحة تاريخية . **الرسالة الإخبارية لمركز التوثيق والمعلومات** ، مج٥، ع٤٧ (أبريل ١٩٩٦م). ص١-٢.

٩ - إيمان فاضل السامرائي . "الأوعية المتعددة وتطور الأقراص منذ عام ١٨٧٧حتى عام ١٩٩٢م" . **المجلة العربية للمعلومات** مج١٥، ع١، ١٩٩٤م.

١٠- باسل محمد الرواي . **خدمات المعلومات في المكتبات المركزية للجامعات العراقية** . (رسالة ماجستير . الجامعة المستنصرية، ١٩٨٩م) .

١١ - جارفي ، وليم . **الاتصال أساس النشاط العلمي** ، ترجمة حشمت قاسم . بيروت : الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٣م .

١٢- جاسم محمد جرجيس ، بديع محمود مبارك . **بنوك المعلومات**. وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٩م (الموسوعة الصغيرة ؛ ٣٤١) .

١٣- جنيفر رولي . "تقنية المعلومات وإدارة المعلومات" . ترجمة عبدالرحمن العكرش ، **نشرة عيون المعلومات** . ع٤ ، ت ١ ، ١٩٩٥م . ص٧ - ٨ .

١٤- حسن أحمد المومني . "المكتبات الجامعية وتحديات تكنولوجيا المعلومات" . **رسالة المكتبة** . مج٣٠ ، ع٢ ، حزيران ١٩٩٥م . ص٤ - ٢٣ .

١٥- حسن عبدالرحمن الشيمي . "نحن واللاورقية" . **عالم الكتب** ، مج١١، ع١ ، ١٩٩٠م .

١٦- حشمت قاسم . **خدمات المعلومات : مقوماتها وأشكالها**. القاهرة ، مكتبة غريب ، ١٩٨٤م .

١٧- حشمت قاسم . **مصادر المعلومات : دراسة لمشكلات توفيرها بالمكتبات ومراكز التوثيق** . القاهرة ، مكتبة غريب، ١٩٧٩م .

١٨- رشيد عبدالرشيد عباس ، هيثم خليفة عبدالله . "تقنية الأقراص المكتنزة وخزن المعلومات. "في : **وقائع وبحوث المؤتمر العلمي الثامن للمعلومات ١٩ - ١٩٨٩/١٢/٢١م** . بغداد ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٩م ، ص٨٧ - ٩٢ .

١٩- زكي الوردي . "مختارات من مفاهيم علوم المعلومات والاتصالات". **التوثيق الإعلامي**. مج٦، ع٢ ، ١٩٨٧م ، ص٥١ - ٦٣ .

٢٠- زكي الوردي . "مصطلحات في علوم المعلومات والاتصالات" . **رسالة المكتبة** ، مج٣١، ع٢ ،

١٩٩٦م. ص٤ – ١٨ .

٢١- زكي الوردي ، عامر إبراهيم قنديلجي . **الاتصالات** . البصرة، جامعة البصرة ، ١٩٩٠م .

٢٢- سليمان حسين مصطفى . مراصد المعلومات ودورها في دعم الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعات العربية حتى العام ٢٠٠٠م في ضوء التطورات الحديثة في تكنولوجيا المعلومات ، **مجلة اتحاد الجامعات العربية** ، عدد متخصص ٢ ، ١٩٨٨م ، ص٨٦- ١٣٤ .

٢٣- شوقي سالم . **صناعة المعلومات**. الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٩٠م .

٢٤- عادل رفقة عوض . "البحث العلمي والتطبيقي في الجامعة ودوره في تكنولوجيا العالم العربي" . **مجلة اتحاد الجامعات العربية** . ع٢١ ، آذار ١٩٨٦م .

٢٥- عامر إبراهيم قنديلجي . "استخدام أقراص الليزر المكتنزة CD-ROM في التعامل مع مستخلصات علوم المكتبات والمعلومات" . LISA في : **وقائع بحوث المؤتمر العلمي الثامن للمعلومات** . بغداد ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٩م . ص١٢٠ – ١٣١ .

٢٦- عبدالرازق يونس . **تكنولوجيا المعلومات** . عمان، المؤلف ، ١٩٨٩م .

٢٧- عبدالرحمن عدس . "الجامعة والبحث العلمي : دراسة في الواقع والتوجيهات المستقبلية" . **مجلة اتحاد الجامعات العربية** ، ع٢ ، تموز ١٩٨٨م ، ص٣٥١-٣٨٩ .

٢٨- علي عبدالمعطي محمد ، محمد السرياقوسي . **أساليب البحث العلمي** . الكويت ، مكتبة الفلاح، ١٩٨٨م .

٢٩- عماد عبدالوهاب الصباغ . "الاستثمار في استحداث شبكة المكتبات البحثية العراقية" IRLN في : **وقائع بحوث المؤتمر العلمي الثامن للمعلومات** ، بغداد ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٩م ص١٧٤ – ١٨٣ .

٣٠- عوض منصور ، جمال سلمان . **شبكة إنترنيت دليلك السريع للاتصال بالعالم** . عمان ، دار البشير ، ١٩٩٦م .

٣١- فيصل علوان الطائي . "نظم استرجاع المعلومات الفائقة (النص المترابط)". **المجلة العراقية للمكتبات والمعلومات** ، مج٣ ، ع١ ، ١٩٩٧م . ص٢١ – ٣٧ .

٣٢- لاي سويبن . غاري كليفلند . "نظرة شاملة على الإنترنيت : نشأتها ، مستقبلها وقضاياها . ترجمة خميس بن حميدة . **المجلة العربية للمعلومات** ، مج١٦، ع١ ، ١٩٩٥م .

٣٣- ماركريت باركيف هوسيب (وآخرون) . "تقنيات الأقراص الضوئية في المكتبات ومراكز المعلومات" . **التوثيق الإعلامي** . مج٩ ، ع١، ١٩٩٠م .

٣٤- محمد أزهر السماك ، جلال محمد النعيمي . "الاتجاهات المستقبلية لتخطيط البحث العلمي في الجامعات العراقية" . **مجلة اتحاد الجامعات العربية** . ع٢٤ ، كانون الثاني ١٩٨٩م ، ص٨١ – ٩٠ .

٣٥- محمد أزهر السماك (وآخرون). **أصول البحث العلمي** . ط٢، أربيل، جامعة صلاح الدين ، ١٩٨٦م.

٣٦- محمد سلامة عبيدان . "شبكة الإنترنيت الحاسوبية" . **مجلة الدستور** ٢٨/١٠/١٩٩٥م .

٣٧- محمد عمر عبدالحمن . "واقع وتوجهات البحث العلمي والتطور التكنولوجي" . **مجلة اتحاد الجامعات العربية**. عدد متخصص ٢، تموز ١٩٨٨م ،

ص٣٩٠ - ٤١٧ .

٣٨- منى محمد علي الشيخ . "الإنترنيت والمكتبة المدرسية". **رسالة المكتبة**، مج٣٢، ع١، آذار ١٩٩٧م . ص٢٥-٣٣.

٣٩- نادر أحمد أبوشيخه . **إدارة البحث العلمي في الوطن العربي**. عمان، المنظمة العربية للعلوم الإدارية ، ١٩٨٦م.

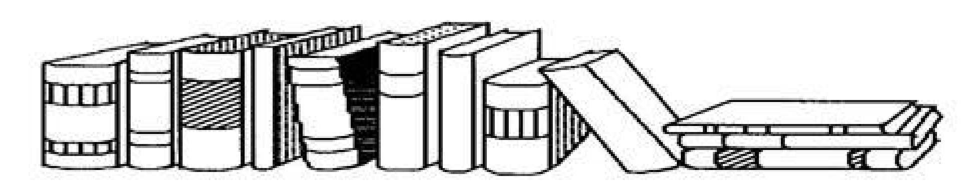
٤٠- ناصر الدين الأسد . "الجامعات والبحث العلمي والتنمية" في : **الجامعة والبحث العلمي والتنمية**. الرباط ، أكاديمية المملكة المغربية ، ١٩٨٩م .

٤١- ناصر محمد العديلي . "دور البحوث في التنمية . **مجلة الإدارة العامة** ، ع٥٠، يونيو ١٩٨٦م، ص٥٧ - ١١٥.

٤٢- نجيب الشريجي . "أثر تقنية المعلومات على المكتبات ومراكز المعلومات والتوثيق" . **رسالة المكتبة** ، مج٢٢، ع٤ ، كانون الأول ١٩٨٧م . ص٣٣ - ٤٥ .

المصادر الأجنبية :

1. Bornman Hestervon. Solmss. H. Hypermedia, multimedia and Hypertext Definitions and overuiews. The Electronic Library. Vol11. No. 415, 1993. pp 261 - 262.
2. Encyclopedia of Library and information sciece . N. Y. marcel Dakker inc, 1974. Vol.11
3. Lancaster. W. Electronic Publishing. Library Trends, 1989. p. 322.
4. Lancaster. W. Toward paperless information system. N. Y Academic press, 1978 .
5. Lyenger. T. K. S. Developing Countries and its information needs and supply: Abrief Report of an international semingar, Arlingtion, V. A, Eductional Resources center, 1977.
6. Monge, F. The Role of specialized infformation services in development. in : Inernational Cooperative information systems: proceedings of a seminar held in Vienna, Austria 9 - 13 July 1979. Ottacoa, International Development Research Center, 1980.
7. Olson, E. C and Fake, E. C. Experiments to improve information Transfer of R& D in industry in : information choices and polices : proceedings of the ASIS 42 and Annual meeting, Minne 14 - 18 October, 1979. N. Y. Knowledge industry publication Inc. 1979.
8. Penna, C. V. The planning of Library and Documentation services, 2nd ed. Paris, Unesco, 1970.
9. Rhoten, A. Smith, University Libraries : (1) Aguide, 1983.
10. Stephen Robert. Toward Aa poket Library . IFLA Journal. Vol. 18. No. 3, 1992. pp: 258 - 263 .



عبيد مدني، وجهوده في خدمة المكتبة السعودية
(١٣٢٤ - ١٣٩٦هـ / ١٩٠٦ - ١٩٧٦م)

إبراهيم عبدالرحمن المطوع
قسم اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - فرع القصيم

تعريف بسيرته :

هو عبيد بن عبدالله بن حمزة بن محمد المدني ، يلقب بـ (جبرتي المدينة)[١] ، ووالده عبدالله من رجال المدينة البارزين، بنى أول فندق في الحجاز ، ورد ذكره عند إبراهيم رفعت باشا في كتاب (مرآة الحرمين) [٢] ، وجده محمد كان رئيسًا لكُتّاب المحكمة الشرعية بالمدينة ، وتولى خلافة قاضيها ، وأعمامه هم : عبدالجليل ، زين العابدين ، عبدالعزيز ،؛كانوا ذوي مناصب مهمة في العهد العثماني وفي العهد السعودي ، وأخوه الوحيد هو : أمين مدني المؤرخ المعروف المتوفى عام ١٤٠٥هـ ، وأولاده هم : عدنان (رجل أعمال) ، غازي (مدير جامعة الملك عبدالعزيز) ، نزار (عضو في مجلس الشورى) ، عصام (رجل أعمال) ، وأخواله من أسرة البرزنجي .

ولد المدني في ١٣٢٤/٣/٢هـ = ١٩٠٦/٤/٢٧م بالمدينة المنورة ، وتوفي والده وهو في الخامسة من عمره ، فكفلته أمه صفية برزنجي ، وجيء له بمدرس يعلمه مبادئ القراءة والكتابة ، ثم التحق بالمدرسة الفيصلية في العهد الهاشمي، وحصل على شهادتها عام ١٣٣٩هـ ثم التحق بحلقات المسجد النبوي ، وتتلمذ على يد المشايخ : عبدالحق رفاقت علي ، إبراهيم البري ، الطيب الأنصاري ، محمد العمري .

تولى عددًا من المناصب الحكومية في العهد السعودي ، منها :

١ - عضو في المؤتمر الوطني بمكة عام ١٣٥٠هـ .
٢ - مدير أوقاف المسجد النبوي عام ١٣٥٤هـ .
٣ - عضو في مجلس الشورى بمكة من عام ١٣٥٥-١٣٧٣هـ .
٤ - عضو في الوفد المشارك في مهرجان استقلال سوريا برئاسة الملك فيصل عام ١٣٦٥هـ .
٥ - عضو في لجنة تحديد حدود حرم المدينة عام ١٣٨٩هـ.
٦ - زار عدداً من الدول العربية والأجنبية .
٧ - منح ميدالية الريادة عام ١٣٩٤هـ ، في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين .
٨ - أحيل إلى التقاعد في رمضان ١٣٧٣هـ بسبب ظروفه الصحية .

توفي - رحمه الله - في القاهرة في ١٣٩٦/١١/١٠هـ = ١٩٧٦/١١/٢م ، وصلي عليه في المسجد النبوي ، ودفن في بقيع الغرقد [٣] .

مؤلفاته وآثاره العلمية :

آثار شعرية :

تواصل المدني مع بعض الصحف لنشر بعض قصائده ومقالاته ، كجريدة أم القرى ، والمدينة ، ومجلة المنهل ؛ وبلغ مجموع شعره المنشور في الصحف والمجلات ١٠١٢ بيتًا .

وكان المدني حريصًا على جمع شعره وحفظه في ديوان ، فقد جمعه في ديوان سماه (المدنيات الصغرى) في ٢٩/١٠/١٣٤٥هـ ، ويقع في كراسة مدرسية في ٢٢ صفحة ، في كل صفحة حوالي ١٢ سطرًا ، ثم تضخم ليصل إلى ١٨٨ صفحة في عام ١٣٧٢هـ ، في جزأين ، ويبدو أن هذا الأخير هو نواة ديوانه المطبوع حاليًا ، في عام ١٤٠٦هـ .

ديوان المدنيات في طبعته الأولى :

تولى أبناء الشاعر المدني طباعة ديوان والدهم بعد وفاته ، وإخراجه بالصورة الحالية ، مرتبًا على حسب الموضوعات : مدنيات ، مناسبات ملكية ، وطنيات ، حكم ونصائح ، غزليات ، وهكذا ، مع ترتيب القصائد في كل موضوع تاريخيًا وصدر بمقدمة بقلم أبنائه ، تضمنت شرح منهجهم في الإخراج ، ثم المقالة الوافية التي كتبها عبدالقدوس الأنصاري ، ونشرها في مجلة المنهل ، عدد ربيع الأول عام ١٣٧٨هـ ، من ص ١٣٧ - ١٨٣ ، عن الشاعر المدني ، ثم قصيدتان في رثائه ، لأخيه أمين مدني، وللشاعر محمد هاشم رشيد .

وخرج في ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول والثاني للقصائد والمقطعات ، وتبلغ صفحات الجزء الأول ١٨٢ صفحة ، ويضم ٩٢ قصيدة ومقطعة ، ومجموع أبياتها ١١٩٢ بيتًا، وتبلغ صفحات الجزء الثاني ٢٣٢ صفحة ، ويضم ١٤٦ قصيدة ومقطعة ، ومجموع أبياتها ١٤٢٢ بيتًا ، أما الجزء الثالث فقد خصص للمثنيات والآحاد ، وعدد صفحاته ١٦٠ صفحة ، ويضم ٤٥٨ مثنية = ٩١٦ بيتًا ، و١٠٠ بيت من الآحاد .

ومجموع صفحات الديوان في أجزائه الثلاثة ٥٧٤ صفحة ، وعدد أبيات الديوان كاملة ٣٦٣٠ بيتًا ، وتمت طباعته في شركة دار العلم للطباعة والنشر بجدة عام ١٤٠٦هـ ، واهتم الشاعر بذكر مكان نظم القصيدة وزمانها ومناسبتها ، وشرح غريبه ، وذكر الصحف التي نشرت فيها القصيدة [٤] .

آثار نثرية :

(أ) المنشورة في الصحف :

١ - مقالات ودراسات في اللغة :

بدأ في نشرها في مجلة المنهل من عدد رجب ١٣٨٢هـ ، ص٤٢٤ ، وافتتح الحلقة الأولى بقوله : (هذه مقالات متسلسلة تتناول مباحث شتى في اللغة العربية ، وأساليبها غير منسقة الوضع ، ولا الترتيب تنتقل بالقارئ من شيء إلى آخر ، ولكنها في مجموعها وتفاريقها لا تخرج عن إطار اللغة وبعض أساليبها) .

* الحلقة الثانية : في عدد رمضان ١٣٨٢هـ ، ص٥٣٦ .
* الحلقة الثالثة : في عدد ذي الحجة ١٣٨٧هـ ، ص١٣٧٥
* الحلقة الرابعة : في عدد المحرم ١٣٨٨هـ ، ص٩١.
* الحلقة الخامسة : عدد ربيع الثاني ١٣٩٣هـ ، ص٢٨٤ .

٢ - مقالات ودراسات تاريخية :

* مقال بعنوان : أول نادٍ في المدينة ، في مجلة المنهل ، عدد المحرم ١٣٨٢هـ ، ص ٤ .
* مقال بعنوان : مَنْ أول من ألف تاريخًا في المدينة، في مجلة المنهل، عدد ذي الحجة ١٣٨٢هـ، ص٧٦٣.
* دراسة تاريخية بعنوان : أُطُوم المدينة ، في مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود ، المجلد الثالث عام ١٣٩٣هـ .

٣ - مراجعات لكتب :

* مراجعة كتاب (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب) لعبدالرحمن الأنصاري (١١٢٤ - ١١٩٥هـ) ، نشرت المراجعة في مجلة المنهل عدد ذي القعدة ١٣٩٠هـ ، ص١٣٤١ - ١٣٥٠ ، تشتمل على تعريف بالكتاب، وتاريخ علم الأنساب ، ونسخ الكتاب وأماكن وجودها ، ثم مآخذ على الكتاب ، ثم

حديث عن المؤلف وأسرته ومؤلفاته .

* مراجعة كتاب (رسالة في وصف المدينة المنورة) لعلي بن موسى المتوفى بعد ١٣١٩هـ ، وجعلها الشيخ حمد الجاسر مقدمة للرسالة ، حين نشرها مع رسائل أخرى في كتاب بعنوان (رسائل في تاريخ المدينة) ، وصدر عن دار اليمامة بالرياض عام ١٣٩٢هـ .
* مراجعة كتاب (الأخبار الغريبة فيما وقع بطيبة الحبيبة) لجعفر هاشم الحسيني المدني المتوفى عام ١٣٤٠هـ ، نشرت المراجعة في مجلة المنهل عدد ربيع الثاني عام ١٣٩٢هـ ، ص٤٧٤ – ٤٧٧، وتضمنت المراجعة : وصف الكتاب وأماكن وجود نسخه ، وتعريفًا بالمؤلف .
* مراجعة كتاب (الإعلام بمناقب الإسلام) لأبي الحسن محمد بن يوسف العامري المتوفى عام ١٣٨١هـ ، وطبع بالقاهرة عام ١٣٨٧هـ بتحقيق أحمد عبدالحميد غراب ، ونشرت المراجعة في مجلة المنهل عدد ربيع الثاني عام ١٣٩٣هـ ، ص٢٨٤ – ٢٨٦ ، وتضمنت المراجعة حديثًا عن الكتاب وأسلوبه ، وعن المؤلف وسيرته .

٤ – تراجم :

كتب المدني ترجمة للشاعر عبدالجليل برادة المدني (١٢٤٠ – ١٣٢٧هـ) ، نشرت في مجلة المنهل ، عدد ربيع الثاني عام ١٣٨٩هـ ، ص٣٥٧ – ٣٦٤ .

٥ – دراسات أدبية :

بحث بعنوان (شعراء المدينة والشعر الملحمي في القرن الثالث عشر الهجري) ، نشر ضمن بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين بمكة عام ١٣٩٤هـ في ٢ : ٧٢٣ – ٧٤٠ ، واشتمل البحث على دراسة لكلمة (ملحمة) وتاريخها ، ودراسة لقصيدتين لكل من : جعفر البيتي (١١١٠ – ١١٨٢هـ) ، ومحمد سعيد صفر (١١١٤ – ١١٩٢هـ) ، وترجمة للشاعرين ، ومصادر ترجمتهما .

(ب) الآثار النثرية المخطوطة :

تحدث المدني في سيرته الذاتية عن مؤلفاته التاريخية فقال : «وهذه المؤلفات منها ما نَجَز تأليفه تقريبًا ، ومنها ما هو تحت التأليف – كما يقولون – وجميعها في قسميها لازالت في مسوداتها الأولى ، وهي :

١ – تاريخ الحجرة المقدسة .
٢ – تاريخ المسجد النبوي الشريف .
٣ – تاريخ المدينة المنورة .
٤ – مساجد المدينة المنورة .
٥ – آطام المدينة المنورة .
٦ – أعيان المدينة المنورة من الجاهلية إلى الآن .
٧ – أمراء المدينة المنورة .
٨ – الأوائل والأواخر في تاريخ المدينة المنورة .
٩ – قضاة المدينة المنورة .
١٠– مشايخ المسجد النبوي الشريف .
١١– آبار المدينة المنورة .
١٢– تواريخ المدينة المنورة ومؤرخوها .
١٣– مؤلفات المستشرقين عن المملكة العربية السعودية.

وعندي فكرة في كتابين هما (خطط المدينة المنورة) و(تاريخ الشعر في المدينة المنورة) ، ولكنني لم أبدأ في كتابتهما حتى الآن ، ولكنني جمعت بعض موادهما» [٥] .

ووجدته في سيرته الذاتية يقول : «وفي مسودات كتابي – آل المدني – كلمة مفصلة بعض الشيء عنه [أي عن والده عبدالله] وأنموذجات من أعماله الوطنية والإنسانية والاجتماعية» ، وهو الكتاب الوحيد الذي لم يذكره المدني مع القائمة السابقة [٦] .

وأتيح لبعض المقربين منه أن يطلعوا على أجزاء منها، فكان عبدالقدوس الأنصاري يلح على المدني بسرعة إخراجها وطباعتها ؛ لأنه رأى فيها جهدًا علميًا طيبًا في موضوعها ، وإضافةً غير مسبوقة .

وكان المدني يخص مجلة المنهل ، فيَسْتَلُّ من كتبه تلك

ما يناسب النشر ، فيرسله إليها ، مثل دراسة كتاب (تحفة المحبين والأصحاب) ، فقد استلّه – كما تقول المجلة – من كتاب (تاريخ المدينة المنورة) (٧) ، ودراسة كتاب (الأخبار الغريبة فيما وقع في طيبة الحبيبة) ، فهو مُستلٌ – كما تقول المجلة – من الجزء الخاص بتاريخ المدينة ومؤرخيها ، أحد أجزاء موسوعة (تاريخ المدينة المنورة) (٨) .

أما بحثه عن (أطوم المدينة المنورة) ، فقد نشر في مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود عام ١٣٩٣هـ ، أما كتابه (تاريخ المسجد النبوي الشريف) فيقول عنه نزار عبيد مدني : إنه يضم عدة فصول ، منها فصل عن (الحجرة الشريفة) ، ويحتوي هذا الفصل على العناوين التالية : الحجرة الشريفة – سقف الحجرة – المقصورة – البيوت النبوية – موظفو الحجرة – صندوق الحجرة – تأزير الحجرة وترخيمها – كسوة الحجرة (الستائر) – أبواب الحجرة والشباك الدائر عليها – تخليق الحجرة (أي تطييبها) – إضاءة الحجرة – القبة الخضراء – الكوكب الدري ، وقد اطلعت على نسخة مصورة من الفصل الخاص بـ (كسوة الحجرة) ، زودني بها نزار مدني ، وتقع في سبع صفحات .

ومازالت تلك الكتب حبيسة بخط مؤلفها لدى أبنائه ، ورجائي منهم بهذه المناسبة أن يتداركوا جهود والدهم العلمية قبل ضياعها ، ويعيدوا ترتيبها وتنظيمها لتأخذ طريقها إلى المطبعة لإفادة القراء منها .

أثرها وصداها في الحركة العلمية في المملكة:

وجدت جهود المدني العلمية والبحثية السابقة أثرًا وصدًى عند المهتمين بحركة النشر في المملكة مثل علي جواد الطاهر الذي يقول إن المدني : «يعمل على تأليف موسوعة تاريخ المدينة المنورة ، بل إنه ألفها وانتهى منها ، وهي محط إعجاب الأدباء والمؤرخين الذين اطلعوا عليها مخطوطة ، وعرفوا دأب صاحبها وإخلاصه وثراء مكتبته الخاصة» (٩) .

أما عبدالقدوس الأنصاري ، فيقول عن المدني : «كثيرًا ما كنا نتحدث عن طبع كتابه الفذ (معلمة تاريخ المدينة المنورة) ، الذي قضى جل عمره في كتابته وتحقيقه وتزويده بأكبر قدر ممكن من المعارف عن تاريخ المدينة الشامل ، وقد دون تلك المعارف الثمينة في أجزاء ضخام حسنة الترتيب جميلة البيان والتبويب ، كل جزء منها في كتاب مستقل ، ومن أجداها نفعًا وأبعدها صيتًا (تواريخ المدينة ومؤرخوها) ... وهو كنز ثمين ، فألّح عليه في ضرورة قيامه بنشره ، فَيَعِدُ ، ويقول لي : لابد من مراجعة أخيرة لنصوصه وإكمال ناقصه ، ومن ثم نقدمه للطبع ...» (١٠) .

أما الشيخ حمد الجاسر ، فحين أراد نشر رسالة علي بن موسى في وصف المدينة ، فقد زوده المدني بنسخة مصورة من الرسالة ، مع كلمة عنها وعن مؤلفها ، صَدَّرَ بها الشيخ الجاسر مجموعة (رسائل في تاريخ المدينة)(١١).

مكتبته الخاصة :

كان المدني مؤمنًا بدور المكتبة وأثرها في بناء المجتمعات المتقدمة ، فحين كان مديرًا لأوقاف المدينة اقترح على الحكومة إنشاء مكتبة عامة بالحرم المدني ، وقوبل اقتراحه بالموافقة حوالي عام ١٣٥٣هـ .

وورث عن والده مكتبة ضخمة في فنون مختلفة ، فكان صديقه عبدالقدوس الأنصاري يزوره في مكتبته عام ١٣٣٨هـ ليراه مُكِبّاً على قراءة كتب غريبة على مجتمع المدينة آنذاك ، ولم يُتح لأحد من أبنائها الاطلاع على مثلها، أمثال : دائرة المعارف لفريد وجدي ، ودواوين شوقي وحافظ ، وكتب المنفلوطي (١٢) ، كما رأى عبدالحق نقشبندي في مكتبته كتاب ألف ليلة وليلة واستعاره منه(١٣).

وعُني أبناؤه من بعده بمكتبته ، فأعَدّ لها ابنه عدنان جناحًا مستقلاً في منزله بالمدينة ، وهي متاحة للباحثين ، وقام أحد الخبراء في شئون المكتبات بفهرستها على نظام (ديوي) العشري ، وإعداد قوائم

وصفية للمؤلفين ، وللكتب، وللموضوعات .

وقد قمت بعدة زيارات خاصة لها ، فوجدتها تحوي ما يزيد على أربعة آلاف عنوان من الكتب المطبوعة ، وقرابة مئتيْ مخطوطة، ومن أهم المخطوطات في مكتبته:

عنوان المخطوطة	عدد الأوراق	تاريخ النسخ
النهج المكية شرح الهمزية لابن حجر	٢٢٤ ورقة	٩٩٥هـ
تلخيص مفتاح العلوم للتفتازاني	١١٧ ورقة	٨٥٨هـ
ديوان ابن المعتز	٨١ ورقة	القرن الثامن الهجري
ديوان جعفر البيتي	١٣٩ ورقة	القرن الثاني عشر الهجري
لوامع النجوم مختصر شمس العلوم	٢٥٧ ورقة	٩٣٥هـ
المغرب في اللغة للمطرزي الخوارزمي	٢٥٩ ورقة	١١٣١هـ
منظومة الفلك المشحون للسيوطي	١٣٥ ورقة	١١٣١هـ
شرح الكافية	٢٦٩ ورقة	١١٠٢هـ
فتح القدوس شرح خطبة القاموس	٢٩٨ ورقة	١١٨٤هـ
شرح لامية الأفعال	٦٥ ورقة	١٢٣٧هـ

وكان حريصاً على جمع الشعر ، والاهتمام بأعلامه : كشعر جعفر البيتي ، وعبدالجليل برادة ، وعبدالحق العثماني ، ومحمد العمري ، وعمر البري ؛ ويزود مكتبته بالجديد من الكتب عند سفره إلى الخارج ، ويمتد كرمه إلى بعض زملائه فيهديهم مما يجلبه معه ، وله عناية بالكتاب فيحرص على تجليده ، وكتابة اسمه على كعبه ، وبلغ من عنايته بالمكتبة أنه أوصى بعدم إعارة أو خروج أي كتاب منها بعد وفاته .

ومازال الباحثون والأساتذة يستفيدون من محتوياتها ، فقد اعتمد عبدالرحيم أبو بكر في كتابه (الشعر الحديث في الحجاز) على نسخ مخطوطة لدى المدني لشعر البيتي والأسكوبي [١٤] ، كما أفاد محمد الخطراوي من النسخة المحفوظة لدى المدني لشعر إبراهيم الأسكوبي عند تحقيق الديوان عام ١٤٠٩هـ [١٥] .

الهوامش

١ - إبراهيم الفوزان ، **الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد** ٢ : ٤٨٢ .

٢ - إبراهيم رفعت باشا ، **مرآة الحرمين** ، ١ : ٤٠٨ .

٣ - إبراهيم المطوع ، **عبيد مدني حياته وشعره** ، ص٣١ - ٤٥ (رسالة ماجستير مخطوطة) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٥هـ .

٤ - عبيد مدني ، **المدنيات** (ديوان شعر) ١ : ١٩ .

٥ - عبيد مدني ، **السيرة الذاتية** (مخطوط بقلم الشاعر) ص١٤٠، وكتب سيرته بين عامي ١٣٨٤ - ١٣٩٥هـ .

٦ - المصدر نفسه ص١٥٨ .

٧ - مجلة **المنهل** ، عدد ذي القعدة عام ١٣٩٠هـ ، ص١٣٤١ .

٨ - مجلة **المنهل** ، عدد ربيع الثاني ١٣٩٠هـ ، ص٤٧٤ .

٩ - علي جواد الطاهر ، **معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية** ، ٢ : ١١٤ .

١٠ - عبدالقدوس الأنصاري ، مجلة **المنهل** العددان ١٠ و ١١ عام ١٣٩٦هـ ، ص٦٧٨ .

١١- **رسائل في تاريخ المدينة** ، تقديم وإشراف : حمد الجاسر ، ص٥ .

١٢- الأنصاري ، **المنهل** ، عدد ربيع الأول ١٣٧٨هـ ، ص١٧٥ .

١٣- النقشبندي ، **المنهل** ، عدد المحرم ١٣٩٧هـ ، ص٨٦ .

١٤- عبدالرحيم أبو بكر ، **الشعر الحديث في الحجاز** ، ص ١٦٥ و ١٨٨ .

١٥- محمد الخطراوي ، **ديوان الأسكوبي** ، ص١٨ .

المصادر والمراجع

١ - إبراهيم الفوزان ، **الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد** ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠١هـ .

٢ - إبراهيم رفعت باشا ، **مرآة الحرمين** ، القاهرة : دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ .

٣ - إبراهيم المطوع ، **عبيد مدني حياته وشعره** (رسالة ماجستير مخطوطة) ، كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٥هـ .

٤ - عبدالحق نقشبندي ، مجلة **المنهل** عدد المحرم ١٣٩٧هـ.

٥ - عبدالرحيم أبو بكر ، **الشعر الحديث في الحجاز** ، الرياض : دار المريخ ، ١٩٧٣م .

٦ - عبدالقدوس الأنصاري ، مجلة **المنهل** عدد ربيع الأول ١٣٧٨هـ وعدد شوال وذي القعدة ١٣٩٦هـ.

٧ - عبيد مدني ، **المدنيات** (ديوان شعر)، جدة : دار العلم ١٤٠٦هـ.

٨ - عبيد مدني ، **السيرة الذاتية** (مخطوطة) ، كتبت بين عامي ١٣٨٤هـ و ١٣٩٥هـ .

٩ - علي حافظ ، **فصول من تاريخ المدينة المنورة** ، جدة : شركة المدينة ، ١٤٠٥هـ .

١٠- علي الطاهر ، **معجم المطبوعات العربية (المملكة العربية السعودية)** ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٥م .

١١- محمد الخطراوي ، **ديوان الأسكوبي** ، المدينة : مكتبة التراث ، ١٤٠٩هـ .

أدب عبدالعزيز الرفاعي

لإبراهيم بن محمد الشتوي

مراجعة

عبدالله بن سليم الرشيد
كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الشتوي ، إبراهيم بن محمد / أدب عبدالعزيز الرفاعي .- ط١ .- الرياض : دار الرفاعي، ١٤١٩هـ .

يعدّ الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي (١٣٤٢ - ١٤١٤هـ) أحد روّاد الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية: إنتاجًا ونشرًا من ناحية، ومعاضدة للمفكّرين ومناصرةً لمن أدركتْهم حرفة الأدب من ناحية أخرى .

وإن مِثْله لقمين بأن يكتب عنه وعن تراثه وأدبه، وفاءً لكريم أثره في الحركة الأدبية ، وكفاءً لأيادٍ بيض أسداها لجيله والجيل الذي بعده .

والكتاب الذي بين يديّ يتناول أدب الرفاعي بأسلوب منهجي حتمه كونه في الأصل رسالة علميّة محكّمة ، نال بها صاحبها درجة التخصّص في الأدب الحديث .

جاء هذا الكتاب في أكثر من خمس مئة صفحة من القطع المتوسط مصدَّرًا بحديث عن حياة الرفاعي وعن ندوته التي ظلت تنعقد أسبوعيّاً لثلاثين عامًا أو أكثر .

وحوى هذا الكتاب خمسة فصول مرتّبة على هذا النحو:

الفصل الأول : المؤلفات الأدبية والعلمية .

الفصل الثاني : فن المقالة .

الفصل الثالث : السمات الفنية في نثره .

الفصل الرابع : توثيق شعره وموضوعاته .

الفصل الخامس : شعره : دراسة فنية .

إن أول ما تجده في الرسائل العلمية منهجيتها الصارمة التي تجعلك تثق بها وبنتائجها وثمارها، غير أن صرامة المنهج أحيانًا تجعل الباحث أسيرًا لها منقادًا معها، حتى لو تبيّن له الخلل في بعض الجوانب، أضف إلى ذلك أن تُفْرض عليه تفصيلات ودقائق ومنهجيات لا يرتضيها، ولكنه يُضطر - مراعاة لرأي مشرفه - إلى قبولها، وإلى هذا أشار إبراهيم الشتوي صاحب هذا الكتاب في مقدمته (ص١٦) حين قال : «إن هناك منهجًا داخلاً في إعداد البناء الداخلي للبحث، لم يكن الباحث منفردًا في إعداده واختياره، وإنما كانت هناك مؤثرات خارجية لها تأثير كبير على البحث وصاحبه أتركها لذكاء القارئ» .

أقول : إن الباحث يُضطر لمسايرة مشرفه إبّان البحث، أما حين يصدر عمله في كتاب يطرح بين أيدي المتلقين، فقد زالت أسباب المجاملة والمراعاة، إلا إن كان يقصد مؤثرًا آخر غير المشرف، كالدار الناشرة مثلاً، وفي كل حال ينبغي أن يكون التجرد والبحث عن الحقيقة هو الهدف الأسمى، وإن لم يكن التخلص من آثار المؤثّرات ، فلا أقل من أن تخفّف .

ومهما يكن فقد قرأت هذا الكتاب مستفيدًا مستمتعًا بما فيه من إحاطة وشمول ونظرات نقدية جيدة، وأجلى ما أعجبني في مؤلفه تجرّده في أحكامه على الرفاعي، وهي الصفة التي يفتقر إليها كثير ممّن يكتبون عن الشخصيات في الأدب وغيره .

فمن المواضع التي وقفَ فيها موقف المنصف ما جاء في حديثه عن كتاب الرفاعي عن (أرطأة بن سُهيّة)، إذْ نفى عن الرفاعي صفة الإتيان بجديد، ذاكرًا أنه «نقل القصة بما فيها من كتاب الأغاني» (ص٨٣) .

ونجد الشتوي يتعقب الرفاعي في بعض أحكامه، فيتهمه بالمبالغة (ص٩٧) وعدم التنظيم في عرض المادة (ص ١٠٥)، والميل إلى التكرار في الشعر، رغبة في «ملء

الفراغ الذي أحدثه برود مشاعره عند إنشاء العمل الأدبي» (ص ٣٨٩)، وكلّ ذلك تجرّد يُحمد له، إذْ يجعل القارئ يثق بصدق دراسته وبعده عن العاطفة المزيّفة للأحكام .

إن هذا الكتاب جدير بالقراءة حقًا، وأظنه قد استوفى ما يمكن قوله عن الرفاعي - رحمه الله - ، وإن كان التواضع قد اضطر المؤلف إلى أن يطلب في خاتمته المسارعة في نشر مالم ينشر من تراث الرفاعي «لإعطاء الدارسين فرصة النظر فيه وتقويمه» (ص ٤٧٣)، ومثل هذا الاقتراح وإظهار أن الأديب يحتاج إلى دراسة أخرى، مما درجنا عليه - معشر الباحثين - في خواتيم كتبنا، دون النظر في حقيقته.

وإني سائق لك أيها القارئ جملة ملحوظات واستدراكات ومناقشات لبعض ما ورد في هذا الكتاب ؛ رياضة للذهن وملاقحة للفكر، ولو لم يكن لإيرادها من فضيلة سوى إشعار المؤلف بأن ثمة من يقرأ له ، لكفى .

١ - فأول ذلك أن منهج الترجمة للأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب غير واضح، والذي ظهر لي أن المؤلف قصر الترجمة على المعاصرين للرفاعي، ولكنه أخلّ بهذا حين ترك الترجمة لمحمد كرد علي (ص ٥٥) مثلاً ، و ترجم لمحمد الشبيلي (ص ٢٨١) مع أنه ورد قبل ذلك (ص ٢٣٩) والأفضل أن يترجم له أول ما يرد اسمه .
كما أنه يترجم للباعة الجوّالين وبعض الورّاقين، ويترك الترجمة لأعلام أدباء كالبير أديب (ص ١٢٩) وحسين شفيق (ص ١٥٨) .

٢ - أفرد المؤلف عشر صفحات للحديث عن ندوة الرفاعي مطيلاً في تحديد تاريخ بدايتها، وفي رأيي أن هذا لاداعي له ؛ لأن عنوان الكتاب (أدب عبدالعزيز الرفاعي)، ولو كان العنوان : (الرفاعي، حياته وأدبه) لصح إفراد قسم للندوة وما يتعلق بها، علمًا أن لعائض الرّدادي كتابًا كاملاً عن هذه الندوة يغني عما قاله المؤلف، وهو من مصادره (ص ٤٧٨) .

٣ - ملحوظات أسلوبية :

* كثيرًا ما يعبر المؤلف عن نفسه بمثل قوله : «وفي تصور الدارس» و «اطلع الباحث» (ص ٧٦، ١٤٥، ١٦٧، ١٧٣)، ولا أدري لم عدل عن أن يقول : «وفي تصوري»، «واطلعتُ» ؟ فهي في نظري أسلس وألطف .

فإذا كان آثر ذلك الأسلوب هربًا من ضمير المتكلم الذي قد يُشعر بالذاتية المفرطة إذا كثر، فلمَ عبر عن نفسه بضمير الجمع في قوله : «ومما يوضح قولنا» (ص ٢٠٠)، وقوله : «كما نرى» (ص ٢٩٨) ؟

* يُسرف الكتاب المعاصرون في استعمال المصدر الصناعي وما يشبهه بلا حاجة كما في قولهم : «عنده جديّة» ولو قالوا : «عنده جدّ» لقلّ المبنى دون أن يتأثر المعنى، وقولهم : «سلوكيّات» موضع «سلوك» و «أخلاقيات» مكان «أخلاق» وهلمّ جرًا .

ومن هذا الضرب عند إبراهيم الشتوي مؤلف الكتاب قوله : «أن تكون ذات قابليّة للبقاء» (ص ١٣٣)، ولن يضير المعنى شيئًا لو قال : «أن تكون قابلة للبقاء» .

* في ص ١٣٥ استعمل : النضوج مصدرًا لنضج، وحتى نقع على شاهد لهذا المصدر، يحسن الاكتفاء بالمسموع وهو (نُضْج) .

* تتمدّد جمل المؤلف أحيانًا تمدّدًا أشبه بالترهل، والواجب في مثل هذا البحث الجادّ : البُعد عما يُضعف الجمل ويطيلها بلا داعٍ، تأمّل قوله : «وإذا فتّشنا عن سبب استمرار الرفاعي في عرض الكتب سنجد أكثر من سبب» (ص ١٦٩) ألا ترى أنه يمكن إعادته على هذا النحو : «ولاستمرار الرفاعي في عرض الكتب أكثر من سبب» ؟

* في ص ١٨٥ عدّي الفعل (حاز) بعلى، والصواب تعديته بنفسه، وفي ص ٢٧٥ عدّي (احتوى) بعلى أيضًا وهو متعدّ بنفسه .

* في ص ١٢٥ - ١٢٧ تكررت كلمة مرحلة ومراحل أربعًا وعشرين مرة !

* ولتمدد الجمل مثال آخر في ص ٢٧٤ هو قوله : «وعلى الرغم من هذا فإننا نجد أن الجمل عند الرفاعي تتسم بالطول» ويمكن له أن يقول : «وبرغم هذا نجد الجمل عند الرفاعي طويلة» .

* في ص ٢٧٤ قال : «فترة من الزمن»، إن الجار والمجرور هنا لاداعي لهما .

* في الكتاب عدة كلمات وجمل جاءت حشواً ، تثقل المبنى ولاتخدم المعنى كقوله : الجملة الطويلة «هي النوع السائد في جمل الرفاعي، ولاتجده يميل إلى استخدام الجمل القصيرة **في كتاباته**» (ص ٢٧٦) .

وقوله : «المدائح النبوية **التي اعتاد الشعراء أن ينظموها**» (ص ٣١٠) .

* يستخدم كثير من المتحدثين والمؤلفين كلمة (المفارقة)، ومنهم مؤلف الكتاب (ص ٢٩١) الذي جارى صاحبه الرفاعي في استخدامها، وهم يريدون بها الموقف المتناقض أو المثير للسخرية، وليت أحد اللغويين يجتهد في فحصها من حيث صحة استخدامها بهذا المعنى .
* في ص ٣٠٧ قال المؤلف : «فمن أول من قسم الشعر إلى موضوعات هو أبو تمام» والخلل في هذه الجملة واضح.
* في ص ٣٨٧ قال : «والتكرار في الألفاظ - أيضاً - نوع متكرر الألفاظ في أماكن ...» ويبدو أن في الجملة نقصاً أخلّ ببنائها ، ولعلها هكذا : «والتكرار في الألفاظ - أيضاً - نوعان : نوع تتكرر فيه الألفاظ ...» .

٤ - وقع المؤلف في أخطاء، ليس هو أبا عذرتها، بل هي من الشائع على ألسن المتحدثين وأقلام الكتاب، مثل : كتابة اسم المدينة السعودية (أملج) هكذا، وصوابها (أمّ لج) (راجع : المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، قسم شمال المملكة : ١٣١/١) .

ومنها جمعه شيخاً على (مشائخ) بالهمزة، وصوابه بالياء (مشايخ) ، لأن الياء أصلُ في المفرد .

ومنها قوله : (أدباء المهجر) والصواب أن يُقال (المُهَاجَر) اسم مكان من هاجر لا من هجر .

ومنها قوله : (السبعينات) والصواب (السبعينيّات) .

أما قول المؤلف : «استخدام الرفاعي للتراكيب العامية بما فيها الأمثال ...» فالصواب فيه أن يقول : «وفيها الأمثال» .

٥ - وقعت في الكتاب أغلاط نحوية ، كما في قوله : «ذبح فيها ثمانية رؤوس من الضأن ، واثنا عشر رأساً من الماعز» والصحيح : «واثنيْ عشر» .

وقوله : «فأطلقوا عليه اسم (أبو الهول) » ولعلّ المؤلف أثبته هكذا تصديقاً لزعمهم أنه من الحكاية، ولن يستر هذان القوسان ذلك الخطأ الجليّ، ومثله قوله : «مثل أبو الحسن الندوي» ولم يضع هنا قوسين . إن الصواب المشرق أن يقول : اسم أبي الهول، ومثل أبي الحسن . وما أجمل الفصاحة وأملحها !

وقوله : «أكرمه نادي جدة ... في إحدى مساءاته» والصواب «أحد مساءاته» لأن المساء مذكّر .

وقوله : «مدح فيها النبي **محمد** صلى الله عليه وسلم» وصوابه : «محمداً» .

ويُلحق بهذا استخدام اللفظ الأجنبي الذي يُعاتب مستخدمه إن كان يتحدث مرتجلاً، فكيف إذا كان يورده في كتاب علمي جيِّد، كلفظ (سكرتير)، (ص٢٣) وبديله الفصيح (أمين سر) أو (منسّق) .

٦ - ثمة كلمات استخدمت في البيئة الحجازية والنجدية، وجرى بها قلم الرفاعي، ومن الملائم أن يشرح المؤلف المراد بها، مثل : (مراكيز) و (مركاز) و (التفحيط).

٧ - ملحوظات أخر وتعليقات :

- في ص ٥٢ أشار المؤلف إلى قول الرفاعي إنه لم يجد من ترجم لعبدالحميد الكاتب، ولم يعلّق . ويكفي أن تتناول أقرب كتب التراجم لتجد ترجمته (انظر : الأعلام : ٢٨٩/٣، ووفيات الأعيان : ٢٢٨/٣ - ٢٣٢، وأمراء البيان لكرد علي : ص ٢٦ - ٨٢) .
- في ص ١٢٨ قال : «أما بناء المقالة فليس هناك بناء متفق عليه بين النقاد» أقول : ولن يكون .
- في ص ١٣٠ قال : إن الرفاعي أعرض عن كتابة المقدمات لمقالاته، وقد يكون ذلك رغبة منه في تشويق القارئ وشدّه إلى المقال .

أقول : ألا يكون السبب أنه يُستكتب فيكتب ما يعنّ له دون إعمال فكر ، ولاحظ أن أكثر المقالات التي نتج عنها هذا الحكم من كتاباته الأخيرة .

- في ص ١٣٨ عرّف المؤلف جزر (ذيبة المهل) بقوله : «مجموعة من الجزر في المحيط الهندي بين خطي عرض كذا وكذا وخطي طول كذا وكذا» ! وما كان أغناه عن هذا لو اكتفى بقوله : «وهي التي تسمى الآن جزر المالديف» .

- في ص ١٣٩ ذكر أن عنوان المقالة قد يكون غير واضح الصلة بموضوع اليومية في بعض ما كتبه الرفاعي . ومثل لذلك بيوميّة (بحر ولا سواحل) التي تحدث فيها عن ضيق الوقت في عمر الإنسان وطموحاته وأعماله .

أقول : إن الصلة هنا مجازية، ووجه استعارة ما في العنوان لموضوع اليومية واضح لا إشكال فيه.

- في ص ١٦٧ ترجم لعبدالعزيز الربيع، وذكر أن من آثاره «ذكريات طفل وديع» ثم أتبعها بقوله : (شعر)، وهي سيرة نثرية .
- في ص ٢٤٥ قال إن المؤلف استطرد في حديثه عن أبي ريشة **إثر وفاته** إلى ذكريات . ثم أحال في الهامش إلى مقالة للرفاعي نشرت عام ١٤٠١هـ (!) والمعروف أن أبا ريشة توفي عام ١٤١٠هـ .
- اضطرب رأي المؤلف عند تعليقه على استخدام الرفاعي لبعض الألفاظ العامية داخل السياق الفصيح (ص ٢٧٠ - ٢٧١)، فزعم أن بعض هذه الألفاظ ساعدت على تصوير الأمر على صفته للقارئ، وأشعرته بما كان الرفاعي يُحسّه، وهو شعور - كما قال - ما كان القارئ ليدركه تمام الإدراك لو كان باللغة الفصحى الخالصة !

أقول : إن انطبق هذا على كُلَيْمات، فهل يسوغ إيراد الحكم هكذا بما يشبه التعميم ؟ تأمل مثلاً هذه الجملة من كلام الرفاعي بعد حذف الألفاظ العامية : «انتقلتُ من ذلك البيت الصغير إلى دار أفسح قليلاً، استطعت أن أخصص لي فيها غرفة خاصة أنفرد بها بنفسي وبكتبي» ، وانظر في اللفظتين العاميتين اللتين كانتا في هذا النص وهما (الحُق) و (المخلوان) أترى أن حذفهما أثر في الجملة أو في تأثيرها ؟ وقبل ذلك هل هما من الكلمات المتداولة في غير البيئة الحجازية ؟ !

وهل قول المؤلف : إن استخدام الألفاظ الأجنبية والعامية جعل الرفاعي كاتبًا واقعيًا، صحيح على إطلاقه ؟ وما الواقعية ؟ إنها في نظري أن يعالج موضوعًا ملامسًا للواقع بلغة سهلة فصيحة بعيدًا عن التكلف المعنوي واللفظي .

أما استخدام الأجنبي والعامي فليس هو السبيل إلى الواقعية، ولو كان كذلك لكان أوفرنا أدبًا من يكتب بالعامية المطلقة .

ثم إن اضطر الكاتب إلى مثل هذه الألفاظ فيجب أن يكون استخدامه إياها مشروطًا بعدم وجود البديل الفصيح للأجنبي، ويأخذ الفصيح من كلام العامة .

ولو أهملنا هذا الشرط فيهما لما كان للأديب أو الكاتب فضيلة، ذلك أن الكتابة - بضروبها - يجب أن تكون بلغة منتخبة، تسمو بأذواق الناس وثقافاتهم ولا تنحط إلى دركاتها .

- في ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ذكر المؤلف أن الرفاعي كان يجعل في أواخر بعض مقالاته حيّزًا يسيرًا يضع فيه بضعة أبيات أو يقتبس شيئًا من كلام غيره ، دون أن يكون لهذا الجزء المقتبس علاقة ظاهرة بالمقال .

ثم اجتهد في البحث عن سبب ذلك، كالحالة النفسية له وغيرها، أقول : ولعلّ هذا جارٍ على طريقة بعض الكتاب في جمع أكثر من موضوع في المقالة على هيئة خواطر أو اختيارات ، وهذا يكثر عند من يلتزمون بكتابة الأعمدة في الصحف .

- حينما عرض المؤلف لإنتاج الرفاعي من شعر التفعيلة، سمّى البيت الواحد منه (سطرًا) بالسين المهملة (ص ٣٠٢) ثم سمّاه شطرًا (ص ٣٧٦ ، ٣٧٩)، ومردّ هذا الاضطراب : اختلاف دارسيه في تسميته ، وكان الأجدر بالمؤلف أن يسير على اسم واحد، وعندي أن الأحسن أن يسمّى (بيتًا تفعيليًا) .
- صنف المؤلف أغراض شعر الرفاعي على هذا النحو :

الإسلاميات - الوجدانيات - الإخوانيات ... إلخ .

وفصل الإسلاميات عما عداها خلل في المنهج؛ لأن الروح الإسلامية توجد في الشعر الوجداني وفي الاجتماعيات وفي الرثاء وهلم جرًا ، فهذا الفصل لامعنى له، ويكفي لإقناعك بهذا أن تعلم أن المؤلف عدّ من الإسلاميات مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يعدّه من الوجدانيات، مع أن المدائح النبوية - عند الشاعر المسلم - هي قمة الوجدان .

- في ص ٣٢٩ وص ٤٦٢ أورد قول الرفاعي :

ضاقــت علــى رحباتهــا
وانفــضّ سامــرها إزائي

وعلّق بأن البيت غير مستقيم صدره ولو كانت (رحابها) لاستقام، أقول : إذا كانت (على) حرف جرّ، فهو مستقيم، ولعله أراده، أما إن كانت (عليّ) جارًا ومجرورًا فهو كما قال .

- في ص.٣٣٠ - ٣٣١ جاء بيتان من البسيط على هيئة التفعيلة، وكان على المؤلف أن يعلق عليهما، وكذا في ص ٣٥٢.
- في ص ٣٣٣ ذكر المؤلف أنه لم يجد ترجمة لسعيد الطنطاوي، ولو رجع إلى ذكريات أخيه علي - رحمه الله - لوجدها (انظر مثلاً : الذكريات : ١/١٨٠، و٢/١١١).
- في ص ٣٤٣ أورد قول الرفاعي :

رأى أشواقهــا حيــارى
وعنــد جهينــة الخبر

وصدره غير مستقيم ، ولعله من خطأ الطباعة، وأظن الصواب :

رأى أشواقهــا حيــرى

....

- في ص ٣٤٣ - ٣٤٤ أورد المؤلف أبياتًا من قصيدة الرفاعي (الفريسة تصيد) ثم قال : إنه - أي الرفاعي - اكتفى بعرض الموقف - يعني موقف بائعة الهوى - وتصويره دون التعليق عليه ، وأقول : إن عنوان القصيدة يدلّ على موقف قائلها .
- لم يُطل المؤلف في الحديث عن قصيدة الرفاعي (سبعون) التي هي خير شعره ، وكان من الملائم أن يفصّل فيها وأن يعرض أقوال من تناولوها (انظر مثلاً : فليكن من شعراء الواحدة، لأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، جريدة الجزيرة، العدد ٧٦٩٥/٨-٥-١٤١٤هـ) .
- في ص ٣٥٥ ورد هذا البيت :

حمّلوني الهوى وما ظننتُ ضميري
حاملاً كل ما حوته الضمائرْ

وكلمة (الهوى) زائدة فيما يبدو، ويمكن أن يكون الشطر هكذا : حمّلوني الهوى وليس ضميري .

- في ص ٣٧٣ أحال المؤلف إلى مصدر أجنبي نقلاً عن مصدر عربي، ولستُ أرى داعيًا لحشو الهامش بهذه الحروف الأجنبية بلا داعٍ، إن قيمة الكتاب لن تعلو بها .
- أشار المؤلف في ص ٣٧٦ إلى أن شعر التفعيلة ضعيف عند الرفاعي، أقول : يظهر لي أن الرفاعي - رحمه الله - إنما نظم عليه ؛ دفعًا لتهم الانغلاق والجمود التي يطنطن بها الشكليّون، حتى إنه وزّع أبياتًا عمودية على هيئة التفعيلة - كما ورد قبل أسطر - إرضاءً لهم فيما يبدو .
- في ص ٤٦٧ قال المؤلف : ولانكاد نجد لديه شيئًا من عيوب القافية .

أقول : في بعض الشواهد التي أوردها المؤلف عيب يسمّيه العروضيون سناد التأسيس ، كقوله :

المبدعون وكيف لي أن أبدعا
قطفوا الروائع لم أجد لي مطلعا

ثم قال في بعض قوافيها : روائعا، وضالعا وجامعا .
وكذا في قوله :

ظمآن رغم صدى الخرير بمسمعي
رغم انهمار الماء بين أصابعي

فهذه الألف السابقة للروي إما أن تترك وإما أن تُلزم .

- في إحدى قصائد التفعيلة التي أوردها المؤلف ص٣١٣ - ٣١٤ وقع اضطراب في الوزن فلتُراجع .
- أشار المؤلف في ص ٣١١ إلى قصة شفاء البوصيري من الفالج بعد مدحه النبي صلى الله عليه وسلم بالبردة، ولم يعلّق عليها، وهي قصة مكذوبة ، يتمسّح بها أهل التصوف المغالون في الثناء على هذه القصيدة المحشوّة بالشرك والبدع والخرافة .

وبعد : فهذا ما أوحاه الخاطر الكليل إلى القلم، مَسُوقًا بالتقدير لمؤلف الكتاب ولمن كان أدبه مادّة له :

شهد الله ما انتقدتك إلاّ
طمعًا أن تكون فوق انتقادي

الإسلام أركان وبناء لعدنان النحوي

علاء الدين حسن
الحسكة - سوريا

عن دار النحوي للنشر والتوزيع صدر حديثًا كتاب جديد لعدنان علي رضا النحوي بعنوان : الإسلام أركان وبناء .. وهو مهداة إلى الدعاة المؤمنين الصادقين الذين يحبون أن يلتقوا في لقاء كريم على محبة الله ورسوله لبناء الأمَّة المسلمة الواحدة ...

افتُتح الكتاب بآيات من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى : ﴿ **ألَمْ يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نَزّل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمدُ فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ . **وقوله تعالى : ﴿ وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ .**

ويقول المؤلف في مقدمته : عندما يغيب التناصح بين المسلمين ، يفقد المسلمون مصدرًا عظيمًا من مصادر القوة، وتتراخى الروابط الإيمانية، وتتراكم الأخطاء حتى تحجب الأفق ، ويتعرض المسلم عند ذلك للانحراف عن الدرب القويم «والصراط المستقيم» .

ولقد جاء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعظم أمر النصيحة حتى يجعلها بأهميتها كأنها الدين كله .. فعن تميم الداري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الدين النصيحة» . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم» .

وفي واقعنا اليوم نحتاج إلى التذكير وإلى إعادة التذكير ، وإلى النصيحة وإلى إعادة النصيحة ، عسى أن يفيق الغافلون ، وينهض القاعدون .

الفصل الأول : تذكير ونصح ، وفيه :

- لابد من وقفة إيمانية ولابد من محاسبة النفس : فمن أهم أعمال الإفاقة واليقظة و «الصحوة» هو الوقوف ولو قليلاً للمحاسبة والتقويم ، والنظر والتدبر، ومعالجة الأخطاء، والتوبة إلى الله والاستغفار ! أما من استكبر عن ذلك، ومضى فيما كان فيه ، لايرى فيه إلا أنه هو وحده على الحق، وغاب الميزان وغلبت الأهواء، فإن الهزائم والفواجع ستتوالى .

- تكامل التكاليف الربانية : إن منهاج الله حق كله مفصّل محكم تام، منهج للحياة كلها بجميع عصورها ولجميع الشعوب والمواقع . والأحكام كلها تترابط وتتناسق في المنهاج الرباني المعجز ، الميسَّر للذكر لمن آمن وصدق إيمانه . فالله تعالى خلقنا لعبادته وأمرنا بذلك ، وبث آياته في الكون دالة على وحدانيته وبعث الأنبياء والرسل وأنزل الكتب رحمة منه حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. والله تعالى هو الذي أمر بتبليغ رسالته : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ . والله تعالى هو الذي أمر بإقامة الدين في الأرض كما فعل رسول الله والخلفاء الراشدون .

- أول التكاليف بعد الإيمان والعلم والشعائر : جهاد

النفس : وذلك لينهض المسلم إلى التكاليف الربانية، دون محاولة تسويغ التواني والضعف . قال تعالى : ﴿ اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ . وقال عليه الصلاة والسلام : «المجاهد من جاهد نفسه في الله» . فإذا انتصر المسلم في هذه المعركة الأولى ، يسَّر الله له النصر في طريق الجهاد الممتد لحمل الأمانة العظيمة التي هي ممارسة منهاج الله بتكامله وترابطه وتناسقه في الواقع البشري .

وأول التكاليف الربانية بعد الأركان الخمسة هو الإقبال على منهاج الله لطلب العلم منه ، وتبليغ رسالة الله إلى الناس، وعلى هذه المسئولية الفردية تقوم مسئولية الأمة المسلمة كلها .

– لماذا ندرس المنهاج الرباني ؟

نقوم بذلك أولاً طاعة لله ورسوله ؛ لأنه تكليف من عند الله. وثانيًا لأن ذلك يزيد الإيمان . وثالثًا لنعرف التكاليف الربانية التي سيحاسبنا الله عليها يوم القيامة .

– لماذا يجب النهج والتخطيط ؟

لأنه يتبين لنا من منهاج الله أن هناك أهدافًا ربَّانية ثابتة يجب تحقيقها في الواقع البشري ، وأن هناك صراطًا مستقيمًا يجب اتباعه وحده دون غيره لبلوغ الهدف الأسمى .

– في سبيل الله درب ممتد ونهج متماسك :

إنه الدرب كله بجميع مراحله وأهدافه الثابتة .. «في سبيل الله» تبتدئ من مجاهدة لتؤمن وتصدق مع الله . ومن سار على هذا الدرب كما حدده الله فهو في «سبيل الله» . «في سبيل الله» مسيرة على صراط مستقيم يكون الحافز فيها إيمانيًا، فينطلق بذلك من ذكر الله المرتبط بجميع التكاليف الربانية والممارسة الإيمانية على درب ممتد في سبيل الله، ونهج مترابط .

الفصل الثاني – تنافس الدنيا وعرضها الذائل :

إن الدعوة الإسلامية قامت في الأرض وامتدت لتحمل القضية الكبرى، والحقيقة الكبرى ، قضية دعوة الناس إلى الإيمان والتوحيد ، وتبليغهم رسالة الله كما أُنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم حتى يستقر الإيمان والتوحيد في القلوب بهداية الله .

*** الفصل الثالث – إلى لقاء المؤمنين الصادقين :**

إلى بناء الجيل المؤمن الذي يحمل الخصائص الربّانية المفصّلة في منهاج الله ، الجيل المؤمن الذي تربطه أخوة الإيمان والتوحيد لا عصبيات الجاهلية .

الجيل الذي يحمل الزاد الحق من إيمانه الصادق وتوحيده الصافي ووعيه الأمين للواقع من خلال منهاج الله .

من أجل ذلك : ليكن ولاؤنا الأول لله ، وليكن عهدنا الأول مع الله، وليكن حبنا الأكبر لله ... عندئذ يصبح شعار «الجيل المؤمن» ذا محتوى وجوهر، يجمع المؤمنين في لقاء المؤمنين .. عندئذٍ تزول الفرقة ويتوقف الصراع، وتنطلق مواكب الإيمان أجيالاً مؤمنة مع الزمن كله ، مترابطة متصلة، تعبد ربًا واحدًا على دين واحد، إلى هدف أكبر وأسمى، على صراط مستقيم، وذكر مستديم .

الفصل الرابع : موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية .

ديوان أبي تمام الطائي بشرح الخطيب التبريزي

استدراك

عبدالكريم الحبيب

جامعة البعث - كلية الآداب - قسم اللغة العربية - سوريا

مقدمة : سبق أن نشرت مقالاً عن ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، على صفحات مجلة عالم الكتب في العدد /٢/من المجلد/ ١٥/عام ١٩٩٤م، كنت أشرت إلى تصحيح بعض الأخطاء التي وقع فيها المحقق، وذكرت آنذاك ما يتعلق بطبعات ديوان أبي تمام وفضل طبعة عزام عليها، وكنت قد وعدت باستدراك ما فات عزام من شعرٍ لأبي تمام فلم يدخل في طبعته المحققة، وقد شغلتني أمور كثيرة عن تدوين ذلك غير أني أكمل الآن ما دوّنته من ملاحظات وتصويبات في المقال المذكور آنفًا . بهذا الاستدراك اللطيف، وهو على قلة الشعر فيه لا يخلو من فائدة ، ولا يعيب عمل عزام الذي أجلّه وأحترمه، وربما أتمم عمله، ونفع بعض أهل العلم، فهم سهم يضرب لخدمة التراث العربي العظيم .

وهذا المستدرك ورد في كتاب هبة الأيام فيما يتعلّق بأبي تمام، وذلك عندما كما نعمل بتحقيقه أنا وعبدالإله نبهان، وسيصدر - قريبًا إن شاء الله - عن دار اليمامة في حمص .

وقد قمت بترتيب المقطّعات المستدركة وفق حروف الهجاء، ثم علقت عليها بما يفيد، مستفيداً من تحقيقنا لهذه المقطوعات في كتاب البديعي الآنف الذكر . ولا أبغي من ذلك إلا خدمة العلم والتراث .

- أولاً -

حرف الباء

أورد البديعي في كتابه هبة الأيام /٣٠٧/ تحت عنوان (موت خالد بن يزيد) [(١)] : «ولما انتفض أمر أرمينية في أيام الواثق [(٢)] ، جهّز إليها خالداً في جيش فاعتلّ في الطريق ، ومات سنة ثلاثين ومائتين [(٣)] ، ورثاه أبو تمام بعدة قصائد [(٤)] منها :

١- ماتت ربيعة لا بل ماتت العربُ

وحلَّ بالمكرماتِ الويل والحَرَبُ [(٥)]

٢- لم يوحش الله دنياه وساكنَها

مــن خالدٍ وله في خلْقِهِ أربُ [(٦)]

٣- أضحتْ سماء معدٍّ بعد خالدها

محجوبة الشمسِ حتى تُنْشرَ الكتبُ [(٧)]

٤- أنعى إلى الجود والمعروف ربَّهما

ما راح للجود والمعروف مكتسبُ [(٨)]

٥- اليوم مات يزيدٌ حــقَّ ميتته

واليوم حلَّ بحيَّيْ قومكِ السلَبُ [(٩)]

٦- قد كان غاية ما نخشى ونحذره

من الحوادث أن تغتالك النُّوبُ [(١٠)]

٧- واليــوم أنفسنا للدهـر آمنةٌ

أنْ ليس بعدك خطبٌ منه يُرتقبُ [(١١)]

٨- يا موتِمَ الجودِ دون الناس كلهم

هيهات بعـدك لا يحنو عليه أبُ [(١٢)]

٩- ما حلَّ رزؤكَ إلاّ بالرجاء فما

في الأرض بعدك للرّاجين مُطّلَبُ [(١٣)]

١٠- فاذهبْ عليكَ سلام الله من مَلِك
ما بعـد مهلكه رَغْبٌ ولا رَهَبُ» [١٤]

- ثانيًا -

حرف الدال

أورد البديعي في كتابه هبة الأيام / ٣٨٤/ :

وأمر المعتصم [١٥] للشعراء الذين مدحوا الأفشين [١٦] بثلاثمائة ألف درهم، وأمر أن يكون تفريقها على يد أحمد ابن أبي دؤاد [١٧] فأعطى منها محمد بن وهيب [١٨] ثلاثين ألفًا، وأعطى أبا تمام عشرة آلاف درهم، فتحدث الناس في ذلك، قال ابن أبي كامل[١٩] ؛ قلت لعليّ بن يحيى المنجّم[٢٠]: ما هذا الحظ : يُعطي أبا تمام عشرة آلاف درهم وابن وهيب ثلاثين ألفًا ، وبينهما كما بين السماء والأرض ! .

فقال : لذلك علةٌ لاتعرفها، كان ابن وهيب مؤدب الفتح ابن خاقان [٢١]، فلذلك وصل إلى هذه الحال، وكانت هذه القضية قد أثرت في أبي تمام ، فقال في ابن أبي دؤاد :

١- بدعةٌ أُحدثت خلاف الرشادِ
نفسها قائد إلى الجور هادي[٢٢]

٢- نبطيٌ بالأمس أحـــدثَ آبا
ءً خــلافَ الآباء والأجدادِ [٢٣]

٣- ياوسيطًا فــي نابطٍ وبنيه
وبريئًا مـــن عامرٍ ومرادِ [٢٤]

٤- أنت فيما فعلت أجرأ من
عمرو جنانًا والحارث بن عبَّاد[٢٥]

٥- قلت إني صليبيةٌ مـن إيادِ
مَـنْ إيادٌ ففي حِرِ أمّ إيادِ [٢٦]

فبلغ ذلك ابن أبي دؤاد، وزعم أبو تمام أنه مقول على لسانه واستشفع بخالد بن يزيد الشيباني. فعفا عن أبي تمام .

- ثالثًا -

حرف الراء

أورد البديعي في كتابه هبة الأيام /٣٣٥/ تحت عنوان (عتب ابن أبي دؤاد على أبي تمام واعتذاره) ما يلي :

«وبلغ القاضي أحمد بن أبي دؤاد أن أبا تمام قال في أبي سعيد محمد بن يوسف الغزواني الصامتي الطائي[٢٧] صاحب حميد الطوسي [٢٨] :

١- تزحزحي عن طريق الحق يا مضرُ
هذا ابن يوسف ما يبقي وما يذرُ [٢٩]

٢- هو الهزَبْرُ الذي في الغاب مسكنُهُ
وآل عدنانَ فــي أرضيهمُ بقرُ [٣٠]

٣- له حسامٌ من الرأي الأصيل إذا
ما سلّهُ جـــاءت الأيامُ تعتذرُ [٣١]

٤- عَضْبُ المضارب إمّا نكبة طرقتْ
ماضٍ صياقلهُ الإطراقُ والفكرُ [٣٢]

٥- وإنمـا يمنُ نورٌ تضـيء لكـم
كما يضيء لأهل الظلمة القمرُ [٣٣]

٦- لولا سيوف بني قحطان ما قُرئت
بين الصَّفا وحطيمي زمزمَ السورُ [٣٤]

٧- ولا أُحِـلَّ حلالُ الله فـي بلدٍ
من الأنام ولا حجّوا ولا اعتمروا

فقال يمدحه ويعتذر إليه ويتنصل من ذلك بدالية»[٣٥] .

- رابعًا -

حرف اللام

أورد البديعي في كتابه هبة الأيام /٤٥/ :

«وكان الحسن بن وهب [٣٦] يعاشر أبا تمام عشرة متّصلة ، فنُدب الحسن بن وهب للنظر في بعض أمرِ النواحي فتشاغل عن عشرة أبي تمام فكتب إليه أبو تمام»[٣٧] :

١- قالوا جفاك فلا عهدٌ ولا خبرٌ
ماذا تراهُ دهاهُ، قلـت : أيلولُ [٣٨]

٢- شهرٌ كأن حبال الهجر منـه فلا
عقدٌ من الوصل إلا وهو محلولُ [٣٩]

فأجابه الحسن بن وهب [٤٠] :

١- ما عاقني عنك أيلولٌ بلذّته
وطيبه، ولَنعْمَ الشّهْرُ أيلول [٤١]

٢- لكنْ توقُّعُ وشْك البين عن بلدٍ
تُحلُّهُ فوكاءُ الدمـع محلولُ [٤٢]

وأورد البديعي في كتابه أيضًا /١٤١/ :

«وزار الحسن بن وهب وأبو تمام أبا نهشل بن حميد الطوسي [٤٣]، فبدأ أبو تمام فقال[٤٤] :

أعضّـــكَ اللـــه أبا نهشـــلِ

....

ثم قال للحسن بن وهب [٤٥] أجزْ فقال :

....

بخــدِّ ريــم شادنٍ أكحـــلِ

قال أجزْ يا أبا نهشل [٤٦] فقال :

يُطمِــعُ في الوصــل فإنْ رُمْتَهُ

صارَ مع العيسوق في منزلِ[٤٧]

خاتمة :

أتمنى مخلصًا أن يكون في هذا الاستدراك فائدة علميـة ينتفـع بهـا أهل العلم لأن الشيء النافع يرقى بالفكر ويعـزز مكانة العلم في النفـوس ، مع تقـديم تقديري واحترامي لعمل الدكتور عزّام فقد أثنيت عليه في مواضع عدة . وهو أهل لذلك .

والله من وراء القصد .

الإحالات والحواشي

١ – هو خـالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، أحد الأمراء الولاة الأجواد في العصر العباسي، ولاه المأمون مصر (سنة ٢٠٦هـ) ودخلها، وقاتله عبيدالله بن السري فلم يستقر فيهـا، فولاه الموصل ثم زاده ديار ربيعة كلها، فأقام إلى أيام الواثق فسيّره إلى أرمينية ليخمد انتفاضتها، فـاعتلَّ ومـات في الطريق إليهـا سنة /٢٣٠هـ/ (عن الأعلام ٣٠١/٢) .

٢ – الواثق بالله ؛ هو هارون بن محمد (المعتصم بالله) ابن هـارون الرشيـد، من خلفـاء الدولة العبـاسيـة بالعراق، ولد ببغداد سنة /٢٠٠هـ/ وولي الخلافة بعد وفـاة أبيـه سنة /٢٢٧هـ/ فـامـتحن الناس في خلق القرآن، وسجن جماعة ، وكان محبّاً للنساء مسرفًا بحبه، مات في سامراء سنة /٢٣٢هـ/ . (عن الأعلام ٦٢/٨) .

٣ – ورد الخبر في وفيات الأعيان ٣٤٢/٦ برواية : (... جهّز إليها خالد بن يزيد المذكور في جيش عظيم، فـاعـتلّ في الطريق ومـات سنة ثلاثين ومائتين، ودفن بمدينة دبيل أرمينية، رحمهم الله أجمعين) .

٤ – يقول البديعي : (عدة قصائد) وقد يكون على سبيل التكثير ، لأنه لم يرد في ديوان أبي تمام سوى قصيدتين في رثائه ، الأولى في الديوان ٥/٤ ومطلعها:

نَعَـــاءِ إلى كـــلِّ نعـــاء

فتى العَـرَب احتلَّ ربعَ فناءِ

وعدد أبياتها /٦٤/ بيتًا .

والثانية في الديوان ٦٥/٤ ومطلعها :

أ ألله إني خالد بعد خالدٍ

وناسٍ سراجَ المجد نجمَ المحامدِ

وعدد أبياتها /٤٩/ بيتًا، أورد منها البديعي في كتابه /٢١/ بيتًا . انظر هبة الأيام /٣٠٨/ وما بعدها .

٥ – ربيعة : قبيلة معروفة، الويل : الهلاك، والبلاء، الحرب؛ الهلاك أيضًا .

٦ – الأرب : الحاجة ، والمعنى : أن الله سبحانه وتعالى، قد رفع عنايته، ورحمته عن البشر، فقبض إليه خالدًا. وكذلك دلالة الأبيات الأخرى .

٧ – معدّ : قبيلة معروفة ، وفي قوله : خالدها ، تورية باسم المرثي إلى أنه كان خـالدًا أي باقيًا كخلود الشمس، لأنه كان شمس معدّ، وقوله حتى تنشر الكتب : أي حتى تقوم القيامة، والإشارة واضحة إلى قوله تعالى :﴿**وكلّ إنسـان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا**﴾ الإسراء ١٣/١٧ .

٨ - المعنى : إن خالداً كان صاحب الجود والمعروف، فهو موجدهما ، فإنني أنعى إليهما ربهما ومالكهما مدّة وجود مكتسبٍ وطالبٍ لهما .

٩ - يزيد : هو والد خالد، وهو يزيد بن مزيد الشيباني، من القادة الشجعان، كان واليًا بأرمينية وأذربيجان، وانتدبه هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف الشيباني عظيم الخوارج في عهده، فقتل ابن طريف سنة /١٧٩هـ/ وعاد إلى أرمينية، وكان فيما وليه اليمن، وتوفي ببردعة سنة /١٨٥هـ (انظر **الأعلام** ١٨٨/٨)

والمعنى : بموت خالد اليوم تحققنا موت أبيه يزيد، لأنه الذي كان يحمل ذكره وشجاعته وبأسه، واليوم حلَّ السلب بمعدً وربيعة حقيقةً .

١٠- النُّوَب : جمع نائبة، وهي المصيبة، والمعنى : «إنّ أقصى ما كان يخيفنا ونحذره هو موتك ، لأنه أعظم المصائب، وكل ما يأتي غيره هيّن لدينا» .

١١- المعنى : قد اطمأنت نفوسنا من غدر الدهر، لأن موتك هو الخطب الجلل، وليس بعدك خطب يرتقب ويخيف .

١٢- موتم الجود : سبب يتمم الجود، والمعنى : أنت سبب يتم الكرم والجود، حيث أصبح مشرداً بعدك، لايجد الحنان من أب كان يرجوه، لأنك ذلك الأب .

١٣- الرزء : المصيبة، والمعنى : إن المصيبة وقعت في رجاء الناس وآمالهم لأنك أنت أملهم ورجاؤهم، وبعد موتك لم يعدْ هناك من يُرجى ويُقصد من قبل الراجين والطالبين .

١٤- الرغب : الرغبة ، والرهب : الرهبة ، والمعنى : كنت الملك الذي يرغب بجوده الأصحاب، ويرهب لقاءه الأعداء، وبعد ذهابك، لم يعد هناك من يجمع النقيضين في الخوف والرجاء .

١٥- المعتصم هو محمد بن هارون الرشيد ... من أعاظم الخلفاء العباسيين بويع بالخلافة سنة /٢١٨هـ/ يوم وفاة أخيه المأمون، وبعهد منه، وكان بطرسوس، فعاد إلى بغداد، واتسع ملكه جداً، وهو فاتح عمورية، توفي بسامراء سنة /٢٢٧هـ/ . (عن **الأعلام** ١٢٧/٧) .

١٦- الأفشين : هو خَيْذر بن كاوس، فارسي الأصل، ومن أشهر قادة المعتصم وهو الذي أسَر بابك الخُرمّي، ثم فسدت علاقته بالمعتصم وانقلب عليه، وانتهى الأمر بصلبه وقتله (**عن ديوان أبي تمام** ١٩٨/٢ وما بعدها) .

١٧- هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي، ولد بالبصرة سنة /١٦٠هـ/ وقدم به أبوه إلى دمشق ثم العراق، وكان من القضاة المعتزلة المشهورين لدى المأمون والمعتصم والواثق، ثم فُلج في عهد المتوكل وتوفي ببغداد سنة /٢٤٠هـ (عن **الأعلام** ١٢٤/١) .

١٨- هو محمد بن وهيب الحميري، شاعر مكثر مطبوع من شعراء الدولة العباسية، ولد في البصرة، وعاش في بغداد، وكان يتكسب بالشعر، ويتشيّع، وقد أدّب الفتح بن خاقان واختص بالحسن بن سهل، ومدح المأمون والمعتصم وتوفي نحو سنة /٢٢٥هـ(عن **الأعلام** ١٣٤/٧) .

١٩- لم أعثر على ترجمة له .

٢٠- هو علي بن يحيى المنجم ، أديب وشاعر ، خُصّ بالمتوكل ونادمه ونادم من جاء بعده من الخلفاء حتى المعتمد، وتوفي بسامراء سنة /٢٧٥هـ (عن **الأعلام** ٣١/٥) .

٢١- هو الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أديب وشاعر وكان مشهوراً بذكائه فارسي الأصل، واتخذه المتوكل أخًا له وقدّمه على جميع أهله، واستوزره وجعل الشام له، ومكتبته شهيرة، وله عدة كتب، وتوفي سنة /٢٤٧هـ/ . (عن **الأعلام** ١٣٢/٥) .

٢٢- البدعة : إحداث شيء لا أصل له، والمعنى : إن هذه البدعة التي لا أصل لها كانت خلاف الرشاد والهدى حيث تهدي إلى الجور وتقود إليه .

٢٣- نَبَطيٌّ : نسبة إلى النبط، حيث يضرب بهم المثل في اللُّكْنة، والعيّ في الكلام . والمعنى : إنه نبطي غير عربي ولا أصل له في العرب حيث إنه أحدث آباءً غير الآباء العرب وأجداداً غير أجدادهم .

٢٤- نابط وبنيه : اسم محدث لا أصل له ، والمعنى أن الشاعر ينسب مهجوّه إلى أب اسمه نابط، وينفيه من القبائل العربية، كعامر ومراد .

٢٥- الجنان : القلب ، وعمرو : يقصد عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبدالله الزبيدي : فارس اليمن، وفد على المدينة سنة /٩هـ/ في عشرة من بني زبيد فأسلموا، وكان من المرتدين عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ ورجع، وهو ممن شهد اليرموك والقادسية، ومن الشعراء المجيدين، توفي قرب الري سنة /٢١هـ/ (عن **الأعلام** ٨٦/٥) .

والحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكري، حكيم جاهلي، وشاعر، وكان أمير بني ضبيعة، وشهد حرب البسوس، واعتزل القتال فيها، ثم أوقد أوارها بعد أن قتل المهلهل له ولداً، وأسر مهلهلاً فجزَّ ناصيته وأطلقه وأثخن في تغلب ، وعمّر طويلاً وتوفي نحو سنة (٥٠ق . هـ) عن **الأعلام** ١٥٦/٢) .

ومعنى البيت : أن الشاعر يستعظم فعلته وجرأته في توزيع الهبة ، حتى إنه فاق عمرو بن معدي كرب والحارث جرأة وتطاولاً .

٢٦- صليبة : أي أصيل لحماً ودماً . ومعنى البيت استخفاف بالمهجو وقبيلته وشتيمة للقبيلة، مما فعل المهجو .

٢٧- من القادة الشجعان الذين اعتمد عليهم المأمون والمعتصم، وكان له دور في القضاء على بابك الخرمّي، وهو الذي ضرب رأس الحسين بن هشام عندما انحرف عن المأمون إلى بابك ولأبي تمام مدائح كثيرة فيه (عن الطبري ٦٢٧/٨) .

٢٨- هو حميد الطوسي من كبار قواد المأمون العباسي ، وكان جباراً وفيه بطش وقسوة ، يعتمد عليه المأمون في المهمات الصعبة ، توفي /٢١٠هـ/ .

٢٩- تزحزحي : تحركي واذهبي ، والمعنى : يجب أن تتحركي عن طريق العز يا مضر لأن ابن يوسف لا يدع لك شيئاً من المكارم .

٣٠- الهزبر : الأسد . ومعنى البيت واضح .

٣١- المعنى : إن ابن يوسف حكيم ، له رأي فيصلٌ كحد الحسام فإذا ما شرعه جاءت الأيام معتذرة له .

٣٢- عضب المضارب : قاطع بحده ، الصياقل : جمع صيقل وهو صانع السيوف، والمعنى : أن رأية قاطع بحده فإذا ما حلّت نكبةٌ فإنه يُعمل فكره وتفكيره في حلّها وكأن تفكيره يشحذ سيف عزمه فيصبح أكثر مضاءً .

٣٣- معنى البيت واضح .

٣٤- يشير في هذا البيت إلى الأنصار أي الأوس والخزرج وهم من اليمن، ومعنى البيت والذي يليه : أن بني قحطان هم الذين نصروا الإسلام وأقاموا شعائره الدينية .

٣٥- مطلع القصيدة الدالية المذكورة هو :

سقى عهد الحمى سيل العِهادِ
وروّض حاضر منه وبادي

وعدد أبياتها في الديوان /٥٢/ بيتاً . انظر الديوان ٣٦٩/١ .

٣٦- هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي ، كاتب وشاعر، استكتبه الخلفاء وكان وجيهاً لديهم ، وتربطه مودة عظيمة مع أبي

تمام والشعراء في عصره وتوفي نحو /٢٥٠هـ (عن **الأعلام** ٢/٢٢٦) .

٣٧- ورد البيتان في سرور النفس ونسبا إلى محمد بن عبدالملك الزيات أنه كتبهما للحسن بن سهل وأجابه الحسن . انظر ذلك في /٢٣٦ - ٢٣٧/ .

٣٨- دهاه : حصل أمر يكرهه فأبعده عني، والمعنى : إن الحسن قد جفاني فلم نعد نسمع عنه أي خبر فما الذي حصل له فأجبتهم : لعل هذه القطيعة سببها حرّ أيلول الشديد .

٣٩- المعنى : إن كل حبال الوصال محلولة في هذا الشهر لأنها حبال هجر وابتعاد .

٤٠- البيتان في سرور النفس من مقطّعة سباعية. انظر ذلك /٢٣٦/ .

٤١- المعنى : لم يعقني أيلول ولذته عن وصالك ، وإني لأفضل هذا الشهر ، لاشتهار لذته وطيبه .

٤٢- المعنى : إنني أتوقع الفراق عن البلد الذي تحله يجعل الدمع يسيل . والوكاء : القربة أو رباطها .

٤٣- أبو نهشل : هو شقيق محمد بن حميد الطوسي، كان من خلصاء أبي تمام ومحبيه وله عناية بالشعر والأدب، وهو الذي بنى قبة على ضريح أبي تمام إكرامًا ووفاء له . (انظر **وفيات الأعيان** ٢/١٧) .

٤٤- الخبر أيضًا في **أخبار أبي تمام** /٢٦٩/ وقد ورد : «وزعم ابن داود أن محمد بن الحسين حدثه، قال : زار الحسن بن وهب وأبو تمام أبا نهشل بن حميد ، فقال أبو تمام وقد جلسوا ...» .

٤٥- في **أخبار أبي تمام** : « ... للحسن ...» .

٤٦- في **أخبار أبي تمام** : «ثم قال لأبي نهشل : أجِزْ ... فقال : » .

٤٧- العيّوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريا، لايتقدمها . والمعنى : إن هذا الغزال يغري بالوصل ، فإذا دنوت منه مواصلاً، ابتعد مناله وكأنه أصبح مع العيوق، يضيء جمالاً وهو عنك بعيد .

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - **أخبار أبي تمام** ، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، تحقيق خليل محمود عساكر، ومحمد عبده عزّام ونظير الإسلام هندي ، تقديم أحمد أمين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م .

٣ - **الأعلام** ، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩م .

٤- **تاريخ الطبري**، الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .

٥ - **ديوان أبي تمام الطائي** ، شرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .

٦ - **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس**، أحمد ابن يوسف النيفاسي، تهذيب محمد بن جلال الدين المكرم ابن منظور المصري، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠م .

٧ - **متن اللغة** ، أحمد رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٥٨م .

٨ - **هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام**، يوسف البديعي، نشره محمود مصطفى وراجعه سيد يس أحمد، مطبعة العلوم بالسيدة زينب، القاهرة، ١٩٣٤م .

شرح نقائض جرير والفرزدق برواية أبي عبدالله اليزيدي

تحقيق محمد حور ووليد محمود خالص

صالح بن سليمان الوهيبي

أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

اشتهر شرح أبي عبيدة لنقائض جرير والفرزدق في نشرته التي حققها المستشرق الإنجليزي أنتوني أشلي بيفن ANTHONY ASHLEY BEVAN وطبعتْها دار بريل في لايدن بهولندا بين ١٩٠٥ و ١٩١٢م، وأعادت مكتبة المثنى ببغداد نشر الطبعة مصورة سنة ١٩٥٨م بعد ما عزّ وجود الكتاب . وقد صار العثور على نسخة من طبعة بريل أو مصورة مكتبة المثنى بالغ العسر في الوقت الحالي .

وهذا الكتاب مهم جداً، ومن أصعب الكتب تحقيقًا نظرًا لطوله ووفرة أسماء الأعلام فيه من أشخاص وحيوان ومكان، وكثرة الشعر . ومن رام تحقيقه فعليه الاستعداد لذلك والانقطاع له دهرًا مديداً . وقد ذلل بيفن في طبعته المشار إليها كثيرًا من الصعاب ، وخرجت دواوين شعره كثيرة أراحت المحققين ؛ ومع ذلك فالعبء كبير .

ولقد سعدتُ أيما سعادة حين وقعت عيناي على "شرح نقائض جرير والفرزدق" وأنا أتجول في ردهات أحد معارض الكتب وسارعت إلى شرائه، وقد وجدت أن الكتاب يقع في ١٣٠٦ صفحة في ثلاثة مجلدات ؛ فمن صفحة ١ إلى ١٥٣ جاءت مقدمات المحققين وما يتبعها ، وجاء متن الكتاب بين الصفحات ١٥٧ - ١١٢٨، وخصصت الصفحات ١١٢٩ - ١٣٠٦ لقائمة المصادر والفهارس .

ولقد خاب ظني منذ شرعت في قراءة الكتاب، إذ وجدت الكتاب مليئًا بالأخطاء الطباعية وغير الطباعية . وبدأت أدون بعض الملاحظات التي أوجزها فيما يأتي :

أولا : أطال المحققان الفاضلان في نقد عمل المستشرق بيفن ... وفي بعض ما قالاه حق خاصة ما يتعلق بتصرفه في النشرة بالإضافة والتعديل . ولا حاجة إلى الإطالة في سرد نماذج من "ترقيعه" أو "تركيبه" للكتاب. وقد عرض المحققان نماذج من عمله هذا ملآ بها الصفحات من ١٨ - ٥٨ . وإخال المحققين أرادا الغض من طبعة بيفن تسويغًا لتحقيق الكتاب مجدداً، ولا بأس بذلك لو أحسنا العمل، ولكن شتان ما بين العملين ... والله المستعان .

ثانيًا : عرض المحققان صورًا للمخطوطات الست شملت الصفحات ٩١ - ١٥٣ مع أنهما حققا نسخة المخطوطة الموجودة في أكسفورد، واستبعدا ما سواها نظرًا لما بينها من اختلاف يجعل كلا منها أصلاً مستقلاً (حسب قولهما في ص ٦٦) .

ثالثًا : يزخر الكتاب بالأخطاء التي تجبه القارئ ابتداء من الصفحة الأولى ؛ وقد أحصيت ما وقع عليه ناظري منها منذ بداية الكتاب (ص ١٥٧) إلى نهاية (ص٢٢٠) فوجدت أكثر من ١٣٠ خطأ في هذا العدد القليل من الصفحات وقدرها (٦٤) صفحة ، أي ما يعادل ١٦٪ من كتاب أبي عبيدة في هذا الطبعة . وقد أفسدت الأخطاء الكثيرة في الشعر والمتن العمل . ولا أستطيع حصرها نظرًا لكثرتها وتنوعها، وحسبي

بعض الأمثلة من الجزء الأول فقط . وما تركت منها أضعاف ما ورد خاصة أخطاء الضبط . وقد صنفت تلك الأخطاء على النحو الآتي:

١ - أخطاء نحوية تبدّت في الضبط :

١ - ص ١٥٧/س٧ : (بن عمرانٍ بن عطية) - والصواب عمرانَ بفتح النون) لمنعه من الصرف .

٢ - ص ١٥٨/س٢ : (فشج تميمُ أخا بكرةَ أيضا) - والصواب (تميمٌ) فهو اسم مصروف لأنه لمذكر. وتميمٌ بن علاثة ، أحد بني سليط . وعكسه في ص ٢٠٤/س (فقالت بنو كليب لعطاءٍ بنِ الخطفَي : ..) - والصواب عدم تنوين (عطاء) لمجيء (ابْن) بعده .

وقد ترك المحققان تنوين ما حقه التنوين في عدة مواطن منها : ص ١٥٩/س٢ : جرير؛ ١٨٩/س٢٠ : بجير؛ ص ٢٠٧/س٢ : لَقَى (صوابه لَقًى) ؛ ص ٢٠٧/س١٦ : طَلَحَ (صوابه : طلحٍ) ؛ ص ٢٠٨/س٣: بمُعْتَرَكَ .

٣ - ص ١٦٣/س ١٠ - ١١ : (.. قلتُ : إيم الله لا جلجلتني اليوم . ولَحم التهاجي بين غسانٍ بن ذُهيل وبين جرير) - في هذين السطرين عدة أخطاء : أولها أن (ايم) تكتب بهمزة وصل وهي مرفوعة (ايْمُ اللهِ ..)، ونون الوقاية من (جلجلتني) حقها الكسر، و (غسان) حقه الفتح لأن المحقق التزم منعه من الصرف فيما مضى، و (ذُهيل) صوابه هنا (ذُهيلٍ) بالتنوين .

٤ - ص ١٧٤/س١٦ : (.. ماشَأْنُ خَيْلُكُم قُعْسا ..) - وصوابه خَيْلِكُم ، لجره بالإضافة .

٥ - ص ١٨٠ / س ٢١ : (فكان أبو مُليلُ ..) - وصوابه : مُليلٍ .

٦ - ص ١٨١/س٢ : (فإن لك مائة ..) : صوابه : مئةً (بالنصب) .

٧ - ص ١٨٣/س٩ (وهذا جعفر بنُ ثعلبة بن يربوعَ..) - وصوابه (يربوعٍ) لأنه هنا علم لمذكر ولا مقتضي لمنعه من الصرف .

٨ - ص ١٩٩/س٧ : (ولا من روابي عروةِ بنَ شبيبِ) - والصواب (بنِ) وفتح (عروة) لمنعه من الصرف .

٩ - ص ١٥٨/س٣ - ٤ : فحمل هلال بن صعصعةً أحد بني كُليبٍ ثلثُ الديةُ - والصواب : صعصعةَ .. ثلثَ الديةِ . ومثله في صرف الممنوع من الصرف : ص ١٥٨/س ١٧ : عطيةٍ .

١٠ - ص ٢٧٦/س ١٣ : قول معقِل الثعلبي :

لنعم الحيُّ ثعلبةَ بنَ سعدٍ
إذا ما القومُ عضهم الحديدُ

الصواب : قراءة الصدر هكذا : "لنعم الحيُّ ثعلبةُ بنُ سعدٍ "لأن ثعلبة مخصوص بالمدح . وإن جعل (ثعلبةَ بنَ سعدٍ) منادى فالأولى (ثعلبةُ بنَ سعدٍ) .

١١ - ص ٢١٣/س١ : (تعلَّمْ أني لأظن ..) والصواب (تعلَّمْ إني لاظن..) بكسر همزة إنّ لوجود لام التعليق كما في قوله تعالى ﴿**والله يعلم إنّك لرسوله**﴾ .

٢ - أخطاء إملائية :

١ - ص ١٥٧/س٧ : (بن عمران بن عطية) - الصواب هو (ابن عمران) لأن كلمة (ابن) الأولى جاءت في أول السطر، وقد تكرر هذا الخطأ في مواطن كثيرة ، ولعل مرد ذلك إلى جهاز الحاسب وقد ورد عكس ذلك وهو إثبات ألف (ابن) بين علمين .

٢ - ص ١٥٧/س١٠ : (اُلرَّسِيمِ) : والصواب حذف الضمة التي على ألف (أل)، ولعل المحققين أرادا همزة الوصل فلم يسعفهما الخط .

وهذه ظاهرة متكررة .

٣ - وصل كلمتين من حقهما الفصل (خاصة (ما) وَ (أو) .. وما شابههما من ذوات الحرفين) وهذه أمثلة :

* ص ١٨٨/س١٠ : قول الشاعر :

وأصبحت من هند على قرب دارها

أخا اليأس أوراجٍ قليلاً كأيس

(والصواب أن يكتب هكذا : أوْ راجٍ)

* ١٨٩/س٤ : قول الشاعر :

إذا ما دعا جنباءُ قال ابن ديسقٍ

لعالك فيها عاليا غير تاعس

والصواب : لَعًا لك .

* ص ١٩٠/س٧ : قول الشاعر :

إذا اطّربوا لم يخْفف داءُ ظهورهمْ

على ماربا من نحضها المتكاوس

والصواب : ما ربا .

* ص ١٩٢/س٩ قول الشاعر :

ولما رأيت الحيُّ ضبةَّ أطرقوا

على ما لقُوا من ذلةٍ وهوان

والصواب : ما لقُوا .

* ص ٣٤٢ / س٧ : قول البعيث :

أراني إذا فارقت هندا كأنني

دوَاسنة مما التقى في فؤاديا

وصوابه : دوَى سنةٍ ..

ونماذج هذا النوع كثيرة ، وفيما أوردناه ما يكفي بإذن الله .

٤ – رسم ألف الاسم المقصور :

– ص ٢٠٣/س٩ – ١٠ (فَرْتَنَا .. تُرْنَا) – صواب رسمهما هكذا : فَرْتَنَى .. تُرْنَى . وقد تكرر هذا الرسم في صفحات أخر (ص٢٢٧، ٢٥١، ٢٩١، ٢٩٢) . وقد التزم بيفان في طبعته بالرسم الوارد في النشرة الأخيرة .

– ص ٣٤٧/س٢ : يشبه ما سبق مع اختلاف الحكم رسمُ المحققين للفعل (أعْيا) هكذا : (أعي)، والصواب ما بيناه .

٥ – رسم الهمزة :

* ص ١٦٢/س٦ : سيِّء – صواب رسمه : سيِّئ (وتكرر في ص ٢٥٥) . ومثلها أيضًا (طيِّء) التي رسمها المحققان خطأ هكذا : (طيّء) حيثما وردت .

* ص ٢١٥/س٧ : (الضَّنْؤ)؛ وصوابه (الضَّنء) أو (الضِّنء) بفتح الضاد وكسرها، وهو النسل .

* ص ٢٥٥/س١٥ : كتبت كلمة (امرئ) (المجرورة) هكذا (امرىء) وصوابها ما كتبناه، فالهمزة على الياء. وقد تكرر هذا الرسم الخطأ في الكتاب (ص ٣٤٤، ٢٧٠، ٢٩٩، ٣٣٩. ٣٤٠) .

وكتبت في حالة النصب (ص ٢٣٦/س١٤، ٣٢٦) كذا (امرءاً) والصواب (امرأً) .

* ص ٢٣٩/س١ : (لم تجيء) – صوابه (لم تجئْ) . ومثله (لا تخطيءْ) وصوابه (لا تخطئْ) .

٣ – ضبط بنية الكلمة :

١ – ص ١٦٢/س٤ : (العَرْبَدُ) – والصواب العِرْبِدُ (بكسر العين ، وفي الباء الفتحُ والكسر) – انظر اللسان والقاموس (عربد) .

٢ – ص ١٩٨/س١١ : (الرَّير المخّ..) – صوابه : الرِّير (بكسر الراء الأولى) .

٣ – ترك المحققان ضبط الألفاظ المشكلة في نحو (ص ١٦٤/س٢ – ٣) وهو قول أبي عبيدة: "المرامي : السهام ، واحدتها مرماة ، والجفير والوفضة والقرن والجعبة واحدة، والكنانة مثله.."؛ ثم هو ذا بعد ضبطه : "المرامي : السهام ، واحدتها مِرْماة، والجَفِير والوَفْضة والقَرَن والجَعْبة واحد، والكنانة مثله .." .

٤ – ص ٢١٢/س١٣ : (.. حين استقُوا وسقُوا ..) والصواب (.. حين استقَوْا وسقَوْا ..) لفتح عين الفعلين .

٤ – حصل سقط في بعض الأبيات أو زيادة :

– ص ١٧٢/س٨ قول جرير :

فلو كان حلمٌ نافعٌ في مُقلَّدٍ

لما وَغِرت من جُرْمٍ صدورها

وصواب عجزه : لما وَغِرت من غَيْرِ جُرْمٍ صدورها .

– وكذا السطر ١٦/ قول الشاعر :

إذا قطعن حائلاً والمَرْتْ

فأبْعَد الله السُّوَيق الملتوتْ

وصواب صدره : إذا قطعن حائلاً والمَرُّوتْ .

– ص ٢٧١/س١٣ : قول النابغة الذبياني :

بجمعٍ كلون الأعبل الوَرد لونه

ترى فيه نواحيه زهيرًا وحذيما

وصواب العجز : ترى في نواحيه ..

– ص ٣٤٤/السطر الأخير : قول الفرزذق :

بأي أبِ المراغةِ تبتغي

رهاني إلى غايات عمي وخاليا

وصواب الصدر هو : بأي أبٍ يابنَ المراغةِ تبتغي .

– ص ٣٤٧/السطر الأخير : قول الفرزدق :

لدى قطَريات إذا تغولتْ

بنا البيدُ غاولنَ الحزومَ القياقيا

وصوابه صدره : لدى قَطَريّاتٍ إذا ما تغولت .

٥ – أخطاء في قراءة المخطوط أو اتباع لخطئه :

١ – ص ١٩١/س٥ في شطر رجز لجرير :

إن أبا خَرْدَةَ شيخٌ مُرْجَمُ

والصواب (إن أبا حَزْرَة ..) وهي كنية لجرير .

٢ – ص ٢٠٥/س١٠ : علق أبو عبيدة على بيت جرير:

ألا حييا الربع والقواء وسلما

ورَبْعا كجثمان الحمامة أدهما

فقال : (.. وشبّه الرَّبْع وما فيه من لون الرماد والدِّمنة وأثر مصبِّ اللبن وأثر بياض الأرض بريش القُمْرية لما فيه من السواد والبياض، أدهمُ رَبْعُ حديثُ العهد بالناس..) : والصواب (رَبْعٌ أدهمُ : حديث العهد بالناس ..) . وقد قال ابن منظور في اللسان (دهم) : "وربعٌ أدهم : حديث العهد بالناس" .

٣ – ص ٢٠٦/س١ : قول البعيث :

مَدْحَنا لها روْقَ الشباب فعارضتْ

جنابَ الصَبِّيَ في كاتم السر أعجما

وقد اضطرب ضبط كلمة الصبي) في هذه الصفحة فجاء على ثلاثة أشكال هكذا : (الصَبِّيَ) و (الصَّبي) و (الصِّبي) . وكلها خطأ .

والصواب : هو (الصِّبَا)، وقد فسره أبو عبيدة بالغَزَل.

٤ – ٢٢٠/س ١ : قول الشاعر :

فأوردتها ماءً كسى الدِّمْنُ فوقها

وريشُ الحمام كالسهام النواصلِ

هكذا كتبها المحققان (كسى الدِّمْنُ) ، والصواب (كسا الدمنُ) ، أو (كُسَا الدِّمْنِ) جمع كُسْوة .

٥ – ٢٤٤/ السطر الأخير : قول الراجز (هل أُقتَلَنْ إن قتلتُ ثأري) صوابه (هل أُقتلَنَّ ..) – بنون التوكيد الثقيلة – ليستقيم الوزن .

٦ – ص ٢٥٢ / س : (إنك ما عَمِلتُ لأنكدُ ..) – وصوابه (إنك ما عَلِمْتُ لأنكدُ) من العلم لا من العمل . وقد وقع الخطأ نفسه في طبعة لايدن واستدركه بيفان في التصويبات ٦١٦/٣ .

٧ – ص ٢٥٤/س : (فحمل الربيع بن زياد أحدُ بني عوف بن غالب ..) – تكرر الخطأ عند بيفان وفي هذه النشرة ، وقد عدله بيفان في التصويبات (٦١٨/٣)

إلى (بني عَوْذ بن غالب)، وهو الصواب؛ وبنو عَوْذ بن غالب بطن من عبس بن بغيض، ومنهم الربيع بن زياد الذي يتحدث عنه أبو عبيدة في هذه الصفحة .

(وانظر أيضًا : الاشتقاق، لابن دريد، ١/٢٧٧) .

٦ - ملاحظات فنية :

١ - ص ١٧٤/س٩ : لم يسود الشعر . (ومثله ص ٣١٥/س٢٠، ص٣١٦/س٨) . وقد التزم المحققان كتابة الشعر بلون أسود .

٢ - ص ٣٢٢/س٤ : هذا السطر ليس شعرا بل هو من شرح أبي عبيدة .

٣ - جعل المحققان ترقيم مقدماتهما (من ١ - ١٥٣) داخلا ضمن ترقيم الكتاب، ومن ثم بدأ نص أبي عبيدة في صفحة ١٥٧، وانتهى بصفحة ١١٢٨، وبعدها جاءت قائمة المصادر ثم الفهارس (ص ١١٢٩ - ١٣٠٦) . وكان الأولى ترقيم الكتاب ترقيمًا مستقلاً عن المقدمات .

٤ - لم يرقم المحققان أبيات القصائد، ولذا اختلطت على القارئ أبيات أوردها أبو عبيدة للشرح مع القصيدة التي هي مدار الحديث، أو طال الفصل بين أبيات القصيدة. ولا حاجة لسوق أمثلة . وتمتاز طبعة بيفان بترقيم أبيات النقائض وكتابتها بخط أسود . وإن الترقيم أو اختلاف الخط مما يعين على تتبع القصيدة التي انتثرت أبياتها في ثنايا الشرح .

وقد زاد الطين بلة عدمُ فصل المحققين بين بيتين أحدهما جيء به للشرح والآخر تابع للنقيضة (انظر مثلاً ص ٢٠٩ /س٣ ؛ ص ٢٣٧/ س ٨ ؛ ص٢٥٨ / س ١ ؛ ص٣٠٩/ س١ ؛ ص ٣٣٧ / س١٢؛ ص٣٣٨/س٣ .

٥ - تقسيم فقر الكتاب مختل ؛ وقد وجدت نصوصًا طويلة تتألف من فقرة واحدة ؛ من ذلك مثلاً ما في الصفحات : ١٧٩ - ١٨١؛ و ٢١٠ - ٢١٣؛ و ٢٣٠ - ٢٣١ ؛ و ٢٤٠ - ٢٤١ ؛ و ٢٥٢ - ٢٥٥ ؛ و ٢٨٢ - ٢٨٥) .

هذا ، وقد ذكر المحققان أنهما عنيا بعلامات الترقيم وببداية الفقرات ونهايتها (ص ٦٧) ؛ ولكنها عناية لا يصدّقها واقع الكتاب المنشور .

٦ - النصف الأول من ص ٢١٨ مكرور ؛ وهو موجود في الصفحة السابقة لها .

٧ - أحسب الناشر لم يوفق إلى اختيار الحجم المناسب للكتاب ولا الخط الجيد ولا الإخراج . وحسب القارئ أن يطلع على دقة الحرف (في غير مقدمة المحققين) . أما حجم الكتاب فهو ٢٢سم ×١٥سم ، وقد صفا منه للكتابة حوالي ١٧سم ×١٠سم ، وهو مدى يضيق عن استيعاب معظم الأبيات الشعرية ؛ وكان الأولى الالتزام بالحجم المعتاد للكتاب وهو في حدود ٢٤سم × ١٧سم، وذلك مما يعين على كتابة الشعر على نحو بيّن .

هذه بعض الملاحظات التي قيدتها من غير استقصاء، لأني قعد بي عن ذلك ما رأيتُه من كثرة الأخطاء على نحو يصعب معه إقامة الاعوجاج . وإني لآمل من المحققين الكريمين النظر مرة أخرى في التحقيق والحرص على إخراج الكتاب إخراجًا يبعث على الطمأنينة . وإلى أن يتم ذلك فإن طبعة بيفان - بكل ما بها من عيوب - أوْلَى من هذه الطبعة وأحقُّ بالثقة .

كتاب أدب النساء
الموسوم بكتاب «الغاية والنهاية»[1] لعبدالملك بن حبيب

إبراهيم السامرائي
مجمع اللغة العربية الأردني

سأبدأ كلامي على هذا الكتاب من أول صفحة فيه فأجد أول عنوان دعاه المحقق عبدالمجيد تركي [2] «تصديره» وفيه من كلام المحقق قدر صفحة، ثم كان بعد هذا «التصدير» شيء استهلك أكثر من مئة صفحة دعي «التمهيد» . أقول : وجملة ما نرى لدى الكتاب من هذا المصطلح كالتصدير والتمهيد والمقدمة والمدخل من الكلم الجديد الذي عرفته العربية المعاصرة، وهو من غير شك مما عُرف في الأصل في اللغات الغربية فكان لنا منه مادة جديدة . لقد كان لأهل التصنيف في تاريخنا مصطلح خاص هو خطبة الكتاب ثم المتن في فصوله وأبوابه، ثم خاتمة الكتاب . إن خطبة الكتاب القديم غير «المقدمة» الحديثة في عصرنا، ذلك أن خطبة الكتاب القديم لا تتجاوز بضعة أسطر كأن يقول فيها مثلاً : وقد بدا لي أن أصنف في هذه المسألة لحاجة طلبة العلم فرأيت أن يكون كتابي في بابين وخاتمة، وفي مثل هذا أو في أكثر منه يصل إلى مادته فيبدؤها.

ولكننا في عصرنا نتجاوز هذا في «مقدمة» الكتاب؛ بل قد تكون «المقدمة» كتاباً برأسه يتبعه كتاب آخر .

قلت : سأبدأ كلامي من أول صفحة، وها أنذا أعود إلى «تصدير» الكتاب فأقول :

إن عامة ما يكتب في عصرنا عربية جديدة هي «العربية المعاصرة»، ولو كان الكاتب في معرض انشغاله بمادة قديمة في الأدب والتاريخ وسائر أبواب المعرفة القديمة . غير أننا نلاحظ أن العربية المعاصرة قد تحمل طابعاً إقليمياً فأنت تميّز عربية أهل الشمالي الإفريقي عن عربية بلادنا في المشرق العربي .

وقد يكون لنا أن نميز أحياناً بين العربية التونسية والأخرى المغربية .

وأبدأ فأقول :

١ - ذكر المحقق في «تصديره» فقال في الصفحة (٥):

«كنا قد فكرنا في تحقيقه منذ سنوات عديدة إذ هو ينتمي إلى حقل الدراسات الأندلسية» .

أقول : أن «العديدة» و (العديد) تعني الكثير في عربيتنا المعاصرة، وهذا جديد، وهو مقبول ولكنه غير الدلالة القديمة لأن العديد هو «العَدَد» أي «المعدود»، قال الشاعر القديم :

تعيِّرنا إنّا قليل عديدنا

....

هذه المسألة الأولى في هذه العبارة، والثانية هي قول المحقق «إلى حقل الدراسات الأندلسية» .

أقول : إن استعارة «الحقل» ودلالته معروفة لما هو زرع وفلاحة إلى شيء آخر وهو «حيّز» الدرس أو نحو هذا، قد كان لنا مما وجدناه في اللغات الغربية كالفرنسية والإنكليزية .

٢ - وجاء في هذه الصفحة أيضاً :

«وهو بالإضافة إلى ذلك من الكتب النادرة، ندرة المؤلفات التي ترجع إلى فترة متقدمة» .

أقول : «الإضافة» مصدر الفعل «أضاف» أي زاد على الشيء، غير أن دلالتها في عربيتنا، القديمة كما عرفنا في الأدب والتاريخ تفيد «النسبة» في عربيتنا المعاصرة كقولنا : أن هذا الشيء بالنسبة للآخر قليل الفائدة .

أقول : إننا نجد هذه العبارة في الاستعمال القديم

كتاب العرش للذهبي

عبدالله بن صالح البراك
كلية التربية - جامعة الملك سعود

في عام (١٤٢٠هـ) طبع كتاب باسم : «كتاب العرش» في مجلدين للحافظ الإمام الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨) - رحمه الله - [١] .

وكنت من قبل في مثاني الدراسة والتحقيق لكتاب : «العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها»[٢] للحافظ الذهبي أشرت في مقدمة الدراسة (١٥٧/١) أن النسخة المخطوطة باسم : «كتاب العرش» وليست كتابًا آخر للذهبي في مسألة العلو، وإنما هي مسودة لكتاب «العلو» ثم بالنظر في مقدمة الدارس المذكور لكتاب العرش إزداد يقيني بهذه النتيجة الحكمية .

ولما كان الأمر كذلك ، وأن طبع المسودة مع وجود النسخة المبيضة التي تعبر عن الكتاب بصفةٍ نهائية ارتضاها المؤلف - رحمه الله - خلاف الجادة المطروقة لدى أهل العلم في الاستفادة من المؤلفات ونشر التراث، مع ما يصحب ذلك من اختلافات وفروق يحصل من ورائها التشويش على القراء ، لاسيما والموضوع يتعلق بالاعتقاد ، وفي أول ركن من أركان الإيمان : (الإيمان بالله سبحانه ، وما له جل وعلا من الأسماء الحسنى والصفات العلى)، رأيت أن أُبين للناس الحقائق العلمية الآتية :

أن للذهبي في العلو كتابًا واحداً، وأنه هو المعتمد عند العلماء، وأن لهذا الكتاب مسودة هي المطبوعة باسم : «العرش» وليست كتابًا ثانيًا للذهبي .

فإلى بيان هذه الحقائق الثلاث :

الحقيقة الأولى :

للحافظ الذهبي - رحمه الله - في مسألة العلو - علو الله تعالى على عرشه العظيم - كتاب واحد هو : «العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها» وهو الذي توالى الناس على طبعه واختصاره، وكان آخر اختصار له مطبوعًا هو للشيخ الألباني - رحمه الله - ، وآخر طبع للكتاب هو ما قمت بتحقيقه وطبعه في مطلع العام (١٤٢٠هـ).

الحقيقة الثانية :

هذا هو الكتاب الوحيد للحافظ الذهبي في مسألة العلو ، وليس له في هذه المسألة سواه، وهو الذي اعتمده العلماء بالنقل عنه على تتابع العصور باسمه أو باسم موضوعه ومضمونه فهي أسماء متعددة لكتاب واحد على الجادة في ذلك .

الحقيقة الثالثة :

هذا الكتاب في العلو له مسودةٌ منسوخة ملغاة بهذا الكتاب المعتمد الذي انتهى إليه جهد المؤلف الذهبي ، وهذه المسودة لم يعرِّج عليها العلماء بالنقل منها ، ولا العزو إليها، ولا سياقها في تعداد مؤلفاته، على جادتهم المحمودة في عدم الخلط والتكثر .

وبهذا يعلم أن طبع المسودة ، واعتبارها كتابًا ثانيًا، اختراق لِسنَن أهل العلم ومخالف لأصول النشر .

توضيح الحقيقة الأولى :

أولاً : من يستقرئ طريقة الإمام الذهبي في التأليف يظهر له حقيقة واضحة هي أن من منهجه أن يقوم بجمع مادة الكتاب أولاً ، وبعد جمعه يُنقح في الكتاب، ويزيد وينقص ، فيظهر الكتاب في نسخة أخرى ... .

يقول بشار عوّاد : «ومما يُثير الانتباه أن مختصرات الذهبي لم تكن اختصاراتٍ عادية يغلب عليها الجمود والنقل، بل إن المطلع عليها الدارس لها برويّة وإمعان يجدُ فيها إضافات كثيرة ، وتعليقات نفيسة، واستدراكات بارعة...» [٣] .

هذا في اختصار المؤلفات فكيف إذا ألف ؟ فهو المحقق الناقد المستدرك .

يقول عبدالستار الشيخ : «فكل كتب الذهبي كاملة ، أتم تصنيفها وأعاد - غالبًا - النظر فيها ، وهذه من أكبر ميزات كتب الإمام» [٤] .

ثانيًا : ذكرتُ هناك في مبحث «اسم الكتاب» (١٠٧/١) ما حاصله :

أن كتاب «العلو» للإمام الذهبي عرض لمسألة إثبات صفة العلو لله تعالى، وأورد ما يتعلق بهذه الصفة مثلُ إثبات الكرسي، والعرش، وما يلزم من إثبات صفة العلو مثل صفات الاستواء، والنزول ونحوها .

وابن القيم - رحمه الله - يُسمي الكتاب : «رسالته في الفوقية» «رسالته في السنة» وليست هذه الكتب أسماء لمصنفاتٍ للذهبي .

وبعض أهل العلم يسمى كتابنا «العلو» باسم «العرش» باعتبار موضوعه ومحتواه ؛ لأن الكتاب تناول مسائل في العرش والفوقية ونحوها .

وهذا الأمر متعارف عليه عند أهل العلم حتى نفس المؤلفين فإن بعضهم يسمّون كتبهم بأسماء متقاربة عن طريق الاختصار ، أو باعتبار الموضوع والمضمون .

ومثال ما قررته سابقًا : «كتاب السُنة» للإمام عبدالله ابن الإمام أحمد، بعض أهل العلم - ومنهم الذهبي - يُسميه «الرد على الجهمية» وهي تسميةٌ بمضمونه ومحتواه. انظر العلو (٨٧١/٢)، ومثل «كتاب التوحيد» من صحيح الإمام البخاري، انظر العلو (١١٥٠/٢) .

كما أن كتاب «العلو» وردت تسميته بـ «العرش» في أحد النسخ المعتمدة عندي في التحقيق . انظر النسخة رقم (٣) في العلو (١٥١/١) .

يُفهم من التمهيد السابق أن نقل أهل العلم عن كتاب وتسميتهم له بـ «العرش» لا يدل ذلك على أن هناك كتابين للذهبي، ولا أن مرادهم بـ «العرش» كتاب آخر عند العزو وهذا التنوع في التسمية هو الذي أوقع محمد بن خليفة التميمي في الوهم وحفزه على إخراج الكتاب .

ثالثًا : تسميةُ الكتاب :

قال في المقدمة (٣٤٧/١) إن المخطوط فيه عبارة «كتاب العرش للذهبي ...»، ولا أدري لماذا لم يُشر إلى أن في النسخ التي أمامه وردت تسمية أخرى للكتاب : في نسخة الآصفية «العرش والعلو» وفي آخرها «تم العرش والعلو»، وفي نسخة برنستون «العرش للذهبي في العلو»؟ وفي آخرها : تم كتاب الذهبية .

إذن هل نقول إن التسمية غير صحيحة، والكتاب منسوب إلى الذهبي ؟

الجواب :

ليس هذا المراد ؛ لكن الجزم بأن عنوان الكتاب هو العرش هو محل النظر ! ولهذا أقول ما الذي يمنع أن تكون هذه إحدى المسودات التي لم تحرر - وهذا هو رأيي - التي ألفها الذهبي قبل كتاب «العلو» انظر : مقدمة الكتاب (٦٩/١)، وميلي إلى هذا الرأي يعود إلى أني رأيت الاختلاف في تسمية الكتاب بما يوحي بأن المؤلف لم يسمِّ كتابه ، ثم إنه لا يوجد عندنا يقين في النسخ المتأخرة التي أمامنا حتى نقارن بين مقدمة الكتابين ثم نجزم ونقول : إنها مختلفة ... إذن كتاب العرش كتابٌ آخر غير الكتب التي أشار إليها الذهبي في مقدمة العلو ... كما فعل الأستاذ (ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ج١) فكل هذه أمور محتملة .

وسيظهر لك قوة هذا الرأي السابق إذا رأيت أنّ ما يتغنى به الأستاذ من اعتماد العلماء على «العرش» دون «العلو» غير صحيح .

ثم قال : «إن ابن القيم سمّاه «رسالته في الفوقية»

ولعل هذا تصرف من ابن القيم حيث أطلق عليه اسم مضمونه بدلاً من اسمه الصحيح» ٣٤٧/١ .

قلت : هذه عبارة لا تليق؟ وابن القيم أعرف بكتاب تلميذه، وهو أيضًا سمّاه بأكثر من اسم . انظر العلو (١٠٨/١) .

رابعًا : ذكر المحقق «توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف» (٣٤٨/١) .

ولابد من توضيح بعض المسائل :

أ - أما إثبات نسبته إلى الذهبي فلا شك في ذلك لكن الشأن في قيمة الكتاب العلمية .

ب - أورد جملة ممن ذكر الكتاب باسم «العرش» وهذا راجع إلى الفهم الذي فهمه من إيراد العلماء للكتاب بهذا الاسم كما وضحته لك قبلُ، فكلما وَجَدَ المحقق نصًا منسوبًا إلى العرش» للذهبي فَهِمَ منه أنه الكتاب الذي يحققه ؟

ج - وقفةٌ مع العلماء الذين ذكرهم نسبوا الكتاب إلى الذهبي :

- أما ابن تغري بردي فقد سمّى كتاب الذهبي بـ «العرش» فمن أين للمحقق أن المراد به كتابه ؟ لماذا لا يكون «العلو» ؟

- سبط ابن حجر في «رونق الألفاظ» وأعاد الاحتجاج به مرة أخرى في (٣٥١/١)، - ، والكتاب مخطوط

- وقال: إن سبط ابن حجر فرّق بينهما فذكر كتاب «العرش» باسم مستقل، وكتاب «العلو» باسم مستقل ... إلخ ما قال ... .

والجواب :

هذه عاقبة العجلة ، وعدم التثبت ، وهو في كل ما ذكر متابعٌ ومقلّدٌ لبشار عواد في كتابه عن الذهبي (ص ١٤٨) . وهو لم يقف على الكتاب ليعرف الحقيقة .

فقد رجعتُ إلى النسخة التي اعتمد عليها بشار عواد من «رونق الألفاظ» وهي نسخة المكتبة الخالدية بالقدس (لوحة ١٨٠) فقال حين ذكر مؤلفاته « ... وعدّة تواليف في السنة، وأحاديث الصفات ، وإثبات العلو وغير ذلك ..» لم يذكر غير ذلك، وأترك الحكم للقارئ الفطن ! انظر مقدمة العلو (١١٣/١) .

- بقي أن البغدادي (م سنة ١٣٣٩هـ) ذكر في هدية العارفين (١٥٤/٦) كتابين للذهبي فقال : «العلو للعلي الأعلى الغفار» ... ، ثم قال كتاب «العرش وصفته» .

ولا يمنع أن يكون كتاب «العرش» أحد مسودات كتاب العلو، وعلى كل حال لابد من عاضدٍ ممن سبق البغدادي، وفرّق بين الكتابين، أو نقل من هذا وذاك ، وغير خاف أن البغدادي - رحمه الله - متأخر كثير الوهم في كتابه هذا.

توضيح الحقيقة الثانية :

أولاً : قال ابن القيم «اعتمد في كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية» على كتاب «العرش» فيما نقله من نصوص عن الذهبي، ولم يعتمد على كتاب «العلو» ... » ومثّل بمثالٍ واحد (٣٤٨/١ - ٣٤٩) .

الجواب :

كلُ هذا الكلام دعوى من غير دليل، ولا أدري لماذا يستخدم عبارات الجزم في مثل هذه المسائل الاجتهادية .

إن من يقرأ النص السابق ويتأمله يدرك أن هذا القول لايمكن أن يقوله إلا عالم محقق مدقق سبَرَ غور الكتابين ، ولا أبالغ إذا قلت : إن هذا الجزم لا يتأتى إلا لتلميذ أحد المؤلفين، أو من جاء بعدهم .

والآن إلى توضيح ما ذكر :

أ - ابن القيم - رحمه الله - نَقَلَ من كتاب «العلو» في عدة مواضع وهذه مواضعها : (١١٠، ٢١٧، ٢٣٢، ٢٥٠، ٢٦٨، ٣٠٧) . ولم يُسم في أي موضعٍ منها الكتاب باسم : «العرش» فكيف تأتى لك الجزم بأنه نقل من كتابك!.

وإليك المواضع :

قال : «حكاه محمد بن عثمان في رسالته في السنَّة».

وقال : «حكاه عنه محمد بن عثمان في رسالته في الفوقية» .

وقال : «قال محمد بن عثمان في رسالته في العلو» .

ب - أما المثال الذي فرحت به وهو قول الحافظ عبدالوهاب الوراق كما في هامش كتاب العرش (٢٥٢/٢) رقم : (٤) إلخ ... ما دلل عليه .

فإليك أخي النقل لترى :

١ - قال ابن القيم «قول عبدالوهاب الوراق أحد الأئمة الحفاظ، أثنى عليه الأئمة، قيل للإمام أحمد - رحمه الله - من نسأل بعدك ؟ فقال : عبدالوهاب ...» ثم بعد أن حكى قوله قال : «صحَّ ذلك عنه، حكاه عن محمد بن (٥) عثمان في «رسالته في الفوقية» وقال : ثقة حافظ روى عنه أبو داود والترمذي والنسائي . مات سنة خمسين ومائتين» ا. هـ من «اجتماع الجيوش» (ص ٢٣٢) .

٢ - قال الذهبي في «العلو» بعد أن ذكر قول عبدالوهاب : «كان عبدالوهاب ثقة حافظًا، كبير القدر، حدّث عنه أبو داود والنسائي والترمذي، قيل للإمام أحمد من نسأل بعدك ؟ قال : سلوا عبدالوهاب وأثنى عليه، توفي سنة خمسين ومائتين» إ . هـ (١١٧٧/٢) .

٣ - وقال في «العرش» «عبدالوهاب هذا ثقة حافظ، روى عنه أبو داود والترمذي والنسائي مات سنة خمسين ومائتين ، وقيل للإمام أحمد من نسأل بعدك ؟ فقال : سلوا عبدالوهاب ، وأثنى عليه في غير موضع» إ . هـ (٢٥٢/٢).

فهل ترى - أخي القارئ - ثم فرقًا يُوجب الجزم والحزم الذي فعله المحقق .

ثانيًا : وممن نقل عن كتاب «العرش - كما ذكر في المقدمة - الإمام السفاريني (م سنة ١١٨٨هـ)، (٣٤٩/١) ومثل بمثال من كتاب «لوائح الأنوار» ومثالٍ من «لوامع الأنوار» .

والجواب :

أ - أن المحقق إذا وجد نقلاً لأهل العلم باسم «العرش» لا يفهم منه إلا الكتاب الذي يُحققه، وأهل العلم يتجوزون في التسمية ليس إلا .

ب - النقول التي ذكرتها موجودة في كتاب «العلو» أيضًا فما جوابك ؟ وأبلغ منه .

ج - هناك نصوص عند الإمام السفاريني نَسَبها «للعرش» . وهي في كتاب «العلو» وليست في نسختك : «العرش» فما جوابك عن هذا ؟

د - إليك أخي القارئ بيان ما أجملته في الرد فيما سلف :

١ - في لوائح الأنوار السنية (٣٥٦/١) النقل لا يتطابق مع كتاب «العرش» (١٧٨/٢) بل هو موافق لما في كتاب العلو (٩٣٥/٢ - ٩٣٦) من ذكر كتاب «الفاروق» . وسمّى كتاب الذهبي : العرش .

٢ - ذكر من التوثيق «لوامع الأنوار» (١٩٦/١) وللفائدة هذا الموضع ليس فيه أي نقل بل ذكر اسم الكتاب فقط .

٣ - والآن أطلع القارئ على مواضع أُخر :

- في «لوامع الأنوار» (١٠٩/١) نقل قولين لأبي المعالي الجويني وهما في العلو (١٣٤٣/٢، ١٣٤٥) وليسا في كتاب «العرش» مع أن السفاريني سمى الكتاب : بالعرش؟

- وفي لوامع الأنوار» (١٩٢/١) نقل عن الذهبي وهو يتطابق تمامًا مع ما في العلو (٢٤٩/١) . ويختلف عند المقارنة مع العرش (٢١/٢ - ٢٢) .

ثالثًا : ومما نسي إيراده محقق كتاب «العرش» وهو يردُّ دعواه : (أن أهل العلم اعتمدوا على العرش دون العلو...» .

- كتاب «تنزيه الشريعة المرفوعة» للحافظ ابن عراق (م سنة ٩٦٣هـ) فقد نقل من كتاب «العلو» وسماه «العرش» وإليك التوضيح :

١ - ذكر ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١٤٦/١ ح٣٣) حديث أبي أمامة ثم قال : وقال الذهبي في كتاب «العرش» حديث أبي أُمامة : إسناده وسط .

وهو في «العلو» (٨٥٨/١ ح ٢٨٤) . وليس في كتاب العرش ؟

٢ - ذكر ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١٤٨/١ ح٤١) حديثٌ كذبٌ ، ثم قال في آخره : قلت : وكذلك رواه الحافظ الذهبي في كتاب «العرش» مُسَلْسلاً من طريق أحمد بن الحسن بن محمد المكي ... ثم قال : هذا حديث باطل، وأحمد المكي كذاب رويته للتحذير منه» .

وهو في العلو بنصه (٤٥١/١) وليس في كتاب العرش؟

فهل يُفهم من هذه النصوص أن الأئمة ينقلون من كتاب غير «العلو» لأنه ليس في نسختك «العرش» يا سعادة الدكتور ؟ ! .

٣ - ذكر ابن عراق في تنزيه الشريعة (١٤٧/١) حديث أنس - وهو موضوع - ثم قال : «قال الذهبي في كتاب العرش : وبشرٌ لا يدري من هو ؟ ولعل هذا موضوع» وهو في العلو تماماً (٦٩٨/١ ح ١٩٧) .

وفي العرش» (٣٢٨/٢) ما يأتي : قلت : والحديث المذكور عن بشر عن أنس لا يثبت .

والفرق ظاهر لكل ذي عينين .

توضيح الحقيقة الثالثة :

أولاً : ذَكَرَ في المقدمة الفرق بين كتاب العرش والعلو... (٣٥٠/١) وملخص ما ذكر :

١ - أن هناك لبساً وقع فيه بروكلمان، وبشار عوّاد لكونهما لم يقفا على كتاب العرش ... وكذلك الشيخ الألباني - رحمه الله - .

٢ - اعتمد في تفريقه على سبط ابن حجر في كتابه «رونق الألفاظ» ... وقد علمتَ فيما مضى وهمه فلا حاجة للإعادة .

٣ - لم تَسْلَم له حجة إلا تفريق البغدادي المتوفى سنة ١٣٣٩هـ، وسبق الكلام على البغدادي .

- وينبغي أن يعلم أني لا أنكر صحة نسبة الكتاب إلى الذهبي ولكني أنازعه في قيمة الكتاب العلمية ، وأذكر له بعض الاعتراضات التي ترد على عنوان الكتاب، وسأعرض لك أخي القارئ الفرق بين الكتابين من جهة عدد الأحاديث والآثار، وتباين أحكامه، واختلاف ترتيب مادة الكتاب، وخاصة فيما يتعلق بعقائد الأئمة مما يدل دلالة واضحة لا لبس فيها أن كتاب ، «العرش» متقدمٌ على كتاب «العلو»، وأن «العرش» مسودة للمؤلف ثم نقح المؤلف الكتاب ورتبه وزانه بتعليقات مفيدة هي كتاب «العلو» وهي خلاصة ما استقر عليه منهج الذهبي الذي عرف عنه من كونه ناقداً للأسانيد والمتون، وعلى ضوء ما سترى فالأولى - عندي - الاعتماد على كتاب العلو ؛ لأنه يغني عن كتابه الآخر .

- والآن إلى بيان الفرق بين الكتابين فكن منتبهاً للمقارنة بين أحكام الإمام الحافظ المحدّث أبي عبدالله الذهبي :

١ - عدد الأحاديث في «العلو» تزيد على ٢٢٧ حديثًا .
- وفي كتاب العرش : ٧٦ حديثًا .
٢ - أقوال التابعين في العلو ٤٥ قولاً .
- وفي كتاب العرش : ٢٩ قولاً .
٣ - أقوال الأئمة في العلو : ١٥٢ قولاً .
- في العرش : ١٠٧ أقوال .

ثانيًا - تباين أحكام الذهبي على الأحاديث :

وهذه المسألة لابد من النظر إليها بعين البصيرة، فإن أي طالب علم مبتدئ لا تخفى عليه بعض المتون والأسانيد المنكرة المستغربة فكيف بعالمٍ ناقدٍ كبير مثل الحافظ الذهبي؟ فمن المغالطة القول بأن كتاب «العلو والعرش» يكمل بعضهما الآخر ... .

والحق أن الإمام الذهبي جمع الكتاب - وهو العرش - أولاً وقد نجد كلامه على بعض العلماء أو زيادة في التعليق ونحو ذلك، ثم نقّحه وصححه في النسخة الأخيرة وهي كتاب «العلو» وسأعرض لك مقارنة لايشك فيها عاقل بأن النص الثاني متأخر عن النص الذي قبله بل ناسخٌ له، بل سترى في بعض الأحكام تناقضًا ! وقد ظهرت هذه المشكلة عنده في ذكر للمقابلة بما في كتاب «العلو» عند التعليق على «العرش» في الهامش لكنه لم يكترث لما يرى ولم يفعل أي شيء ؟ والآن إلى بيان ما عنونت له :

١ – قال في «العرش» (٢/٢٨ ح١٩) بإسناد حسن .

– وقــال الذهـبي «فـي العلو» . (١/٤١٣ ح٦٥، ٦٦) : «حديث جبير بن مطعم : هذا حديثٌ غريبٌ فردٌ» .

٢ – قال في «العرش» (٢/٣١ ح٢١) : «بإسناد صحيح عنه» .

– وقـال في «العلو» (١/٢٦٩ ح١٠) : «وهو مـرسلٌ تفرد به أُسامة» .

٣ – وقال في «العرش» (٢/٤٧ ح٤٠) : «وبإسنادٍ صحٍّ» .

– وقـال فـي «العلو» (١/٣٧٩ ح٥٦) : «ليس إسناده بقوي» .

٤ – قال في «العرش» (٢/١١٠ ح٩٤) لم يحكم عليه بشيء! وانظر هامش المحقق رقم (٩) ص ١١١ لترى عجبًا .

– وقــال في «العلو» (١/٣٤٣ ح٤١) : هذا حــديثٌ منكر، ولعل محمد بن كثير افتراه ... ولم أرو هذا ونحوه إلا للتزييف والكشف ، والفرّاء ليس بثقة .

٥ – قال في «العرش» (٢/١٣٨ ح١١٧) بأسانيد صحاح ؟

– وقال الذهبي في «العلو» عن قول ام سلمة – رضي الله عنهـا – في الاسـتـواء ... (١/٦٣١ ح١٦٥) : فـأمـا عن أم سلمـة فـلا يصح، لأن أبا كنانة ليس بثقة، وأبو عمير لا أعرفه .

٦ – قـال في «العـرش» (٢/٤٧ ح٤٠) وبإسناد صح عن زائدة .

– وقـال فـي «العلو» (١/٣٨١ ح٥٧) ذَكَرَ حـديث الشفاعة ثم قال : زائدة ضعيف، والمتن بنحوه في الصحيح للبخاري .

٧ – وفي «العرش» (٢/١٦٢) لم يحكم عليه بشيء ! .

– وفي «العلو» (٢/٨٩٠ ح٣٠٦) ذكـر قـول لوهب بن منبه، ثم حكم عليه بالآتي : هذا أحسبه من وضع غُلام خليل، وهو كلامٌ ركيك .

٨ – قال في «العرش» (٢/١٠٠ ح٨٥) تفرد به عثمان بن عطاء الخراساني فقط .

– وقـال في «العلو» (١/٥٥٦ ح١٢٧) حـديث باطلٌ طويل ... .

٩ – وقال في : «العرش» (٢/٩١ ح٧٥) : «لم يحكم عليه».

– وقال في «العلو» (١/٥٣٤ ح١١٧) : «هذا حـديثٌ منكر لا يثبت مثله، ونجمٌ لا أعرفه» .

١٠– قـال في «العـرش» (٢/١٤٨ ح١٢٢) : «بإسناد صحيح» ! .

– قـال في «العلو» (١/٥٥٤ ح١٢٦) : «أبو حـذيفـة كذّاب» .

ثالثًا : نظراتٌ في التحقيق :

عمل الأخ التميمي على إيهام القارئ بوضع عناوين في صلب الكتاب وليست منه، فيوهم القارئ أن ما يراه من تقسيم المؤلف وبراعته في تحسين التأليف وضبطه .. وترتّب على هذا الإدخال فسادٌ في اللغة ينزه عنه المؤلف أبو عبدالله الذهبي – رحمه الله – والأصل خلوٌ من هذا كله، والكتاب كله سردٌ دون عنوانات إلا في النادر ودونك التوضيح :

١ – قال في «العرش» : «الأدلة من القرآن» (٢/٧). وليست من عمل الذهبي .

٢ – قال : «الأدلة من السنة» (٢/١٩) . وليست من عمل الذهبي .

٣ – قال : «أقوال الصحابة» (٢/١٢٣) . وليست من عمل الذهبي .

٤ – ثم عمل التميمي عملاً في النص المحقق بما لايقبله صاحب ذوق سليم، أكثر النظر في كتب أهل العلم، يتلخص في ما قام به من وضع ترجمه الصحابي ، والتابعي ، وبقية الأئمة الذين ذكرهم الذهبي في مستطيل صغير قبل ذكر القول على هذه الهيئة .

أبو بكر الصديق – رضي الله عنه –

ثم يأتي النص بعده هكذا : قول أبو بكر الصديق – رضي الله عنه –

وهذا تكرار لا يستساغ فلو فعله في الحاشية أو في الفهرس لكان مقبولاً .

ثم يتكرر الفعل

| عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - |

، ثم قال الذهبي : وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - ... وهكذا .

وفي مواضع يزيد المحقق سنة الوفاة ؟

واضطرب المحقق حينما ذكر الذهبي أكثر من قول لأحد العلماء في عدة مواضع فيضع ترجمة العالم مرتين؟ لأجل الإدخال الذي التزمه .

انظر الفعل المستنكر : (١٤٧/٢ و ١٤٩) ، (١٧٥/٢ و ١٧٩) و (١٩٤/٢ و ٢٠٣) (٢٨٧/٢ و ٣٠٤) .

- وإذا نظرت في كتاب العلو» وجدت العنوانات المتنوعة لأقوال التابعين ومن بعدهم من الأئمة .

قال الذهبي «وسترى أقوال الأئمة في ذلك على طبقاتهم بعد سرد الأحاديث النبوية» . ولما انتهى من سرد الأحاديث قال :

«ذكرُ ما اتصل بنا عن التابعين في مسألة العلو (٨٦٣/٢)، ثم سرد طبقات الأئمة مرتبة وعددها ثمان طبقات ... وبعد ذكر عقيدة الإمام يورد ثناء العلماء عليه، ثم يختم الترجمة بذكر سنة الوفاة، كل ما سبق لا تجده في كتاب العرش .

رابعًا : أورد الذهبي في كتاب العرش (٣٠٣/٢) قولاً لابن غانم المقدسي - ولم أجد له ترجمة - وهو في عدة أبيات ، وفيه بعض الأبيات المنكرة المستغربة ، وحينما خرج المحقق القصة ذكر أن الأبيات بتمامها حُكيت في قصة وقعت بين الزمخشري والغزالي؟؟ فرد عليه بهذه الأبيات ، وهذا يفسر لك بعض الألفاظ الواردة في الأبيات. انظر شرح الجوهرة للبيجوري (ص ٩٢ - ٩٣) .

ولقد أحسن الذهبي صنعًا لما لم يورد الترجمة في كتاب العلو .

الخاتمة :

تلك كانت ملحوظاتي على كتاب «العرش» وهي في حقيقتها أدلة وحجج تُثبت بيقين أن هذا الكتاب إنْ هو إلا مسودة أولية لكتاب «العلو» الذي استقرَّ عليه، والعبرة بما استقر عليه المؤلف في آخر أمريه ، والله أسأل سداد القول والعمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

الهوامش

١ - طبع بتحقيق محمد بن خليفة التميمي، الجزء الأول : خصّصه المحقق لأقوال الناس في العرش، وقد نشره قبل في مقدمة رسالته لتحقيق كتاب «العرش» لابن أبي شيبة ، والجزء الآخر من الدراسة ذَكَرَ أقوال المعطلة في أسماء الله وصفاته وقد نشره قبل في سلسلة «دراسات في مباحث توحيد الأسماء والصفات» .

والجزء الثاني : خُصص لكتاب العرش ؟

٢ - نشر في مجلدين ، وطبع في دار الوطن بالرياض، وهو موضوع رسالتي العالمية العالية (الدكتوراه) .

٣ - الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام (ص ١١١)، طبع عيسى البابي .

٤ - الحافظ الذهبي ، تأليف عبدالستار الشيخ، (ص٣٤٥)، طبع دار القلم .

٥ - قام محقق ؟ كتاب : «اجتماع الجيوش الإسلامية» بزيادة : (أحمد) في هذا الموضع وليست في جميع النسخ، بحجة أنها سقطت من النُساخ ؟ كرره في (ص ٢٥٠) وتابعه محقق العرش، والاسم صحيح، فابن القيم نسبه إلى جَده، وهذه سنة معروفة عند أهل العلم، وابن القيم - رحمه الله - يستعمل هذه الطريقة عند استشهاده بكلام تلميذه وبلدية : انظر : جلاء الأفهام ص ٢١ ج٢٠ .

وكتاب «فوائد حديثية» (ص : ٣٣، ٥٦، ٥٨، ٧١، ٧٥) .

مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي لمحمد عزام

محمد سليمان حسن

أمين تحرير مجلة المعرفة – دمشق

عزام ، محمد / مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي .- دمشق : وزارة الثقافة السورية ، ١٩٩٦م .- ٥٩٠ص .- (سلسلة إحياء التراث العربي ؛ ٩٩) .

صدر حديثاً عن وزارة الثقافة السورية ، وضمن سلسلة إحياء التراث العربي، الكتاب (٩٩) تحت عنوان «مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي» لمؤلفه الأستاذ «محمد عزام» الكتاب من إصدارات عام ١٩٩٦م ، ويقع في (٥٩٠) صفحة من القطع الكبير .

لقد انصبت الجهود منذ القدم بداية ، على الكتابة والتدوين ، لحفظ المشافهة التي هددت بالاندثار لطول الزمن . وعمل الفكر العربي منذ بداياته التدوينية على حفظ ما قيل ، إيمانًا منه بجهد لابد أن يتواصل في المستقبل ليحكم عليه ، بنقده ، وتبيان قيمته . ويرى الباحث أن مثل هذه الدراسات النقدية لم تنشأ في الفكر العربي إلا في القرن الأول الهجري ، مبدعين في ذلك ما أمكن من الدراسات . أما في النقد الأدبي العربي الحديث والمعاصر ، فقد نشأ مثل هذا النوع من الدراسات ، مع بدايات الاطلاع على المدارس النقدية الأوربية ، وعملية التلاقح الفكري التي تمت مع الغرب بدايات عصر النهضة العربية . لقد كانت البداية إحياء ونشرًا للتراث برمته ، وبما تتيسر به السبل ، ثم بدأت عملية التقييم والنقد لهذا التراث ، محاولة لاستخلاص قيم ومعارف ، باستخدام التطورات في مناهج النقد الأدبي الحديث .

وكما قلنا سابقًا ؛ فإن النقد الأدبي قديم قدم تراثنا . أبتدئ فيه بالشعر والشعراء ، ولا عجب ؛ فالشعر ديوان العرب وحياتهم ، محاولة لتقويم النوق الشعري ، بما هو مبنى ومعنى ، بما هو انفعال وتأثر ، قواعد لإثبات موجودية ذلك .

ومع القرن الأول الهجري ، واكب الأدب العربي التطورات في البيئة العربية ، فعبر عنها خير تعبير ، مما انعكس على خصائصه وموازينه . وكذلك تجدد النقد الأدبي مع تجدد الأدب ، فظهرت دراسات عدة اهتمت بالجانب اللغوي والنحوي والعروضي ، كما ظهرت دراسات اهتمت ببيئة الفرد ، والجديد مما يُعنى بأحوال الشاعر النفسية في العملية الإبداعية .

مع القرن الثالث الهجري واتساع رقعة الدولة ، واتساع أفق الثقافة ، وتحصل العرب على تقاربات ثقافية مع الأمم الأخرى بوسائل عدة ، تعددت مدارس النقد . وبخاصة بعد دخول الفكر برمته عملية إبداعية في خلق النص ، وتداخل فروع المعرفة جميعها في تشكيل المبنى والمعنى الذي يقوم عليه النص . إذ أصبح من اليسير أن تتضافر جهود الفلسفة والمنطق والبلاغة والعروض في تشكيل نص شعري . مما انعكس كله على عملية النقد

الأدبي . فظهرت دراسات من مثل : دلائل الإعجاز ، أسرار البلاغة ، الموازنة ، دراسات في النقد الأدبي من مثل المتبني وخصومه ، ومقارنات كماهي للآمدي بين البحتري وأبي تمام .

مع هذا التطور في الأدب والفكر انبثق المصطلح النقدي . الذي يستعير فيه الباحث محمد عزام رؤية قدامة ابن جعفر له قائلاً : «هو أداة من أدوات التفكير العلمي ، ووسيلة من وسائل التقدم العلمي والأدبي ، وهو قبل ذلك لغة مشتركة ، بها يتم التفاهم والتواصل بين الناس عامة ، وعلى الأقل بين طبقة أو فئة خاصة ، في مجال محدود من مجالات المعرفة والحياة» . (مقدمة الكتاب) .

ويرى الباحث أن للمصطلح علمه وفروعه ، ويوزعه على، المعنى الاصطلاحي والاستعمالي والمعجمي . وما يقصده بالمصطلح النقدي يشمل بين طياته : النقد والبلاغة والأدب والعروض والقافية .

ويرى الباحث ، أنه أثناء إعداده للكتاب ، لم يحض بالكثير من الدراسات المعاصرة للمصطلح النقدي في التراث العربي ، تعينه على تبيان حدود كتابه وموضوعه ، مما دفعه للاجتهاد كثيراً ، لكنه لم يعدم مثل هذه الدراسات كلية . ويذكر منها : قدامة بن جعفر والنقد الأدبي لبدوي طبانة . ومفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ لميشال عاصي . ومصطلحات بلاغية لأحمد مطلوب . ومصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب الجاحظ البيان والتبيين للشاهد البوشيخي . ومفردات النقد والبلاغة عند قدامة لأحميدة النيفر ، والمصطلح النقدي في نقد الشعر لقدامة لإدريسي الناقوري . ويرى الباحث أن معظم هذه الدراسات أكاديمية في محتواها .

أما المنهج الذي اتبعه الباحث في الكتاب فيقوم على عدة خطوات هي : رصد المصطلحات وتعريفها وشرحها ، وإعطاء صورة عن المصطلح النقدي في نشوئه وتطوره عند العرب حتى القرن التاسع الهجري ، معتمداً على المصادر المطبوعة والمخطوطة ، متبنياً أصحاب الدراسات التطبيقية والنظرية . وكل من له نشاط في العلوم المساعدة للأدب والنقد.

وقد شمل جمع المصطلح القضايا التالية : الإحصاء والمقارنة والدراسة ، متيقناً جوانب ثلاثة في بحثه (لغوية وتاريخية ونقدية) . ثم مقارنة النصوص مع بعضها بعضاً، لإدراك التطور من تحويل وتحوير في المفهوم أو الاستعمال.

وقد رتبت المصطلحات في الكتاب ، ترتيباً ألفبائيّاً معتمداً اللفظ . والبحث في عمومه جهود مشكورة ، وعمل قيم ، وخطوة على طريق المعجم النقدي الشامل في تراثنا.

تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين

حتى نهاية العصر العباسي

رسالة ماجستير لعمار نصار

تحتل السيرة النبوية مكانًا بارزًا في ثقافة المسلم، لأنها من الأولويات التي ينبغي له معرفتها لفهم المراحل التي مرت بها الدعوة الإسلامية، فضلاً عن الإلمام بطبيعة الظروف والإرهاصات التي سبقتها وعوامل نشأتها ، وإسهام هذه الأمور مجتمعة في تكوين شخصية النبي ﷺ من مولده إلى أن التحق بالرفيق الأعلى واكتساب هذه الشخصية صفة القداسة والاحترام المطلق عند المسلمين .

ولدت مكانة سيرة الرسول ﷺ حافزاً لدى المسلمين على توثيق كل صغيرة وكبيرة في حياة هذه الشخصية العظيمة، امتثالاً لما أمر الله عباده باتباع رسوله ، وعدّه القدوة والمثال الذي يجب الاقتداء به ، وذلك بقوله سبحانه وتعالى في محكم كتابه ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (١) ، ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (٢) .

لأجل ما تقدم كان التراث الفكري لسيرة الرسول ﷺ وأفعاله وأقواله ثرًا ، ولثراء هذا التراث قام أحد الباحثين بوضع معجم يتضمن أسماء المصنفات التي كتبت عن سيرة الرسول ﷺ وأحواله وأفعاله وأقواله ومتعلقاته الأخرى (٣) .

دفعني هذا الثراء بالتصنيف في سيرة الرسول ﷺ وأحواله وامتلاء المكتبات العامة والخاصة بهذا التراث إلى أن أتأمل ما إذا كان بالإمكان رصد التطور الحاصل في أساليب ومناهج هذه المصنفات بمختلف صورها والوصول بذلك إلى معيار شمولي يبين المناحي التي كتبت بها سيرة الرسول ﷺ والجوانب التي خصها المصنفون بالعرض منها دون غيرها من جوانب السيرة الأخرى، أو التركيز في جانب دون آخر، وتشكيل هذه المصنفات مجتمعة الهيكل العام لسيرة الرسول ﷺ الذي من خلاله رصدنا التطور الحاصل في كل مصنف من هذه المصنفات وأثره وفعاليته في هذا الهيكل من حيث التجديد في طرح الروايات ومناقشتها أو التوسعة في سرد الأحداث أو اختصارها .

وصلت إلى القناعة بجدوى الشروع برصد التطور الحاصل في كتابة السيرة النبوية بدراسة شاملة تنتهي بنهاية العصر العباسي أسميتها (تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي)، بعدما وجدت المكتبة العربية تفتقر إلى دراسة أكاديمية من هذا النوع – على حدود إطلاعي المتواضع – وإجابة العديد من الأساتذة المختصين بمثل هذه المواضيع عن افتقار الدراسات الأكاديمية – على حدود علمهم – التي تناولت رصد التطور الحاصل في كتابة السيرة إلى نهاية المدة التي حددتها في هذه الدراسة، فلم تكن هنالك دراسات تناولت هذا الجانب إلا بعض الدراسات التي ناقشت جوانب من مصنفات السيرة في مدة محددة بقرن أو قرنين فقط . فمن هذه الدراسات ، دراسة المستشرق الألماني يوسف هوروفتس (المغازي الأولى ومؤلفوها) ، ودراسة عبدالعزيز الدوري (بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب) ، ودراسات أخرى سارت على منوال هاتين الدراستين ولم تخرج من الفلك الذي دارت فيه، وقد أشرنا إلى هذه الدراسات في قائمة المصادر والمراجع . ونهج باحثون آخر إلى أخذ قسم من مصنفات السيرة والمحاور التي تضمنتها هذه المصنفات، مثل دراسة عبدالعزيز

الدوري عن سيرة الرسول ﷺ ومؤلفها ابن إسحاق التي أكملتها دراسة حسن الحكيم التي بين فيها ريادة محمد ابن إسحاق في كتابة السيرة النبوية وإردافه هذه الدراسة بدراسة أخرى عرض فيها منهج ابن الجوزي في كتابة السيرة النبوية بكتابه (المنتظم)، وخصص محمد فضيل الكبيسي دراسة مستقلة لمحمد بن عمر الواقدي وكتابه المغازي عرض فيها منهجه وموارده في الكتاب، فضلاً عن وجود دراسات أخرى تناولت تقويم بعض مصادر السيرة مثل دراسة فاروق حمادة (مصادر السيرة وتقويمها)، ودراسة أخرى سارت على منوالها ولكن لمصنفات محدودة في عصر معين وهي دراسة محمد عطا الله سلمان (مقاصد المؤرخين المسلمين في كتابة التراجم والسير في القرنين الثاني والثالث الهجري) ، فضلاً عن وجود دراسات أخرى تناولت مناهج المؤرخين التي تناولتها دراساتهم لهؤلاء المؤرخين، مثل دراسة المستشرق روزنثال (علم التأريخ عند المسلمين)، ودراسات أخرى أثبتناها في قائمة المصادر والمراجع .

ولما كان التراث الفكري لسيرة الرسول ﷺ ثرًا آليت أن أحصر هذا التراث بمدة محددة جعلتها نهاية العصر العباسي ؛ إذ كان لاختيار نهاية هذا العصر دافع ملموس، تمثل بكون المؤرخين ومصنفي السيرة خاصة قد استترفوا معظم الأنماط والمحاور الكتابية لسيرة الرسول ﷺ بالقول: "إن أكثرها كان جمعًا لروايات مختلفة أو قبولاً لبعض الأساطير المتأخرة ، وربما كان أيضًا شرحًا لبعض الألفاظ والمناسبات أو نظمًا لأحداث السيرة أو تلخيصًا لها" (٤) .

ساعدت هذه الأمور مجتمعة على تكامل فكرة الموضوع والشروع فيه لما له من أهمية بارزة في مجال الدراسات التأريخية من حيث إن سيرة الرسول ﷺ كانت إحدى الركائز التي استندت عليها كتابة التأريخ عند المسلمين ودخلت في معظم صورها المتنوعة، فضلاً عن ذلك إن هذه الدراسة تعطينا إيضاحًا للدوافع التي كتبت من أجلها بعض مصنفات السيرة، وأثر العصر في تطور كتابة كل منصنف من هذه المصنفات ، مع تبيان المناهج التي كتبت بها واستقلاليتها بسيرة الرسول ﷺ أو شموليتها لباقي الحوادث الأخرى مع إبراز طبيعة الروايات التي حوتها كل من هذه المصنفات مقارنة بسابقتها من حيث قوة الرواية أو ضعفها ودرجة اعتماد من تأخر عنها، وأقوال العلماء في كل مصنف من هذه المصنفات إن وجد.

ولما كان لكل دراسة مشاقها وصعوباتها فقد تكالبت عليَّ صعوبات جمة، كان أهمها بقاء العديد من مصنفات السيرة وجوانبها مخطوطًا في خارج القطر مما يصعب الحصول عليه للتكاليف الباهضة في تصويره، والذي خفف من حدة هذه الصعوبة ، أن هذه المصنفات كانت من المصنفات المتأخرة التي لم يكن لها أثر يذكر في المصادر التي أتت بعدها ، مع وجود مصنفات مشابهة لها في المسلك والمنحى والجانب الذي تناولته من سيرة الرسول ﷺ قد وصلت إلينا كانت أكثر أهمية منها والدليل على ذلك شدة اهتمام العلماء بها قياسًا بقريناتها . وحاولنا عرض هذه المصنفات وإسهاماتها في تطور كتابة السيرة، والصعوبة الأخرى التي واجهتني هي طبيعة البحث نفسه الذي تطلب مني جهداً ووقتًا مضاعفًا في سبيل إكمال فقراته التي تحتاج إلى قراءة شاملة للكتاب الذي يعرض سيرة الرسول ﷺ وجوانبها المتعددة حتى أخرج بمحصلة نهائية لكل كتاب أثبتها على شكل نقاط تبين وجهة نظري فيه ومدى إسهامه في تطور كتابة السيرة وذلك بمقارنته مع المصنفات التي سبقته وأثره في المصنفات التي أتت بعده، والصعوبة الكأداء التي يعاني منها كل باحث هي

ظروف الحصار الظالم الذي يعانيه شعبنا المناضل وما لحقه من تبعات وصعوبات .

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة، وذلك بحسب طبيعة البحث والخطة التي فرضتها المادة التي توفرت بين أيدينا، تناول الفصل الأول من هذا البحث المدلول اللفظي للسيرة مع ذكر المصادر الأولى والجهود المبكرة لكتابتها، وقسمناه إلى مبحثين خصص المبحث الأول للتعريف بلفظة السيرة واشتراكها بلفظة المغازي واستقلالية هذه اللفظة بسيرة الرسول ﷺ، أما المبحث الثاني فقد عرض المصادر الأولى للسيرة النبوية وإرداف هذه المصادر بعرض سريع للجهود المبكرة في تدوين هذه السيرة ابتداء من كتابات الصحابة ومدونات التابعين حتى ظهور أول سيرة شاملة للرسول ﷺ.

أما الفصل الثاني فقد كرس لدراسة المصنفات التي كتبت عن سيرة الرسول ﷺ من مولده إلى إلتحاقه بالرفيق الأعلى بشمولية واستقلال عن باقي المصنفات التي ضمنت سيرة الرسول ﷺ ضمن مواضيعها، إذ قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين بحسب طبيعة هذه المصنفات . تناول المبحث الأول المصنفات التي عرضت سيرة الرسول ﷺ بإسهاب وتوسع ، أما المبحث الثاني فقد خصص للمصنفات التي عرضت هذه السيرة باختصار واقتضاب.

لتنوع الصور التي كتبت بها سيرة الرسول ﷺ ودخولها في معظم الجوانب التي كتب بها المؤرخون جعلنا الفصل الثالث للحديث عن طبيعة المصنفات التي دخلت فيها سيرة الرسول ﷺ وأصبحت جزءًا لا تجزء منها، وهذا ما جعل هذا الفصل ينقسم هو الآخر إلى مبحثين فقد كان المبحث الأول مكرسًا لعرض المصنفات التي كتبت في التأريخ العام ، والتي حوت سيرة شاملة للرسول ﷺ في مضامينها وأثر هذه المصنفات في تطور كتابة السيرة النبوية في مصنفات أخرى أو خصصوا مصنفًا مستقلاً لها، الأمر الذي جعل هذا المبحث من أثرى مباحث هذا الفصل، بل ؛ ومباحث فصول الرسالة جميعها من حيث كمية المصنفات التي عرضت فيه فضلاً عن تباين هذه المصنفات بعضها مع البعض الآخر في الطرح والأسلوب لأحداث السيرة والحيز المخصص لها في كل مصنف من هذه المصنفات ، أما المبحث الثاني فقد بين التطور الحاصل في كتابة سيرة الرسول ﷺ ضمن كتب الطبقات والتراجم ، وطبيعة هذا التطور قياسًا بسابقيه، أو ما تزامن معه من تطورات في كتابة السيرة .

أما الفصل الرابع فقد كان من أوسع فصول الرسالة لطبيعة التطور الذي طرأ على كتابة السيرة والذي تمثل بظهور التصنيف الموضوعي والمستقل للعديد من جوانب السيرة باجتزاء واستقلالية عن باقي المصنفات التي عرضت سيرة الرسول ﷺ وأحواله بشمولية ، ولتنوع الجوانب التي كتبت بها هذه المصنفات كان هذا الفصل ثريًا في مباحثه إذ حوى ستة مباحث كان الأول منها مخصصًا للحديث عن المصنفات التي كتبت عن حادثة مولد الرسول ﷺ وبينا فيه وضع بعض المصنفات التي كتبت عن هذه الحادثة قبل القرن السابع الهجري وزيفها، أما المبحث الثاني فقد كرس للحديث عن المصنفات التي كتبت عن ذرية الرسول ﷺ وأزواجه ومتعلقيه، وطبيعة تنوع هذه المصنفات وإسهامها في تطور كتابة السيرة ، أما المبحث الثالث فقد عرض المصنفات التي كتبت في مغازي الرسول ﷺ وطبيعة هذه المصنفات ومدى فعاليتها وديمومتها طوال العصر العباسي ، أما المبحث الرابع فقد كان مخصصًا للحديث عن المصنفات التي كرسها أصحابها لذكر ووصف أخلاق الرسول ﷺ وشمائله، مع

تبيان أثر المحدثين ودورهم في كتابة مثل هذه المصنفات التي كانت فرزة من أبواب كتب الحديث ومضامينها، وتناول المبحث الخامس المصنفات التي كتبت عن أعلام ودلائل النبوة وتثبيتها، وإظهار الدور الذي لعبه المتكلمون في إيجاد مثل هذه المصنفات التي اجتزأت من كتب علم الكلام لتكون أكثر فعالية في مواجهة الدعاوى المنحرفة في إنكار النبوات والمعجزات ، أما المبحث السادس فقد خصص للتعريف بالمصنفات التي كتبت عن الخصائص التي اختص بها الرسول ﷺ من بين الأنبياء والبشر مع عرض للمصادر التي اعتمدتها هذه المصنفات وتبيان تأخر هذه الاتجاه في كتابة هذا الجانب من سيرة الرسول ﷺ.

ختمنا هذه الدراسة بعرض سريع لأهم النتائج والمحصلات التي خرجنا بها مع إرداف هذه العرض ببعض التوصيات التي إن حظيت بالقبول فلعلها ترفد التراث الفكري لسيرة الرسول ﷺ والدراسات العلمية له، وتفسح المجال أكثر للباحثين أن يخوضوا غمار هذا التراث ويتناولوه بدراسات أوسع وأشمل .

وأثبتنا في نهاية أوراق هذه الدراسة ثبتاً بالمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها، التي كان من أهمها (السيرة النبوية) التي كتبها محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ) وهذبها عبدالملك بن هشام (ت ٢١٨هـ) ، وكتاب (المغازي) لمحمد ابن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) ، و (الطبقات الكبرى) لمحمد ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، وكتاب (تأريخ الرسل والملوك) لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، إذ كان البحث يعول عليها كثيراً في استشهاداته ومقارناته فضلاً عن كون هذه المصنفات قد كانت المصادر الرئيسة التي اعتمدت عليها معظم إن لم نقل كل المصنفات التي كتبت عن سيرة الرسول ﷺ وجوانبها المختلفة .

استعنا في ترجمة مصنفي كتب السيرة وجوانبها بالعديد من كتب التراجم التي تباينت هي الأخرى في مقدار المعلومات التي أثبتتها عن هؤلاء المصنفين، إذ كان في طليعة هذه الكتب كتاب (تأريخ بغداد) للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، و (معجم الأدباء) لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، و (البداية والنهاية) لابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، و (تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، فضلاً عن العديد من كتب التراجم التي أجملناها في قائمة المصادر والمراجع .

ولما كان بعض التراث الفكري لسيرة الرسول ﷺ مفقوداً ، استعنا بكتب الببليوجرافيا (فهارس الكتب) للإشارة إلى هذا التراث المفقود، وكان في طليعة هذه الكتب كتاب الفهرست لابن النديم (ت ٣٨١هـ) ، وكتاب (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ) للسخاوي (ت ٩٠٢هـ)، وكتاب (كشف الظنون) لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، وكتاب (هدية العارفين) للبغدادي، وكتاب (معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ) لصلاح الدين المنجد، فضلاً عن مصنفات أخرى عرضت قسمًا من هذا التراث أجملناها في قائمة المصادر والمراجع، لأنها لم تكن بأهمية هذه المصنفات التي عرضناها آنفًا .

كان للدراسات الحديثة التي كتبها الباحثون دور فعال في رفد هذه الرسالة بما توصلوا إليه من نتائج أغنت البحث والباحث عن مراجعة العديد من المصنفات واستقرائها، ومن أهم هذه الدراسات ، دراسة المستشرق الألماني يوسف هوروفتس (المغازي الأولى ومؤلفوها)، ودراسة عبدالعزيز الدوري (بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب)، إذ كانت هاتان الدراستان في طليعة هذه الدراسات لأن كل واحدة منها حوت بحثًا معمقًا للجذور الأولى لكتابة السيرة النبوية، وتدخلاتها مع المصنفات الأخرى ، ثم دراسة المستشرق فرانتز روزنثال (علم

التأريخ عند المسلمين) التي أعانتنا كثيراً في فهم المراحل التي مرت بها الكتابة التأريخية وأنماطها وطبيعة هذه الأنماط ، وقد أكملت هذه الدراسة دراسة شاكر مصطفى (التأريخ العربي والمؤرخون) التي كانت هي الأخرى مناراً نستضيء به لمعرفة المصنفات التأريخية مراحل كتابتها، فضلاً عن دراسات أخرى كانت أضيق أفقاً من هذه الدراسات السابقة لانحسارها بعصر أو مكان معين أو شخصية مؤرخ، أثبتناها في قائمة المصادر والمراجع .

وأنهي مقدمتي بتأكيد إحدى حقائق التكوين وهو أن الله تعالى قضى لكل كتاب أن يتطرق إليه النقص إلا كتابه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما بذلته في هذه الدراسة كان جل وسعي، فإن أصبت فتوفيق من الله وإن أخطأت فهذا شأن البشر، ﴿**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾ (٥) .

الحواشي

١ - سورة الحشر، آية رقم (٧) .
٢ - سورة الأحزاب، آية رقم (٢١) .
٣ - ينظر : المنجد ، صلاح الدين ، معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٨٢م .
٤ - عباس ، إحسان ، في السيرة، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٥٦م .
٥ - سورة البقرة ، آية رقم (٢٨٦) .

* * *

مستوى مفهوم الذات للطفل السعودي بریاض الأطفال بجدة

رسالة ماجستير لمنال إبراهيم عبدالله مديني

انبثقت مشكلة هذه الدراسة من ندرة الدراسات التي تتناول مفهوم الذات ، والمطبقة على الطفل السعودي برياض الأطفال .

وقد هدفت إلى تحديد المستويات المختلفة لمفهوم ذات الطفل السعودي برياض الأطفال بمدينة جدة، وإلى الكشف عمّا بين الأطفال الذكور / الإناث، والأطفال من ذوي الفئات العمرية من ثلاث سنوات إلى ست سنوات، والأطفال حسب المستويات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة .

وقد قسمت الدراسة على خمسة فصول ؛ اشتمل الفصل الأول على مقدمة ، ومشكلة الدراسة وأهمية الدراسة، أهدافها ، وفروضها ، وحدودها والمصطلحات المستخدمة فيها فيما اشتمل الفصل الثاني على الإطار النظري للدراسة والدراسات السابقة، وقد احتوى الإطار النظري على ثلاثة أجزاء وهي مفهوم الذات ، وطفل ما قبل المدرسة ، ورياض الأطفال . أما الفصل الثالث فقد اشتمل على عرض لمنهج الدراسة والإجراءات . والفصل الرابع اشتمل على عرض نتائج الدراسة ومناقشتها . أما الفصل الخامس الأخير فهو يشمل ملخص الدراسة

والتوصيات والمقترحات .

وقد تم التطبيق الميداني على عينة من الأطفال السعوديين الملتحقين برياض الأطفال الحكومية بلغ حجمها (١٨٠) مئة وثمانين طفلاً من الذكور والإناث، وينتمون إلى مستويات اجتماعية واقتصادية مختلفة وتتراوح أعمارهم ما بين ثلاث إلى ست سنوات .

وقد استخدمت هذه الدراسة الأدوات التالية :

١ – استمارة البيانات الشخصية للطفل (إعداد الباحثة) .

٢ – استمارة المستوى الاجتماعي والاقتصادي (إعداد الباحثة) .

٣ – اختبار مفهوم ذات أطفال الرياض (إعداد سعدية بهادر) .

وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها :

١ – أكدت نتائج تحليل التباين وجود فروق إحصائية دالة ما بين مستويات مفهوم ذات أطفال عينة الدراسة لصالح مستوى مفهوم الذات غير المتبلور .

٢ – وقد أظهرت نتائج الدراسة أن نسبة ٢٨,٣٪ من أطفال العينة يتصفون بمفهوم ذات إيجابي ، في حين أن نسبة ٤٥٪ يتصفون بمفهوم ذات غير متبلور في الوقت الذي يتصف فيه نسبة ٢٦,٧٪ بمفهوم ذات سلبي .

٣ – لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات مفهوم الذات لدى الأطفال الذكور / الإناث وعند مستوى دلالة ٠,٠٥ .

٤ – لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات مفهوم الذات لدى الأطفال من الفئات العمرية من ثلاث سنوات إلى أقل من أربع سنوات ومن أربع سنوات إلى أقل من خمس سنوات ، ومن خمس سنوات إلى ست سنوات ؛ وعند مستوى دلالة ٠,٠٥ .

٥ – توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات مفهوم الذات عند الأطفال من الفئات الاجتماعية والاقتصادية المرتفعة والمتوسطة ، والمنخفضة لصالح المستويات المرتفعة ، وعند مستوى دلالة ٠,٠٠١ .

وبناء على النتائج التي انتهت إليها الدراسة أوصت الباحثة بعدة توصيات منها :

١ – التخطيط لتصميم برنامج تربوي موجه لأطفال رياض الأطفال يسعى نحو تعديل مفاهيم الذات السلبية وتعزيز المفاهيم الإيجابية .

٢ – انتقاء أفضل العناصر للعمل في رياض الأطفال ممن يتمتعون بالصحة النفسية ومستوى مرتفع في مفهوم الذات ؛ لأن ذلك ينعكس على الأطفال .

٣ – تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة ، وذلك باتباع تعاليم ديننا الحنيف والنهج الإسلامي في تربية الإطفال ، فديننا الإسلامي غني بالأسس الحسنة التي تبلور مفهوم إيجابي للذات .

٤ – توعية الوالدين والقائمين بالتربية بأهمية اتباع الأساليب السوية في معاملة الأطفال من أجل تكوين مفهوم ذات إيجابي ، وذلك من خلال وسائل الإعلام والدورات التدريبية بالنسبة للعاملين في مجال التربية .

وقد ختمت الدراسة بقائمة المراجع، وذيلت بأربعة ملاحق شملت : استمارة البيانات الشخصية للطفل واستمارة المستوى الاجتماعي والاقتصادي ، ثم اختبار تحديد مستويات مفهوم ذات أطفال الرياض باللهجتين (السعودية والكويتية) .